

الشَّرحُ الفَرِيدُ

لِكتابِ التَّوحِيدِ

الَّذِي هُوَ حَقُّ اللهِ عَلَى العَبِيدِ

لِلفَقِيرِ إِلَى عَفوِ رَبِّهِ

عبد الله بن إبراهيم عثمان القرعاوي

إمامُ الجامِعِ الكبيرِ بِبُرَيدَة

الموقع الرسمي

www.qaraye.com

الطبعة الثانية

١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م

ⓗ عبدالله بن إبراهيم بن عثمان القرعاوي؛ ١٤٤٠هـ.

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القرعاوي، عبدالله بن إبراهيم بن عثمان

الشرح الفريد لكتاب التوحيد. / عبدالله بن إبراهيم بن عثمان القرعاوي ـ ط٢.- القصيم، ١٤٤٠هـ.

٤١٦ ص، ١٧×٢٤ سم

ردمك: ٩ ـ ٧٩٠٢ ـ ٠٢ـ ٦٠٣ـ ٩٧٨

١ـ التوحيد　　٢ ـ العقيدة الإسلامية

أ. العنوان

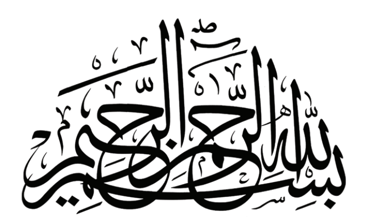
ديوي ٢٤٠　　٥٦٤/ ١٤٤٠

رقم الإيداع: ٥٦٤ / ١٤٤٠

ردمك: ٩ ـ ٧٩٠٢ ـ ٠٢ـ ٦٠٣ـ ٩٧٨

الطبعة الثانية

١٤٤٠هـ ـ ٢٠١٨م





مقدمة الشارح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه.

وبعد:

فنسأل الله تعالى لنا الإعانة على ما عزمنا عليه من شرح (**كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد**) وذلك في (مسجد الجامع الكبير) في بريدة، ومصنفه هو شيخ الإسلام مجدد الدعوة الإمام **محمد بن عبدالوهاب بن سليمان التميمي**، رحمه الله تعالى، المولود سنة ١١١٥هـ في بلدة العيينة من أرض نجد، والمتوفى رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ١٢٠٦هـ، فإن هذا الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعا الناس في زمانه إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له، وينهى عن الشرك بالله، وسائر المحرمات، فأقام الله به علم الجهاد فانتشر التوحيد في بلاد نجد، وعَمُرت به نجد بعد خرابها، واجتمعت بعد افتراقها، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع قيامه بالدعوة إلى الله تعالى، والرد على المخالفين، متبتلاً في العبادة، كثير الإفادة، غزير الاستفادة، وصنّف مصنّفات شهيرة سارت في الآفاق منها: **كتاب كشف الشبهات، وكتاب أصول الإيمان، وفضائل الإسلام، وثلاثة الأصول** وغيرها من الكتب النافعة.

أما هذا الكتاب فهو في التوحيد وما يجب من حق الله على العبيد، فإنه رَحِمَهُ اللَّهُ قد وضح فيه التوحيد الذي أوجبه الله على عباده، وخلقهم له، وذكر فيه ما ينافيه من الشرك الأكبر، أو ينافي كماله الواجب من الشرك الأصغر، وما يقربه من ذلك أو يُوصل إليه، فصار بديعاً في معناه، علماً للموحدين، وحُجةً على الملحدين، فنفع الله به الخاص والعام.

نسأل الله تعالى أن يبارك فيه وفي شرحه، وأن ينفعني فيه في الحياة وبعد المهات ومن قرأه أو سمعه أو نظر فيه، وأن يتقبله مني ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، إنه ولي ذلك، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

وإيضاح المسائل من شرح الشيخ **عبدالله بن محمد الدويش** رَحِمَهُ اللَّهُ، نسأل الله تعالى أن يغفر لي وله ولوالدينا ولجميع المسلمين.

قال ذلك:

عبدالله بن إبراهيم القرعاوي



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ـ كتاب التوحيد

وقول الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾.

وقوله: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾.

وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ ﴾.

وقوله: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾.

وقوله: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا .. ﴾ الآيات.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمة فليقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوه وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾.. الآية.

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي: «يَا مُعَاذُ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ الله عَلَى اَلْعِبَادِ؟ وَمَا حَقُّ اَلْعِبَادِ عَلَى اَللهِ؟» فقلت: الله ورسوله أعلم، قال: «حَقُّ الله عَلَى اَلْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ اَلْعِبَادِ عَلَى الله أَنْ لا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»، قلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: «لا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا» (أخرجاه في الصحيحين).

***

(الشرح)

ابتدأ المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى الكتاب ببسم الله الرحمن الرحيم، اقتداءً بالكتاب العزيز وتأسياً بالنبي ﷺ في مكاتباته ومراسلاته. والباء في (**بسم الله**) متعلقة بمحذوف والمختار أن يكون فعلاً خاصاً متأخراً لئلا يتقدم فيه غير ذكر الله وليصح الابتداء في كل قول وعمل، ولأن الحذف أبلغ فلا حاجة إلى النطق بالفعل لدلالة الحال على أن كل قول أو فعل فإنما هو ببسم الله، والتقدير بسم الله أُؤلف حال كوني مستعيناً بذكره متبركاً به، والاسم مشتق من السمو وهو الارتفاع، أو الوسم وهو العلامة، لأن كل ما سُمّي فقد نوه باسمه ووُسم.

والله: علم على ربنا تبارك وتعالى، وهو أعرف المعارف الجامع لمعاني الأسماء الحسنى، وهو مشتق بمعنى أنه دال على صفة له وأصله (**الإله**) حذفت الهمزة، وأُدغمت اللام في اللام فقيل (**الله**)، ومعناه ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين.

الرحمن: رحمان الدنيا والآخرة وهو اسم لله وصفة من صفاته.

والرحيم: رحمة خاصة بالمؤمنين وهو اسم وصفة.

والرحمن: دال على الصفة القائمة به سبحانه.

والرحيم: دال على تعلقها بالمرحوم.



كتاب: يعني المكتوب أي هذا مكتوب جامع لخصائص التوحيد وحقوقه، وما ينافيه من الشرك الأكبر، أو ينافي كماله الواجب من الشرك الأصغر، والتوحيد مصدر وحده يوحده توحيداً جعله واحداً، أي أفرده بالعبادة.

وأقسام التوحيد ثلاثة:

١ ـ توحيد الربوبية.

٢ ـ توحيد الأسماء والصفات.

٣ ـ توحيد الألوهية.

وهذه الأقسام كل نوع منها لا ينفك عن الآخر، ولكن الثالث أي: «توحيد الألوهيه» هو مقصود المصنف رحمه الله تعالى، بتصنيف هذا الكتاب، وقد ضمنه النوعين الآخرين.

وعند بعضهم التوحيد نوعان:

الأول: توحيد في المعرفة والإثبات: فتوحيد المعرفة هو توحيد الربوبية، والإثبات هو توحيد الأسماء والصفات.

الثاني: توحيد في الطلب والقصد: وهو توحيد الإلهيه والعبادة.

* ثم قال رحمه الله تعالى، وقول الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات]، **قوله**: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ﴾: أي ما خلق الله الثقلين الجن والإنس، إلا لعبادته وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه، ففعل الأول: وهو خلقهم ليفعلوهم،

الثاني: وهو عبادته، **قوله:** ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾: أي ليوحدون، وكل ما وردت العبادة في القران فمعناه توحيد الله بجميع أنواع العبادة.

* **والعبادة لغةً:** التذلل والانقياد، **وشرعاً:** اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

ففي هذه الآية بيان عظم شأن التوحيد، حيث كان الخلق كلهم لم يخلقوا إلا له، وهي الحكمة الشرعية من خلقهم.

* قال رحمه الله تعالى: **وقوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، أخبر تعالى أنه بعث في كل طائفة وقرن وجيل من الناس رسولاً يأمرهم أن يعبدوا الله وحده لا شريك له، ويأمرهم أن يجتنبوا: أي يتركوا ويفارقوا عبادة الطاغوت.

* **قوله تعالى:** ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ الطاغوت: مشتق من الطغيان وهو مجاوزة الحد، وكل من تعدى حده بأي نوع من الطغيان فهو طاغوت، فالطاغوت: ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع.

وفي هذه الآية معنى لا إله إلا الله، وفي قوله: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي: الإثبات، وقوله: ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ أي: النفي، فينفي ما سوى الله، ويثبت عبادة الله وحده، فإن النفي المحض ليس بتوحيد وكذلك الإثبات بدون نفي، ولا يكون التوحيد إلا متضمناً للنفي والإثبات.

وفي هذه الآية بيان عظم شأن التوحيد، وفيها إقامة الحجة على العباد، وفيها الحكمة

في إرسال الرسل، وفيها أن الرسالة عمت كل أمة، وفيها أن دين الأنبياء واحد.

* **وقوله تعالى:** ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ .

* **قوله:** ﴿وَقَضَىٰ﴾ : أي أمر ووصى وأوجب.

* **والمراد بالقضاء هنا:** القضاء الشرعي الديني، فإن القضاء ينقسم إلى قسمين:

١ ـ كوني قدري.

٢ ـ شرعي ديني.

وفي هذه الآية معنى لا إله إلا الله، فإن قوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾ هو معنى لا إله، وقوله: ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ هو معنى إلا الله.

* **وقوله تعالى:** ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ أي: وقضى أن تحسنوا بالوالدين إحساناً، كما قضى بعبادته وحده لا شريك له كقوله: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾، ففي هذه الآية أيضاً دليل على تأكد حق الوالدين، وأنه أوكد الحقوق بعد حق الله، وقوله تعالى: ﴿إِحْسَٰنًا﴾ لم يخص نوعاً من أنواع الإحسان؛ ليعم جميع أنواع الإحسان؛ وثبت بالكتاب والسُنَّة الأمر ببر الوالدين وتحريم عقوقهما.

* **وقال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والدليل قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾: هذه الآية تسمى آية الحقوق العشرة، التي ذكرها الله في سورة النساء، وذلك لأنها تضمنت عشرة حقوق، وابتدأت بالأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، وفيها تفسير التوحيد، وأنه عبادة الله وحده وترك الشرك، والشرك تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله.

* **ثم ذكر المصنف** رحمه الله **قوله تعالى:** ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾: ذكر الله سبحانه في هذه الآية عدداً من المحرمات، وابتدأها بالنهي عن الشرك، والنهي عن الشرك يستدعي التوحيد بالاقتضاء، وقوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ الإحسان إلى الوالدين برهما، وحفظهما وصيانتهما، وامتثال أمرهما، وإزالة الرق عنهما، وترك السلطنة عليهما.

* **وقوله:** ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ أي: لا تئدوا بناتكم خشية العيلة والفقر فإني رازقهم وإياكم.

* **وقوله:** ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾: نهي عام عن جميع أنواع الفواحش والمعاصي.

* **وقوله:** ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾: أي يحرم قتلها إلا بالحق، ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، وأما الآية التي بعدها فهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ ختمها بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

والآية الثالثة: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ ختمها بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، فذكر أولاً تعقلون، ثم تذكرون، ثم تتقون، لأنهم إذا عقلوا تذكروا، فإذا تذكروا خافوا واتقوا.

* **والمصنف** رحمه الله **ذكر في كتاب التوحيد خمس آيات،** ففي الآية الأولى: الحكمة في إيجاد الثقلين، وفي الآية الثانية: الحكمة في إرسال الرسل، وفي الآية الثالثة والرابعة والخامسة: أوجب الواجبات وهو الأمر بالتوحيد، والنهي عن ما

يناقضه، وهو الشرك الذي هو أعظم المحرمات.

* **وقال المصنف** رحمه الله: قال ابن مسعود رضي الله عنه: هو عبدالله بن مسعود الهذلي، صحابي جليل، من السابقين الأولين، ومن كبار علماء الصحابة، لازم النبي ﷺ وكان صاحب نعليه، وحدث عنه كثيراً، ومات سنة ٣٢هـ.

من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ الآية.. أي من أراد أن ينظر إلى الوصية التي كأنها كتبت وختم عليها فلم تغير ولم تبدل، فليقرأ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ الآيات الثلاث؛ لأن كل آية منها ختمت بقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ﴾، ومعنى قول ابن مسعود لو وصى رسول الله ﷺ لم يوص إلا بما وصى الله به تعالى، وليس المراد أن النبي ﷺ كتبها وختم عليها، والسبب في ذلك أن النبي ﷺ في أثناء مرضه أراد أن يكتب، فكثر اللغط. فقال: (**اخرجوا عني**). فلذا ذكرهم ابن مسعود رضي الله عنه أن عندهم من القرآن ما يكفيهم، وفي صحيح مسلم: (**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله**) وأثر ابن مسعود هذا رواه الترمذي وغيره وحسَّنه.

* **قال المصنف** رحمه الله: **وعن معاذ بن جبل** رضي الله عنه، هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن كعب بن عمرو الخزرجي الأنصاري، صحابي جليل من أعيان الصحابة، شهد بدراً وما بعدها، واستخلفه النبي ﷺ على أهل مكة يوم الفتح يعلمهم دينهم، ثم بعثه إلى اليمن قاضياً معلماً، مات بالشام في طاعون عمواس سنة ١٨هـ، وله ٣٨ سنة.

* **قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كنت رديف النبي ﷺ على حمار**، والرديف: هو الذي تحمله خلفك على ظهر الدابة.

* **وقوله**: فقال لي: (**يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟**)، أي: الحق الذي لله على عباده وهو ما يستحقه عليهم من عبادته وحده.

* **وقوله: وما حق العباد على الله؟** أي: الحق الذي كتبه سبحانه على نفسه تفضلاً وإحساناً، لم يوجبه عليه مخلوق، وكذلك ليس على الله حق واجب بالعقل كما تزعمه المعتزلة، بل هو استحقاق إنعام وفضل، ليس هو استحقاق مقابلة.

* **قوله: قلت: الله ورسوله أعلم**: فيه حسن الأدب من المتعلم، أنه ينبغي لمن سئل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم.

* **قوله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال الرسول ﷺ: (حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً)** أي: هذا حق الله سبحانه وتعالى.

أي: يوحدوه بالعبادة ويفردوه، ويتجردوا من الشرك ويجتنبوه.

* **قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقال ﷺ: (وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً)**، أي: أنه سبحانه وعد من مات، وهو يعبد الله، ولا يشرك به شيئاً وعده أن لا يعذبه.

* **قوله: قلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟** أي: بأن الله تعالى لا يعذب من لا يشرك به شيئاً.

* **قوله**: قال: (**لا تبشرهم فيتكلوا**): أي: يعتمدوا على ذلك، فيتركوا التنافس في الأعمال الصالحة اعتماداً على ما يتبادر من ظاهر الحديث.

* **قوله**: أخرجاه في الصحيحين: أي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، البخاري ولد سنة ١٩٤هـ، وتوفي سنة ٢٥٦هـ، ومسلم ولد سنة ٢٠٤هـ، وتوفي بنيسابور سنة ٢٦١هـ.

***

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى**: «**الحكمة في خلق الجن والإنس**» أي: أن الله خلقهم لعبادته.

* **الثانية**: «**أن العبادة هي التوحيد لأن الخصومة فيه**» أي: أن العبادة التي خلقوا لها هي توحيد الألوهية لأن كل رسول يقول لقومه: اعبدوا الله ما لكم من إله غيره فيردون عليه، وأما توحيد الربوبية فغالب الأمم مقرة به.

* **الثالثة**: «**أن من لم يأت به لم يعبد الله**». ففيه معنى قوله: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ أي: أن من لم يفرد الله بالعبادة لم يعبده حقيقة وإن عبده في بعض الأحيان لكنه لما لم يَثْبُتْ على ذلك ـ أي على عبادة الله وحده ـ نفى الله عنه العبادة لأنه لا يوصف بعبادة الله وحده ولا أنه عابد له حقيقة إلا من استمر على عبادته وحده وتبتل إليه تبتيلاً كما أشار إلى ذلك العلامة ابن القيم في بدائع الفوائد لمّا تكلم على أسرار سورة قل يا أيها الكافرون.

* **الرابعة**: «**الحكمة في إرسال الرسل**» أي: ليأمروا أممهم بعبادة الله وحده

واجتناب الطاغوت.

* **الخامسة**: «**أن الرسالة عمت كل أمة**» أي: لما أخبر الله أنه بعث في كل أمة رسولاً أفاد ذلك أن الرسالة عمت جميع الأمم وقامت الحجة على الخلق كما قال تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾.

* **السادسة**: «**أن دين الأنبياء واحد**» أي: لما أخبر الله أن كل رسول يقول لقومه ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾، أفاد ذلك أن دينهم واحد أما الشرائع فمختلفة كما قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾.

* **السابعة**: «**المسألة الكبيرة**» أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت، ففيه معنى، وقوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ أي: لما أخبر الله أنه أرسل الرسل يدعون أممهم قائلين: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ دل ذلك على أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت فمن لم يكفر بالطاغوت فليس عابدا لله حقيقة ولذلك جعله شرطاً للاستمساك بالعروة الوثقى.

* **الثامنة** : «**أن الطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله**» أي: لما أمر الله بإفراده بالعبادة وحده واجتناب الطاغوت أفاد هذا أن الطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله بمعنى أن العبادة لا تصلح له لا بمعنى الذم لكل من عبد من دون الله فإن منهم من لم يرض بذلك وأما الذم فمتوجه إلى من رضي، ومن لم يرض فالذم في حقه متوجه إلى الشيطان لكونه الآمر بذلك الداعي كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ الآية.

❊ **التاسعة**: «**عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف**» وفيها عشر مسائل:

أولها: «**النهي عن الشرك**» أي لقول عبدالله بن مسعود: «من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ: ﴿**قُلْ تَعَالَوْا**﴾.. إلخ. وقوله: «**فيها عشر مسائل**» وهذا بيانها:

الأولى: النهي عن الشرك، **الثانية**: الوصية بالوالدين، **الثالثة**: النهي عن قتل الأولاد، **الرابعة**: النهي عن قربان الفواحش، **الخامسة**: النهي عن قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، **السادسة**: النهي عن قربان مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، **السابعة**: الوفاء بالكيل والميزان، **الثامنة**: الأمر بالعدل، **التاسعة**: الوفاء بالعهد، **العاشرة**: الأمر باتباع الصراط المستقيم وترك اتباع ما سواه من السبل.

❊ **العاشرة**: «**الآيات المحكمات في سورة الإسراء**»:

وفيها ثماني عشرة مسألة:

بدأها الله بقوله: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ وختمها بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ﴾ .

❊ **قلت**: وهذا سرد المسائل:

الأولى: النهي عن جعل مع الله إلها آخر وهو الشرك الأكبر، **الثانية**: الأمر بعبادة الله

وحده، **الثالثة**: الأمر بالإحسان إلى الوالدين، **الرابعة**: إيتاء ذي القربى حقه، **الخامسة**: إيتاء المسكين حقه، **السادسة**: إيتاء ابن السبيل حقه، **السابعة**: النهي عن التبذير، **الثامنة**: النهي عن الإمساك بدون إسراف، **التاسعة**: النهي عن قتل الأولاد، **العاشرة**: النهي عن الزنا، **الحادية عشرة**: النهي عن قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، **الثانية عشرة**: النهي عن قربان مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، **الثالثة عشرة**: الوفاء بالعهد، **الرابعة عشرة**: الوفاء بالكيل، **الخامسة عشرة**: الوفاء بالوزن، **السادسة عشرة**: النهي عن القول بغير علم، **السابعة عشرة**: النهي عن المشي في الأرض مرحا، **الثامنة عشرة**: النهي عن الشرك.

* **الحادية عشرة: «آية سورة النساء التي تسمى آية الحقوق العشرة»:**

بدأها الله تعالى بقوله: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ الآية. أي: فيها عشرة حقوق: **الأول**: الأمر بعبادة الله والنهي عن الشرك، **الثاني**: الإحسان إلى الوالدين، **الثالث**: الإحسان إلى ذي القربى، **الرابع**: الإحسان إلى اليتامى، **الخامس**: الإحسان إلى المساكين، **السادس**: الإحسان إلى الجار ذي القربى، **السابع**: الإحسان إلى الجار الجنب، **الثامن**: الإحسان إلى الصاحب بالجنب، **التاسع**: الإحسان إلى ابن السبيل، **العاشر**: الإحسان إلى ملك اليمين.

* **الثانية عشرة: «التنبيه على وصية النبي ﷺ عند موته»**، أي لقول ابن مسعود رضي الله عنه: «من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه».

* **الثالثة عشرة: «معرفة حق الله علينا»**، أي: أن نعبده ولا نشرك به شيئاً، وهذا حق واجب.

* **الرابعة عشرة**: «**معرفة حق العباد عليه إذا أدوا حقه**»، أي: أن لا يعذبهم، وهذا حق إنعام وتفضل وليس واجباً بالقياس على المخلوق كما تدّعيه المعتزلة.

* **الخامسة عشرة**: «**أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة**»، أي: مادام أنها خفيت على معاذ مع علمه وقال: «أفلا أبشر الناس» فنهاه وأمره أن يكتمها عنهم مخافة الاتكال على سعة رحمة الله؛ أفاد ذلك أنهم لا يعرفونها.

* **السادسة عشرة**: «**جواز كتمان العلم للمصلحة**»، أي لقوله: «لا تخبرهم»، والمصلحة أنهم يعملون ولا يتكلون بخلاف ما إذا سمعوا بمثل هذا فربما تركوا العمل فتفوت هذه المصلحة.

* **السابعة عشرة**: «**استحباب بشَارة المسلم بما يسره**»، أي لقوله: «ألا أبشر الناس».

* **الثامنة عشرة**: «**الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله**»، أي لقوله: «**لا تخبرهم فيتكلوا**»، أي: يعتمدوا على هذا الفضل فيتركوا التنافس في الأعمال الصالحة فيفوتهم خير كثير.

* **التاسعة عشرة**: «**قول المسؤول عما لا يعلم: الله ورسوله أعلم**»، أي: أنه لما سأل معاذاً وهو لا يعلم قال ذلك وهذا في حياة النبي ﷺ وأما بعد موته ﷺ فإن المسؤول إذا سُئل عما لا يعلم فإنه يقول: «الله أعلم».

* **العشرون**: «**جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض**»، أي: حيث أخبر بذلك معاذا ونهاه أن يخبر الناس.

* **الحادية والعشرون**: «**تواضعه ﷺ لركوب الحمار مع الإرداف عليه**»، أي: لما فعل ذلك دل على تواضعه لأن المتكبرين لا يفعلون ذلك.

* **الثانية والعشرون**: «**جواز الإرداف على الدابة**»، أي: حيث أردف معه معاذا وهذا إذا كانت مطيقة.

* **الثالثة والعشرون**: «**فضيلة معاذ بن جبل**»، أي: بحيث كان من النبي ﷺ بهذه المنزلة فأردفه معه وخصه بهذا العلم.

* **الرابعة والعشرون**: «**عظم شأن هذه المسألة**»، أي معرفة حق الله على العباد وحق العباد عليه إذا أدوا حقه.



٢ ـ بَابُ فَضْلِ التَّوْحِيدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ ..الآية﴾ (الأنعام: ٨٢).

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُوَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ) (أَخْرَجَاهُ).

وَلَهُمَا فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ: (فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرَيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا رَبِّ! عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ. قَالَ: قُلْ يَا مُوسَى لا إِلَهَ إِلا اللهُ. قَالَ: يَا رَبِّ! كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا؟ قَالَ: يَا مُوسَى، لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ وَ(لا إِلَهَ إِلا اللهُ) فِي كِفَّةٍ، مَالَتْ بِهِنَّ لا إِلَهَ إِلا اللهُ). (رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمِ وَصَحَّحَهُ).

وَلِلتِّرْمِذِيِّ ـ وَحَسَّنَهُ ـ عَنْ أَنَسٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأتيتك بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً).

***

(الشرح)

والباب **لغة**: المدخل إلى الشيء. **واصطلاحاً**: اسم لجملة من العلم تحته فصول ومسائل غالباً، والمصنف رحمه الله لما ذكر التوحيد، ذكر فضله وتكفيره للذنوب ترغيباً فيه.

* **وقوله وما يكفر**: يجوز أن تكون موصولة، ويجوز أن تكون مصدرية، أي: باب بيان عظيم فضل التوحيد وتكفيره للذنوب، وكونها مصدريه أولى، لرفع وهم أن ثم ذنوباً لا يكفرها التوحيد.

ثم ذكر المصنف رحمه الله **قوله تعالى**: ﴿**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ**﴾.

* **قوله**: ﴿**وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ**﴾ أي: أخلصوا العبادة لله وحده، ولم يخلطوا توحيدهم بشرك.

* **وقوله**: ﴿**بِظُلۡمٍ**﴾: أصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه، ومنه سمي الشرك ظلماً والمشرك ظالماً، لأنه وضع العبادة في غير موضعها.

* **وقوله**: ﴿**أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ**﴾ أي: أن الذين أخلصوا العبادة لله وحده واجتنبوا الشرك هم الآمنون في الدنيا والآخرة، المهتدون إلى الصراط المستقيم، ولما نزلت هذه الآية شق على أصحاب رسول الله ﷺ، ظنوا أن الظلم المشروط هو ظلم العبد نفسه. كما جاء في الصحيحين من حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ لما

قالوا: يا رسول الله، أينا لم يلبس إيمانه بظلم، قال: «**إنه ليس الذي تعنون، الظلم هو الشرك، ألم تسمعوا قول العبد الصالح** ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾».

ثم ذكر المصنف رحمه الله حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وهو ابن قيس ابن أصرم الخزرجي الأنصاري أحد النقباء، شهد بدراً وما بعدها، مات بالرملة سنة ٣٤ هـ، وله ٧٢ سنة.

* **قوله**: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له)**، **قوله: (من شهد)** أي: من تكلم بها عن معرفة وعلم وعمل في الظاهر والباطن فإنه لابد في الشهادة من العلم بالمشهود به، ولابد فيها من الصدق والعمل، فبالعلم ينجو من طريقة النصارى، وبالعمل ينجو من طريقة اليهود، وبالصدق ينجو من طريقة المنافقين، ومعنى: «**لا إله إلا الله**» لا معبود بحق إلا الله، لا كما يزعمه المتكلمه أن معنى الإله: هو القادر على الاختراع، بل ليس كذلك، لأن معناها أن الله جل وعلا هو الإله الحق، وما سواه من الآلهة فهي آله باطلة، نفاها المسلم بقوله لا إله، فإنه نفى الآلهة الباطلة ولم ينف ألوهية الله، جل وعلا.

* **وقوله: (وأن محمداً عبده ورسوله)** أي: وشهد أن محمداً عبده ورسوله بصدق ويقين، وذلك يقتضي اتباعه وتعظيم أمره ونهيه ولزوم سنته.

* **وقوله: (وأن عيسى عبد الله ورسوله)** أي: وشهد أن عيسى عبد الله ورسوله عن علم ويقين، ولا يصح توحيد عبد علم بمقالة اليهود والنصارى في عيسى عليه الصلاة والسلام، حتى يتبرأ منهم ومن مقالتهم، ويشهد أن عيسى عليه الصلاة

والسلام عبد الله ورسوله.

* **وقوله: (وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه)** أي: خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل إلى مريم فنفخ في جيب درعها، خلقه سبحانه بقوله: (كن)، فليس هو (كن)، ولكن كان بـ (كن)، (روح منه) أي: من الأرواح التي خلقها.

والمضاف إلى الله، إذا كان عيناً قائمة بنفسها كعيسى، امتنع أن يكون صفة لله، وإنما هو إضافة مخلوق إلى خالقه، وإضافته إضافة تشريف وتكريم كبيت الله، وخليل الله، وروح الله.

* **وفي قوله (وكلمته)**: في هذا إثبات صفة الكلام على ما يليق بجلاله وعظمته، خلافاً للجهمية، فإنهم جعلوا كلام الله مخلوقاً، والنصارى جعلوا كلامه معبوداً، تعالى الله وتقدس عما يقولون علواً كبيراً.

* **وقوله (والجنة حق والنار حق)**: أي: وشهد أن الجنة التي أخبر الله بها حقٌ، ثابتٌ لا شك فيه، وشهد أن النار التي أخبر أنه أعدها للكافرين حقٌ ثابتٌ، وأنهما الآن مخلوقتان موجودتان، وأنهما لا تفنيان، ولا تبيدان، وهذا هو الحق الذي عليه أهل السُنَّة بخلاف قول الجهمية الباطل ومن قال بقولهم بفناء النار، ولاشك أن قولهم باطل يخالف ما عليه أهل السُنَّة، وقد وضح ذلك ابن القيم في النونية وبيّنه أتم بيان.

* **وقوله (أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)**: هذه الجملة جواب الشرط، أي: من شهد إلى آخره أدخله الله الجنة بإخلاصه وصدقه.

والإيمان برسوله وما أرسل به، وإن كان مقصراً وله ذنوب، دون الشرك فإنما مآله إلى الجنة، ففيه فضل التوحيد وذلك أن من مات عليه فمصيره إلى الجنة على كل حال.

* **وقوله (أخرجاه)**: أي: البخاري ومسلم.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ **ولهما**: أي: البخاري ومسلم.

* **وقوله (ولهما في حديث عتبان)**: عتبان بن مالك الخزرجي، صحابي مشهور بدري مات في خلافة معاوية.

* **وقوله: (فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)**: هو حقيقة معناها، فإن من قالها يبتغي بها وجه الله لا بد أن يعمل بما دلت عليه من الإخلاص ونفي الشرك، ولذا جاءت الأحاديث الصحيحة لتقييد قول لا إله إلا الله بالقيود الثقال، كقوله ﷺ: **(غير شاك)**، وقوله ﷺ **(صدقاً من قلبه)**، وقوله ﷺ: **(ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار)** [رواه البخاري ومسلم].

ولمسلم: **(لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة)**، هذا الحديث قال فيه يبتغي بذلك وجه الله، فهذه القيود والشروط تدل على عدم إنتفاع المنافقين بقول لا إله إلا الله، لأن الله ذكر أن المنافقين في الدرك الأسفل من النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ وهم يقولون لا إله إلا الله، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا

لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾، فلا تعارض بين النصوص، لأن عدم انتفاع المنافقين بقول لا إله إلا الله، لأنهم لم يقولها يبتغون بذلك وجه الله وكذلك المشركون لم ينتفعوا بلا إله إلا الله، لأنهم لم يعملوا بما دلت عليه لا إله إلا الله، لقوله ﷺ: **(من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة)**.

وقال الحسن: ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال، ففي هذا الحديث دليل على فضل التوحيد لتحريم أهله على النار وفيه دليل على أن العمل لا ينفع إلا إذا كان خالصاً لله تعالى.

* **ثم ذكر المصنف حديث أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه، وأبو سعيد اسمه: سعد بن مالك بن سنان الخزرجي مات سنة ٧٤ هـ.

* **قوله في الحديث: عن النبي** ﷺ **قال: قال موسى** عليه السلام، موسى هو ابن عمران كليم الرحمن، من أولي العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام.

* **قوله: يا رب علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به**، أي: يجتمع لي فيه الأمران أثني عليك به، وأحمدك، وأسألك به.

* **قوله: قال: قل يا موسى لا إله إلا الله**، أي أنك إذا قلتها فقد دعوتني وأثنيت عليَّ، وفي هذا أن الذاكر بها يقولها كلها، ولا يقتصر على لفظ الجلالة ولا على (هو) كما يفعله غلاة المتصوفة، فإن ذلك بدعة وضلالة، ومعنى لا إله: (لا) نافية للجنس نفي عام، لجميع الآلهة الباطلة، وخبرها محذوف تقديره لا إله حقٌّ، قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ

﴿هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ فإلهيته تعالى هي الحق، وكل ما سواه من الآلهة فإلهيته باطلة.

* **قوله: قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا**، يعني: أن موسى عليه الصلاة والسلام أراد شيئاً يختص به من ذلك فأعلمه أنه لا أخص من كلمة التوحيد، لأنها أفضل الذكر والدعاء.

* **قوله: قال: يا موسى لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري**، يعني: لو أن ما في السماوات السبع وما فيهن من العمار من الملائكة، ومن عباد الله. غير الله جل وعلا، ففي هذا دليل على أن الله تعالى فوق سماواته ودليل على علوه سبحانه بذاته فوق مخلوفاته، خلافاً للجهمية ونحوهم ممن لا يثبت الاستواء لله على عرشه، والعلو له سبحانه بذاته فوق جميع مخلوقاته، لأنه قال جل وعلا في هذا الحديث وعامرهن غيري، وأما الأرضون فلم يستثنِ فيها، فثبت لله سبحانه علو القدر، وعلو القهر، وعلو الذات، وهذا هو الذي عليه أهل السنة من الصحابة ومن تبعهم بإحسان.

* **قوله: والأرضين السبع في كفة**، في هذا إثبات وزن الأعمال يوم القيامة، وإثبات الميزان وأن له كفتين، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ توزن فيه الصحائف التي تكون أعمال العباد مكتوبة فيها.

* **قوله: ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله**، وذلك أن الميزان له كفتان إحداهما للحسنات والأخرى للسيئات، وروى الترمذي وحسنه وصححه الذهبي: (يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسعة

وتسعون سجلاً كل سجل منها مد البصر، ثم يقال: أتنكر من هذا شيئاً؟ فيقول: لا يا رب، فيقال: ألك عذر أو حسنة؟ فيهاب الرجل فيقول: لا يا رب، فيقال: بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك، فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ليس كل من تكلم بالشهادتين كان بهذه المثابة؛ لأن هذا العبد صاحب البطاقة كان في قلبه من التوحيد واليقين والإخلاص ما أوجب أن عظم قدره حتى صار راجحاً على هذه السيئات).

وقال ابن القيم: (والأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها، وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب، فتكون صورة العملين واحدة، وبينهما من التفاضل كما بين السماء والأرض، قال: وتأمل حديث البطاقة، ومعلوم أن كل موحد له هذه البطاقة، والكثير منهم يدخل النار بذنوبه، بل اليهود أكثر من يقولها، والذي يقولها ويخالفها أعظم كفراً ممن يجحدها أصلا؛ فإن الكافر الأصلي أهون كفراً من المرتد).

* **قال المصنف: رواه ابن حبان،** ابن حبان: هو محمد ابن حبان البستي الشافعي، الحافظ، صاحب التصانيف، مات بمدينة بست في عشر الثمانين سنة ٣٥٤ هـ.

والحاكم وصححه، هو محمد بن عبدالله النيسابوري الشافعي، يعرف بابن البيع، صاحب التصانيف ولد سنة ٣٢١هـ، ومات سنة ٤٠٥ هـ.

❊ **قوله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وللترمذي وحسنه عن أنس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **سمعت رسول الله** ﷺ **يقول: (قال الله تعالى: يا ابن آدم؛ لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة).**

الترمذي: اسمه محمد بن عيسى بن سورة صاحب الجامع وأحد الحفاظ، وكان ضرير البصر، وترمذ: نسبة لبلدة قديمة بطرف جيحون مات بها سنة ٢٧٩هـ.

❊ **قوله**: عن أنس: هو أنس ابن مالك بن النضر الخزرجي الأنصاري خادم رسول الله ﷺ، خدمه عشر سنين، قدم النبي ﷺ المدينة وهو ابن عشر، فقالت أمه: هذا غلام يخدمك، وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة سنة ٩٢ هـ، وقد جاوز المائة.

وذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث أنس مستدلاً به على فضل التوحيد، فإن التوحيد الخالص الذي لا يشوبه شرك لا يبقى معه ذنب، ولو كانت قراب الأرض، ومعنى قراب الأرض: ملء الأرض، وهذا حديث قدسي، أوله: (**قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي،.....**) إلخ.

وأخرج أحمد ومسلم وغيرهما عن أبي ذر: (**ومن عمل قراب الأرض خطيئة ثم لقيني لا يشرك بي شيئاً جعلت له مثلها مغفرة**).

❊ **وقوله: ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً**، أي: ثم مت حال كونك لا تشرك بي

شيئاً، وهذا شرط في الوعد بحصول المغفرة وهو السلامة من الشرك قليله وكثيره.

فمغفرة الذنوب مشروطة بالسلامة من الشرك، فالذي لا يسلم من الأكبر لا تنفعه أصلاً، والذي مات ومعه الأصغر تضعف معه، لا يقوى قولها على تكفير السيئات، والذي معه البدع والمعاصي ينقص ثوابها.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى**: «**سعة فضل الله**» أي: بحيث لو لقيه العبد بملء الأرض خطايا ثم لقيه غير مشرك به شيئا لقيه بمثلها مغفرة.

* **الثانية**: «**كثرة ثواب التوحيد عند الله**» أي: لكون من مات عليه دخل الجنة وحرم على النار وكلمته ترجح على جميع المخلوقات.

* **الثالثة**: «**تكفيره مع ذلك للذنوب**» أي: أن من مات على التوحيد لا يشرك بالله شيئاً غفر الله له ذنوبه لأن هذا يتضمن من محبة الله وإجلاله والإقبال عليه ما يمنع صاحبه أن يصر على الذنوب بل يتوب عنها فتكفر عنه.

* **الرابعة**: «**تفسير الآية التي في سورة الأنعام**» أي: قوله تعالى: ﴿**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ**﴾ وتفسيرها أي: هؤلاء الذين أخلصوا لله ولم يخلطوا توحيدهم بشرك هم الآمنون في الآخرة المهتدون في الدنيا.

* **الخامسة**: «**تأمل الخمس التي في حديث عبادة**» أي: من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبد الله ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله

وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق.

* **السادسة**: «**أنك إذا جمعت بينه وبين حديث عتبان وما بعده تبين لك معنى قول لا إله إلا الله وتبين لك خطأ المغرورين**» أي: إذا جمعت بين حديث عبادة الذي فيه: «شهادة أن لا إله إلا الله» وحديث عتبان الذي فيه: «يبتغي بذلك وجه الله».

وحديث أنس الذي فيه ترك الشرك تبين لك أن معنى لا إله إلا الله التكلم بهذه الكلمة مع الاعتقاد لمعناها والعمل بمقتضاها وإفراد الله بجميع أنواع العبادة وترك الشرك وتبين لك خطأ المغرورين الذين يظنون أن التلفظ بهذه الكلمة كاف في التوحيد مع ما هدموه من أركانها وارتكبوه من الشرك المنافي لها.

* **السابعة**: «**التنبيه للشرط الذي في حديث عتبان**» أي: هو كونه يبتغي بذلك وجه الله.

* **الثامنة**: «**كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل لا إله إلا الله**» أي: حيث أرشد الله موسى إلى قولها ثم نبهه على فضلها.

* **التاسعة**: «**التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات مع أن كثيراً ممن يقولها يخف ميزانه**» أي: لقوله: «مالت بهن لا إله إلا الله»، وأما كون كثير ممن يقولها يخف ميزانه فلعدم تحققه بها ظاهراً وباطناً وعدم الإتيان بجميع شروطها وأركانها ولوازمها.

* **العاشرة**: «**النص على أن الأرضين سبع كالسموات**» أي: لقوله: «والأرضين السبع».

* **الحادية عشرة: «أن لهن عمارا»** أي: السموات؛ لقوله: «وعامرهن غيري».

* **الثانية عشرة: «إثبات الصفات خلافاً للمعطلة»** أي: يؤخذ من الحديث إثبات الصفات مثل كونه تعالى قال ويقول خلافاً لمن نفى صفات الكلام وعطلها وفيه دليل على عظمته، جل وعلا، وعلوه بذاته لقوله: «وعامرهن غيري» وإثبات صفة الوجه كما أشار إليه بعد ذلك.

* **الثالثة عشرة: «أنك إذا عرفت حديث أنس عرفت أن قوله في حديث عتبان: «فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله» أنه ترك الشرك ليس قولها باللسان فقط»** أي: إذا عرفت حديث أنس الذي فيه أن الخطايا لا تغفر إلا باجتناب الشرك عرفت أن تحريم النار المذكور في حديث عتبان ليس لمن قالها باللسان فقط بل لابد من ترك الشرك وإفراد الله وحده بالعبادة.

* **الرابعة عشرة: «تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبدي الله ورسوليه»** أي: دفعاً للإفراط والتفريط فكونهما عبدين ينفي الإفراط والغلو وكونهما رسولين ينفي التفريط الذي هو ترك تعظيمهما واتباعهما والإيمان بهما.

* **الخامسة عشرة: «معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله»** أي: وجد بكُنْ وليس هو كُنْ ولكن بكُنْ كان وذلك أن الله أرسل الملك إلى مريم فنفخ فيها فقال الله له كُنْ فكان.

* **السادسة عشرة: «معرفة كونه روحا منه»** أي: من الأرواح التي خلقها واستنطقها بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾.

❊ **السابعة عشرة:** «**معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار**» أي: حيث جعله شرطاً في دخول الجنة وقرنه بالشهادتين وما بعدها.

❊ **الثامنة عشرة:** «**معرفة قوله على ما كان من العمل**» أي: من مات عاملاً بما ذكر في الحديث معتقداً له دخل الجنة على ما كان عليه من صلاح وفساد لأن أهل التوحيد لابد لهم من دخول الجنة.

❊ **التاسعة عشرة:** «**معرفة أن الميزان له كفتان**» أي: حيث بين في الحديث أن السموات السبع والأرضين وعامرهن لو وضعت في كفه ولا إله إلا الله في الكفة الأخرى مالت بهن لا إله إلا الله.

❊ **العشرون:** «**معرفة ذكر الوجه**» أي: كما في قوله ﷺ: «يبتغي بذلك وجه الله» ففيه إثبات صفة الوجه لله حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته.



٣- بَابُ مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ دَخَلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ

وَقَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٠].

وَقَالَ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٩].

وَعَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ رَأَى الْكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَّ الْبَارِحَةَ؟ فَقُلْتُ: أَنَا. ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلاةٍ، وَلَكِنِّي لُدِغْتُ. قَالَ: فَمَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: ارْتَقَيْتُ قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قُلْتُ: حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ. قَالَ: وَمَا حَدَّثَكُمْ؟ قُلْتُ: حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ أَنَّهُ قَالَ: (لا رُقْيَةَ إِلا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ). قَالَ: قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ، وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلانِ، وَالنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ. فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ). ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ الله ﷺ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلامِ فَلَمْ يُشْرِكُوا بِالله شَيْئًا. وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ الله ﷺ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: (هُمُ الَّذِينَ لا يَسْتَرْقُونَ، وَلا يَكْتَوُونَ، وَلا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ). فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. فَقَالَ: (أَنْتَ مِنْهُمْ)، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. فَقَالَ: (سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ).

***

(الشرح)

أي: أن هذا باب فيه أدلة من الكتاب والسنة تدل على أن من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، لما ذكر رحمه الله تعالى التوحيد وفضله ناسب أن يذكر تحقيقه، فإنه لا يحصل كمال فضله إلا بكمال تحقيقه، وتحقيق التوحيد تخليصه وتصفيته عن شوائب الشرك والبدع والمعاصي.

والشرك الأكبر ينافيه بالكلية والشرك الأصغر ينافي كماله الواجب، والبدع والمعاصي تقدح فيه وتنقص ثوابه، فإذا حصل هذا التحقيق حصل الأمن التام، والاهتداء التام.

* **ثم ذكر المصنف** رحمه الله **قوله تعالى:** ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، مناسبة الآية للترجمة أن الله تعالى وصف خليله عليه الصلاة والسلام بهذه الصفات التي هي الغاية في تحقيق التوحيد، وقد أمرنا بالتأسي والاقتداء به، كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ أي: إماماً على الحنيفية، قدوة يقتدى به، معلماً للخير، ﴿قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ أي: خاشعاً مطيعاً، ﴿حَنِيفًا﴾ أي: منحرفاً عن الشرك إلى التوحيد، مقبلاً إلى الله، ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾فارقهم بالقلب واللسان والبدن، وأنكر ما كانوا عليه من الشرك، كما قال الله عنه أنه قال: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾، وضم إلى ذلك أن اعتزله، كما في قوله

تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

* **ثم ذكر المصنف قوله تعالى:** ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾، فبهذه الآية أن الله وصف المؤمنين السابقين بهذه الصفات الحميدة، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ أي: لا يعبدون معه غيره، بل يوحدونه، ومن كان كذلك فقد بلغ تحقيق التوحيد هذا مناسبة الآية للترجمة.

* **قوله عن حصين بن عبدالرحمن،** وهو من كبار أصحاب الحديث، ثقة روى عن جابر وغيره، وروى عنه شعبة والثوري وجماعة، مات سنة ١٣٦هـ.

* **قوله: قال: كنت عند سعيد بن جبير،** وسعيد هو أبو محمد الإمام الفقيه، من جلة أصحاب ابن عباس.

* **قوله: فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة،** القائل هو سعيد بن جبير، والكوكب النجم، قوله (انقض) أي: سقط، (والبارحة): هي أقرب ليلة مضت.

* **قوله: فقلت:** أنا، أي: قال حصين بن عبدالرحمن: أنا رأيته، أي: الكوكب.

* **ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة،** القائل هو حصين نفى عن نفسه، إيهام العبادة.

* **قوله: ولكني لدغت،** واللدغ واللسع واللسب بمعنى، أي: أني استيقضت من اللدغ، لا أني كنت أصلي.

قال: فما صنعت؟ أي: القائل هو سعيد.

قلت: ارتقيت، القائل هو حصين، أي: طلبت من يرقيني.

❊ **قوله: قال: فما حملك على ذلك؟** أي: أن سعيد سأله عن مستنده في فعله.

❊ **قلت: حديث حدثناه الشعبي،** أي: حصين قال: حدثنا الشعبي، والشعبي هو عامر بن شراحيل، ولد في خلافة عمر، من كبار فقهاء التابعين وثقاتهم، روى عن علي وسعد بن أبي وقاص وغيرهم، وعنه أبو إسحاق السبيعي وأشعث، مات سنة ١٠٣هـ.

❊ **قال: وما حدثكم؟** سعيد قال: لحصين وما حدثكم به الشعبي من جواز الرقية.

❊ **قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب،** الأسلمي المتوفى بمرو سنة ٦٢هـ.

❊ **أنه ﷺ قال: (لا رقية إلا من عين أو حمة)،** وهذا الموقوف رواه أحمد وابن ماجه عنه مرفوعاً، ورواه أحمد وأبو داود والترمذي عن عمران بن حصين مرفوعاً، ورجال أحمد ثقات، وأصله في الصحيحين، ومعنى قوله: **(لا رقية إلا من عين أو حمة)** أي: لا رقية أشفى وأولى من رقية العين و الحمة، كما أنها أي: الرقية تنفع في غيرهما من الأمراض، لأنه أمر بالرقية مطلقاً. والعين هي إصابة العائن غيره بعينه إذا نظر إليه، ولا تؤثر العين إلا بإذن الله الكوني لا الشرعي.

وأما الحمة: فهي لدغ وقرص الحية والعقرب وشبههما.

❊ **قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع،** أي: فعل الحسن من أخذ بما بلغه من العلم وعمل به.

* **قوله: ولكن حدثنا ابن عباس،** أي: أخبر سعيد بن جبير، حصين بن عبدالرحمن عن درجة أرفع من تلك الدرجة وهي تحقيق التوكل، لذا علم أن الحديث الأول، لا يخالف الثاني.

وابن عباس، هو عبدالله بن عباس ابن عبدالمطلب ابن عم النبي ﷺ، مات بالطائف سنة ٦٨ هـ.

* **قوله: عن النبي ﷺ قال: عرضت عليَّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط،** الرهط: هم الجماعة دون العشرة.

* **قوله: والنبي ومعه الرجل والرجلان،** أي: لم يتبعه إلا واحد أو اثنان.

* **قوله: والنبي وليس معه أحد،** أي: يبعث في قومه فلا يتبعه منهم أحد.

* **قوله: إذ رفع لي سواد عظيم،** ضد البياض، أي: رفع لي أشخاص كثيرة، من بعد لا أدري من هم.

* **قوله: فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه،** أي: موسى ابن عمران كليم الرحمن. وقومه: أتباعه على دينه من بني إسرائيل.

* **قوله: فنظرت فإذا سواد عظيم،** وفي رواية: (قد سد الأفق).

* **قوله: فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب،** لتحقيقهم التوحيد، وفيه فضيلة هذه الأمة وأنهم أكثر الأمم تابعا لنبيهم ﷺ، وفيه فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية، والكمية: الكثرة والعدد،

والكيفية: فضيلتهم في صفاتهم، وفي رواية: (ويدخل الجنة من هؤلاء من أمتك سبعون ألفاً)، وفي رواية: (تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر)، وأخرج أحمد والبيهقي وغيرهما: (فاستزدت ربي فزادني مع كل ألف سبعين ألفاً). قال الحافظ: وسنده جيد، وفي مسند أحمد: (مع كل واحد منهم سبعون ألفاً).

* **قوله: ثم نهض فدخل منزله،** أي: أن النبي ﷺ قام من مجلسه، فدخل منزله، أي: داره وبيته.

* **قوله: فخاض الناس في أولئك،** أي: تباحث الحاضرون وتناظروا واختلفوا في شأن السبعين ألف، في أي: عمل نالوا هذه الدرجة.

* **قوله: فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ**، أي: أن هؤلاء هم الذين صحبوا الرسول ﷺ، بأنهم أفضل الخلق بعد الرسل رضي الله عنهم وأرضاهم.

* **قوله: وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً،** أي: أن لهم مزية على من ولد في الجاهلية، لكن هذا ليس على الأطلاق، فقد يكون من أدركته الجاهلية أفضل كما في الحديث: (خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا)، وكما وقع لعمر وخالد وغيرهما رضي الله عنهما.

* **قوله: وذكروا أشياء،** أي: غير هاتين الخصلتين.

* **قوله: فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه،** بما تفاوضوا فيه من هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب.

* **قوله: فقال: هم الذين لا يسترقون،** أي: لا يطلبون من يرقيهم مع جواز الرقية، فقد رقى جبريل النبي ﷺ، ورقى النبي ﷺ أصحابه، ولكن هذا من غير طلب، والمراد هنا وصف السبعين ألفاً بتمام التوكل، حتى أنهم لا يسألون غيرهم أن يرقيهم.

* **قوله: ولا يكتوون،** أي: لا يسألون غيرهم أن يكويهم، كما لا يسألون غيرهم أن يرقيهم مع أن الكي في نفسه جائز، وإنما ورد الثناء على تاركه فيدل على أن تركه أفضل وأكمل، فمن ترك سؤال الرقية والكي احتساباً، فهو من كمال تحقيق التوحيد، ومن تركه تجلداً وتصبراً لم يكن تركه من التوحيد في شيء فضلاً عن أن يكون من تحقيقه.

* **قوله: ولا يتطيرون،** أي: لا يتشاءمون بالطير ونحوها.

* **قوله: وعلى ربهم يتوكلون،** أي: أنهم يتركون الأمورالتي تركها أكمل في التحقيق مع حاجتهم إليها توكلا على الله كالاكتواء والاسترقاء، وأما مباشرة الأسباب والتداوي على وجه لا كراهة فيه، فغير قادح في التوكل، فلا يكون تركه مشروعاً، لما في الصحيحين: (**ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله**)، وروى أحمد مرفوعاً: (**يا عباد الله تداووا، فإن الله لم يضع داء، إلا وضع له شفاء غير داء واحد، قالوا: ما هو؟ قال: الهرم**)، فلا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب، وتعطيلها يقدح في التوكل، فلا يجعل العبد عجزه توكلاً، ولا توكله عجزاً.

* **قوله: فقام عكاشة بن محصن،** هو عكاشة ابن محصن الأسدي، من السابقين، شهد بدراً، واستشهد في قتال الردة مع خالد بن الوليد، سنة ١٢هـ.

* **قوله: فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم،** قال: أنت منهم، وفي رواية في البخاري: **(اللهم اجعله منهم)**.

* **قوله: ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: سبقك بها عكاشة،** أي: قال ذلك سدّاً للذريعة لئلا يتتابع الناس فيسأل من ليس أهلاً فيرد، فيعرفه الحاضرون، وفيه استعمال المعاريض، وحسن خلقه ﷺ حيث لم يقل أنت منهم، ولا لست منهم، وهذا الحديث رواه البخاري ومسلم واللفظ له.

❖ فيه مسائل وإيضاحها:

* **الأولى:** «**معرفة مراتب الناس في التوحيد**» أي: أنها مختلفة فمنهم من يدخل الجنة بغير حساب ومنهم من يدخل النار بذنوبه ثم يخرج منها ومنهم من هو بين ذلك.

* **الثانية:** «**ما معنى تحقيقه**» أي: معناه تخليصه وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والإصرار على المعاصي.

* **الثالثة:** «**ثناؤه سبحانه على إبراهيم بكونه لم يك من المشركين**» أي: لقوله: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ فقد تبرأ منهم وكفر بهم وعاداهم وكسر أصنامهم وهذا هو الغاية في تحقيق التوحيد.

* **الرابعة**: «**ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك**» أي: لقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ﴾ وهذا يتضمن إقبالهم على الله تعالى وسلامتهم من الشرك مطلقا وهذا هو تحقيق التوحيد.

* **الخامسة**: «**كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد**» أي: لقوله: «هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون» وذلك لما فيه من التفات القلب إلى غير الله تعالى.

* **السادسة**: «**كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل**» أي: تركوا هذه الخصال توكلا على الله لقوله: «وعلى ربهم يتوكلون».

* **السابعة**: «**عمق علم الصحابة لمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بالعمل**» أي: لقول بعضهم: «فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ» وقول بعضهم: «لعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً» وذكروا أشياء.

* **الثامنة**: «**حرصهم على الخير**» أي: لما حرصوا على معرفة أعمالهم ليعملوا بها فيحصلوا ثواب الذين يدخلون الجنة بغير حساب دل ذلك على حرصهم على الخير.

* **التاسعة**: «**فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية**» أي: أنه يدخل الجنة منهم خلق كثير فهذا بالكمية وأما بالكيفية فدخول سبعين ألفا منهم الجنة بغير حساب ولا عذاب.

* **العاشرة**: «**فضيلة أصحاب موسى**» أي: لقوله: «إذ رفع لي سواد عظيم فظننتهم أُمَّتي، فقيل هذا موسى وقومه»، ثم ذكر ما يدل على أن هذه الأمة أفضل منهم.

* **الحادية عشرة: «عرض الأمم عليه عليه الصلاة والسلام»** أي: لقوله: «عرضت علي الأمم» والمراد أن الله أراه مثالها إذا جاءت يوم القيامة.

* **الثانية عشرة: «أن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها»** أي: لقوله: «فرأيت النبي ومعه الرهط».. الخ.

* **الثالثة عشرة: «قلة من استجاب للأنبياء»** أي: لقوله: «والنبي ومعه الرجل والرجلان».

* **الرابعة عشرة: «أن من لم يجبه أحد يأتي وحده»** أي: لقوله: «والنبي وليس معه أحد».

* **الخامسة عشرة: «ثمرة هذا العلم وهو عدم الاغترار بالكثرة وعدم الزهد في القلة»** أي: أن هذا الحديث يفيد أن الأكثر لم يتبعوا الرسل فلا يغتر بهم وأن الأقل هم الذين اتبعوهم فلا يزهد بهم بل يتبع الحق الذي هم عليه ويترك الباطل الذي عليه الأكثر ولا يغتر بهم كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾.

* **السادسة عشرة: «الرخصة في الرقية من العين والحُمَّةٍ»** أي: لقوله: «لا رقية إلا من عين أو حُمَّةٍ» والعين إصابة العائن غيره، والحمة قرصة العقرب وشبهها من ذوات السموم.

* **السابعة عشرة: «عمق علم السلف»** لقوله: **«قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ولكن كذا وكذا» فعلم أن الحديث الأول لا يخالف الثاني»** أي: لما ذكر حصين أنه فعل الرقية لما بلغه من حديث بريدة صوبه سعيد ثم بين له ما هو أفضل من ذلك

وأنه لا يخالفه بل يزيد عليه.

❊ **الثامنة عشرة:** «**بعد السلف عن مدح الإنسان بما ليس فيه**» أي: لقول حصين: «أما إني لم أكن في صلاة» فخاف أن يظن الحاضرون أنه قام يصلي فدفع عن نفسه إيهام العبادة.

❊ **التاسعة عشرة:** «**قوله أنت منهم**» علم من أعلام النبوة أي: لكونه قتل شهيداً في سبيل الله فوقع كما أخبر.

❊ **العشرون:** «**فضيلة عكاشة**» أي: لقوله: «أنت منهم» أي: الذين يدخلون الجنة بغير حساب.

الحادية والعشرون: «**استعمال المعاريض**» أي: لما خاف أن يقوم من ليس بأهل فيطلب ذلك سد الباب بقوله: «سبقك بها عكاشة».

الثانية والعشرون: «**حسن خلقه ﷺ**» أي: لكونه لم يقل: «لست منهم» فيقع في نفسه شيء ولكنه قال: «سبقك بها عكاشة».



٤ ـ بَابُ اَلْخَوْفِ مِنْ اَلشِّرْكِ

وَقَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (النساء: ٤٨).

وَقَالَ اَلْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ (إبراهيم: ٣٥).

وَفِي اَلْحَدِيثِ: (أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اَلشِّرْكُ الأَصْغَر)، فَسُئِلَ عَنْهُ فَقَالَ: (اَلرِّيَاءُ).

وَعَنْ اِبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ الله نِدًّا دَخَلَ اَلنَّارَ) (رَوَاهُ اَلْبُخَارِيُّ).

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ لَقِيَ اَللهَ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ اَلْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ اَلنَّارَ).

***

(الشرح)

وذلك لأن الإنسان إذا عرف التوحيد وفضله وتحقيقه، ناسب أن يُذَّكَرَ المؤمن بالخوف من ضده، وهو الشرك، وحقيقة الخوف من الشرك صدق الالتجاء إلى الله والاعتماد عليه والابتهال والتضرع إليه سبحانه، كما في الحديث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يكثر في دعائه أن يقول: «**اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**»، قال قلت: يا رسول الله وإن القلوب لتتقلب؟ قال: «**نعم، ما خلق الله من بني آدم من بشر إلا أن قلبه بين إصبعين من أصابع الله فإن شاء الله أقامه وإن شاء أزاغه**» (رواه أحمد في

مسنده، والترمذي في جامعه)، ورواه مسلم بلفظ: «**أن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرّفه حيث شاء، ثم قال: اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك**».

* **قال المصنف** رحمه الله: وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾، في هذه الآية دليل على أن من مات على الشرك لا يغفر الله له، فهذا يوجب للعبد شدة الخوف من الشرك الذي هذا شأنه عند الله، وهذا هو مناسبة الآية لهذا الباب.

* **قوله:** ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ أي: ما دون الشرك الأكبر من الذنوب، داخل تحت المشيئة، إن شاء غفر لمن لقيه به، وإن شاء عذبه، ولا يجوز أن يحمل قوله: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ على التائب، فإن التائب من الشرك مغفور له بنص القرآن، وفي الآية رد على الخوارج المكفرين بالذنوب، وعلى المعتزلة القائلين بتخليد أصحاب الكبائر في النار، وعلى المرجئة الذين يقولون لا يضر مع الإيمان ذنب.

* **وقول المصنف** رحمه الله: **وقال الخليل** عليه السلام، هو إبراهيم بن آزر، هاجر إلى الشام، وتوفي بها، والخلة أخص من المحبة، كما في قوله ﷺ: (**فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً**).

* **قوله:** ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾، ومناسبة الآية في هذا الباب، هي أنه إذا كان الخليل عليه السلام يخاف أن يقع في الشرك، فكيف يأمن الوقوع فيه من هو دونه فهو أولى بالخوف منه، وأولى بعدم الأمن من الوقوع فيه. قال إبراهيم التيّمي:

(ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم).

* **قوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: **وفي الحديث: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، فسئل عنه فقال: «الرياء»**، هذا الحديث رواه أحمد والطبراني، ومناسبته للباب أن النبي ﷺ، خاف على أصحابه من الوقوع في الشرك الأصغر، فينبغي للإنسان أن يحذر كل الحذر، ويخاف أن يقع في الشرك الأكبر إذا كان الأصغر مخوفاً على الصالحين.

والشرك قسمان: أكبر وأصغر:

فالأكبر: أن يسوي غير الله في الله، فيما هو من خاص بالله تعالى: كالمحبة، والتوكل، والذبح وغير ذلك، وحكمه أنه لا يغفر لصاحبه أبداً، إلا بالتوبة قبل الموت، وأنه يحبط جميع الأعمال، وأن صاحبه خالدٌ مخلدٌ في النار إذا مات عليه نعوذ بالله من النار.

والأصغر: هو ما أتى في النصوص أنه شرك، ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر، كالرياء والسمعة، فإن المرائي يصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل إليه، وهو يحبط العمل الذي قارنه، من أوله إلى آخره، وقد لا يحبط العمل إذا كان في أثنائه ودافعه ولا يوجب التخليد في النار، ولا ينقل عن الملة، ويدخل تحت الموازنة، إن حصل معه حسنات راجحة على ذنوبه كان تحت المشيئة.

* **وقوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: **وعن ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أن رسول الله** ﷺ **قال: «من مات وهو يدعو لله ندا دخل النار»** [رواه البخاري]، والند المثل والشبيه، واتخاذ الند على قسمين:

الأول: أن يجعل لله شريكاً في أنواع العبادة أو بعضها، هذا شرك أكبر.

والثاني: ما كان من نوع الشرك الأصغر، كقول الرجل: ما شاء الله وشئت،

ولولا الله وأنت، وكيسير الرياء.

وهذا الحديث فيه أيضاً التحذير من الشرك والتخويف منه، فمن جعل لله ندا في العبادة يدعوه ويسأله ويستغيث به، نبياً كان أو غيره، ومات قبل التوبة دخل النار، نعوذ بالله من النار.

* **وقول المصنف** رحمه الله: **ولمسلم عن جابر** رضي الله عنه، جابر: هو ابن عبدالله ابن عمرو بن حرام الأنصاري، صحابي جليل، مات بالمدينة سنة ٧٤ هـ، وله ٩٤ سنة.

* **قوله: أن رسول الله** صلى الله عليه وسلم **قال: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة»**، ففي هذا الحديث دليل على فضيلة السلامه من الشرك.

* **وقوله** صلى الله عليه وسلم: **«ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار»**، فيه التغليظ في النهي عن الشرك، فينبغي شدة الخوف منه، نعوذ بالله من الشرك الأكبر والأصغر.

❖ فيه مسائل وإيضاحها:

* **الأولى: «الخوف من الشرك»** أي: لكون الله أخبر أنه لا يغفره لمن لم يتب منه فهذا يوجب الحذر منه ولقوله عليه الصلاة والسلام: **«أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»**.

* **الثانية: «أن الرياء من الشرك»** أي: لقوله: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» فسئل عنه فقال: «الرياء».

❊ **الثالثة**: «**أنه من الشرك الأصغر**» أي: لقوله: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» الخ.

❊ **الرابعة**: «**أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين**» أي: لكون النبي ﷺ خافه على الصحابة مع فضلهم وسابقتهم فكيف بغيرهم.

❊ **الخامسة**: «**قرب الجنة والنار**» أي: حيث أخبر أن من مات غير مشرك دخل الجنة ومن مات مشركاً دخل النار فلم يجعل بينه وبينها شيئاً إلا الموت على ذلك.

❊ **السادسة**: «**الجمع بين قربهما في حديث واحد**» أي: كما في حديث جابر.

❊ **السابعة**: «**أنه من لقيه لا يشرك به شيئاً دخل الجنة**» أي: لكونه من أهل التوحيد وأهل التوحيد لابد لهم من دخول الجنة برحمة الله تعالى، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار ولو كان من أعبد الناس أي: لأن الشرك يحبط الأعمال فلا تنفعه عبادته.

❊ **الثامنة**: «**المسألة العظيمة سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام**» أي: إذا كان إبراهيم الذي أثنى الله عليه بما أثنى قد خاف على نفسه وعلى بنيه الذين منهم الأنبياء عبادة الأصنام فكيف بغيره كما قال إبراهيم التيمي: «ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم».

❊ **التاسعة**: «**اعتباره بحال الأكثر لقوله**: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾»

أي أن سبب خوفه من ذلك أن الأكثر قد ضل بعبادة الأصنام فلم يتخلص منها إلا القليل من الناس.

❊ **العاشرة**: «**فيه تفسير لا إله إلا الله كما ذكره البخاري**» أي: أنها تقتضي إفراد الله بالعبادة، وأن لا يشرك به شيء من خلقه ولا يجعل له ند منهم.

❊ **الحادية عشرة**: «**فضيلة من سلم من الشرك**» أي: أن من سلم منه دخل الجنة.



٥ ـ باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله الله

وقوله الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله ﷺ، لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: (إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله ـ وفي رواية: إلى أن يوحدوا الله ـ فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك: فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب) (أخرجاه).

ولهما عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يُحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه». فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها. فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها. فقال: (أين علي بن أبي طالب؟)، فقيل: هو يشتكي عينيه، فأرسلوا إليه، فأتى به فبصق في عينيه، ودعا له، فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية وقال: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً، خير لك من حمر النعم».

(يدوكون): يخوضون.

***

(الشرح)

* نبه المصنف رحمه الله في هذه الترجمة على أنه ينبغي لمن عرف ما تقدم، أي: عرف التوحيد وفضله وتحقيقه، والخوف مما يناقضه ينبغي له ألا يقتصر على نفسه، بل يدعو إلى الله، وإلى شهادة أن لا إله إلا الله، وإلى العمل بشهادة أن لا إله إلا الله، وإلى تحقيق التوحيد، ليكون من ورثة الأنبياء وعلى طريقهم وطريق أتباعهم، ولا ريب أن كل واحد من الأمة يجب عليه أن يقوم بما يقدر عليه من الدعوة إلى الله، ما لم يقم به غيره، فيكون من فروض الكفاية، كالدعوة إلى العمل بأركان الإسلام وأصول الإيمان، بل الأمر بما أمر الله به، والنهي عما نهى عنه.

* **وقال المصنف رحمه الله تعالى: وقول الله تعالى:** ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ﴾ الآية، يقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: قل: هذه الدعوة التي أدعو إليها من الدعاء إلى توحيد الله، طريقتي، ومسلكي، أدعو إلى الله، لا إلى حظ نفسي، على بصيرة بذلك ويقين، ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ أي: ويدعو إليه على بصيرة أيضاً من اتبعني وصدقني وآمن بي، ومعنى البصيرة: المعرفة التي تميز بها بين الحق والباطل، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، أي: لست من المشركين بالاعتقاد ولا في العمل، ولا في المسكن، ففي هذا البراءة من الشرك وأهله، فلابد في الدعوة إلى الله، أن تكون خالصةً لوجه الله تعالى، وتكون على وفق سنة رسول الله ﷺ، فإن أخل بالأول، كان في العمل شرك، وإن أخل في الثاني كان فيه بدعة.

* **قال رحمه الله تعالى: وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً**

إلى اليمن، أرسله إلى اليمن النبي ﷺ، سنة عشر قبل حجه ﷺ، أرسله إلى اليمن مبلّغاً لهم، ومفقهاً، ومعلماً، وحاكماً، وهذا من فضائل معاذ رضي الله عنه، ولم يزل في اليمن إلى أن قدم في خلافة أبي بكر، ثم توجه إلى الشام، فمات بها رضي الله عنه وأرضاه.

* **قوله ﷺ: قال له: إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**، أي: يعني بذلك اليهود والنصارى لأنهم كانوا في اليمن أكثر من مشركي العرب، فنبه على أنهم ليسوا أميين كسائر العرب، ليتهيأ لمناظرتهم، وهو كالتوطئة للوصية ليجمع همته.

* **قوله ﷺ: فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**، أي: أنهم قد يأتونك بعلوم وأشياء، ولكن لا يكن همك إلا هذا الشأن.

* **قوله ﷺ: وفي رواية: (إلى أن يوحدوا الله)**، هذه الرواية في صحيح البخاري، بيَّن بها المصنف معنى شهادة أن لا إله إلا الله، أي: أن معناها توحيد الله بالعبادة ونفي عبادة ما سواه، وفي رواية للبخاري: (أدعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله)، فهذه الروايات يفسر بعضها بعضاً، والمراد بذلك النطق بالشهادتين والعلم والعمل بما دلت عليه، من إفراد الله بالعباده.

* **قوله: فإن هم أطاعوك لذلك**، أي: شهدوا وانقادوا لذلك، وكفروا بما يعبد من دون الله.

* **قوله ﷺ: فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة**، فيه دليل على أن الصلاة أول واجب بعد الشهادتين، وأن الصلاة لا تصح إلا

بالتوحيد، وفيه دليل على أن الواجب من الصلوات هي الخمس الصلوات صلاة الفجر، وصلاة الظهر، وصلاة العصر، وصلاة المغرب، وصلاة العشاء، وما سوى ذلك إما أن يكون فرض كفاية أي: يكون من فروض الكفايات، أو من التطوعات المسنونة.

* **قوله ﷺ: فإن هم أطاعوك لذلك،** أي: وحدوا الله وأقاموا الصلاة.

* **قوله: فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم،** فيه دليل على أن الزكاة أوجب الأركان بعد الصلاة، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ .

وحديث: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة**»، وفيه أنها تؤخذ من الأغنياء فترد على الفقراء.

* **قوله: فإن هم أطاعوك لذلك،** أي: أدوا الزكاة المشروعة فاقبلها منهم، وفي رواية: (فإذا أقروا بذلك فخذ منهم).

* **قوله: فإياك وكرائم أموالهم،** بنصب كرائم على التحذير، من أخذ كرائم الأموال دون الوسط، فإنه يحرم على العامل أخذ كرائم الأموال، كما يحرم على صاحبه إخراج شراره بل الوسط.

* **قوله: واتق دعوة المظلوم،** أي: اجعل العدل وترك الظلم وقاية بينك وبين الله تقيك دعوة المظلوم.

* **قوله: فإنه ليس بينها وبين الله حجاب،** أي: أن دعوة المظلوم لا ترد ولا تحجب.

* **قوله: أخرجاه،** أي: البخاري ومسلم.

قال المصنف رحمه الله تعالى: ولهما، أي: البخاري ومسلم.

* **قوله: عن سهل بن سعد** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **سهل بن سعد** الخزرجي الأنصاري صحابي، وابن صحابي، وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة سنة ٨٨، وقيل: ٩١هـ، وقد جاوز المائة.

* **قوله: أن رسول الله** ﷺ **قال يوم خيبر،** أي: قال يوم حصار خيبر سنة ٧هـ.

* **قوله: لأعطين الراية،** قال جماعة من أهل اللغة: بترادف الراية واللواء، لكن روى أحمد والترمذي من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**كانت راية رسول الله** ﷺ **سوداء ولواؤه أبيض**»، والراية علم الجيش، يرجعون إليه عند الكر والفر، وكذا لواء الجيش علمه، وهو دون الراية.

* **قوله غداً**: والغد اليوم التالي ليومك على أثره.

* **قوله: رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله،** فيه إثبات صفة المحبة لله عَزَّ وَجَلَّ، وأنه سبحانه يحب ويحب، كما في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾، خلافاً لمن أوَّلَ صفة المحبة، ولم يثبتها كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة ونحوهم، وتأويلهم باطل مردود لأنه خلاف الحق، والحق إثبات صفة المحبه لله على ما يليق بجلالة وعظمته كسائر أسمائه وصفاته، وأنه سبحانه يُحِب ويُحَب

ففي هذا إثبات فضيلة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وزيادة منقبته، بشهادة رسول الله ﷺ له بذلك، مع أن هذا الوصف ليس مختصا به، ولا بالأئمة، لكن هذا الحديث من أقوى ما يحتج به على النواصب الذين لا يتولونهُ، أو يفسقونه كالخوارج، وقد وردت أحاديث في فضل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غير هذا كقوله ﷺ: «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي**» (رواه مسلم، ورواه البخاري بنحوه).

* **قوله: يفتح الله على يديه**، وهذا على وجه البشارة بحصول الفتح، فهو علم من أعلام النبوة، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾.

* **قوله: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها**، أي: يخوضون فيمن يدفع الراية إليه.

* **قوله: فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها**، حرصاً عليه لكونه محبوباً عند الله، وتفتح هذه البلدة على يديه، ففيه أن فعل الأسباب المباحة أو الواجبة أو المستحبة لا ينافي التوكل.

فقال: أين علي بن أبي طالب؟ وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو ابن عم النبي ﷺ وزوج ابنته فاطمة، الخليفة الرابع، من أسبق السابقين، ومن أهل بدر وبيعة الرضوان، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، ومناقبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مشهورة، قتله ابن مُلجم في رمضان سنة ٤٠هـ.

* **قوله: فقيل: هو يشتكي عينيه**، أي: من الرمد، كما في صحيح مسلم: (فأُتي

َبه أرمد)، وفيه عن سلمة: (فأرسلني إلى علي، فجئت به أقوده أرمد، فبصق في عينيه فبرأ).

* **قوله: فأرسلوا إليه فأُتي به، فبصق في عينيه،ودعا له فبرأ، كأن لم يكن به وجع،** أي: عوفي في الحال عافية كاملة، كأن لم يكن به وجع، وذلك بسبب دعوة النبي ﷺ.

* **قوله: وأعطاه الراية فقال: انفذ على رسلك،** حتى تنزل بساحتهم، أي: امض برفق وتؤدة، متمهلاً على رسلك، من غير عجلة ولا طيش حتى تنزل بساحتهم، أي: بقرب حصونهم، وفيه الأدب عند القتال، وترك الطيش والأصوات المزعجة.

* **قوله: ثم ادعهم إلى الإسلام،** والإسلام هو: الاستسلام لله بالتوحيد والخضوع له، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، هذا هو الشاهد من الحديث للترجمة. **فالدعوة دعوتان:**

دعوة واجبة: وهي دعوة التبليغ، كما في قوله تعالى: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾، وقوله تعالى:﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾.

ودعوة مندوبة: وهي دعوتهم، وتبليغهم، قبل القتال كما فعل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* **قوله: وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه،** أي: أخبرهم بما يجب عليهم في الإسلام، إذا أجابوك إليه من الحقوق التي لابد لهم من فعلها، لأنها من شرائع الإسلام، فإن النطق بالشهادتين سبب العصمة، لا أنه نفسه العصمة، أو هو العصمة، لأنه لابد من العمل، فإن لله حقوقاً في الإسلام يجب على من نطق بالشهادتين

أن يأتي بها، كما في الحديث: «**فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**».

* **قوله: فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم،** أي: هداية رجل على يديك خير لك من الإبل الحمر، وإنما عبر بها لأنها أنفس أموال العرب إذ ذاك، وكانوا يضربون بها المثل، والمراد خير من الدنيا وما عليها، وتشبيه أمور الآخرة بأمور الدنيا للتقريب إلى الإفهام، وإلا فذرة من ذرات الآخرة خير من الدنيا بأسرها وأمثالها معها، كما جاء في الحديث: «**موضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها**».

* **قوله: يدوكون** أي: يخوضون.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى: «أن الدعوة إلى الله طريق من اتبعه ﷺ»** أي: لقوله: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾.

* **الثانية: «التنبيه على الإخلاص لأن كثيراً لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه»** أي: لقوله: ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ أي: ليعبد الله وحده لا لشيء آخر من تحصيل جاه ومنزلة عند الناس وغيرهما فإن ذلك ينافي الإخلاص.

* **الثالثة: «أن البصيرة من الفرائض»** أي: لما جعل أتباعه من كان على بصيرة ودعا إلى الله على بصيرة ومن ليس كذلك فليس منهم حقيقة دل ذلك على أنها من الفرائض لأن اتباعه فرض.

* **الرابعة**: «**من دلائل حسن التوحيد أنه تنزيه الله تعالى عن المسبة**» أي: لقوله: ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ وذلك أنه نزه الله أن يكون له شريك فدل على إفراده بالعبادة الذي هو التوحيد وأنه حسن مطلوب مأمور به.

* **الخامسة**: «**أن من قبح الشرك كونه مسبة الله**» أي: لقوله: ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ معناه: وقل تنزيها لله أن يكون له شريك أو معبود سواه فلما نزه نفسه عنه دل على قبحه.

* **السادسة**: «**وهي من أهمها إبعاد المسلم عن المشركين لئلا يصير منهم ولو لم يشرك**» أي: لقوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: لست منهم ولا هم مني أنا منهم بريء وهم مني برآء وقوله «ولو لم يشرك» أي: إذا لم يتبرأ من المشركين صار منهم ولو لم يشرك.

* **السابعة**: «**كون التوحيد أول واجب**» أي: حيث لم يؤمروا بشيء من الأعمال قبله بل أمر به قبل كل شيء ولو كان هناك شيء أوجب لبدأ به قبله لما أرسل معاذا.

* **الثامنة**: «**أنه يبدأ به قبل كل شيء حتى الصلاة**» أي: لقوله: «فإن هم أطاعوا لك بذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات».

* **التاسعة**: «**أن معنى أن يوحدوا الله معنى شهادة أن لا إله إلا الله**» أي: لقوله: «فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله» وفي رواية: «إلى أن يوحدوا الله» فدل ذلك على أن معناها إفراد الله بالعبادة ليس باللسان فقط.

* **العاشرة**: «**أن الإنسان قد يكون من أهل الكتاب وهو لا يعرفها أو يعرفها ولا يعمل بها**» أي: لكونه أمره أن يدعوهم إليها مع أنهم أهل كتاب، ولو كانوا يعرفونها ويعملون بها لما احتاج إلى أمره بذلك.

* **الحادية عشرة**: «**التنبيه على التعليم بالتدريج**» أي: لكونه أمره أن يدعو إلى الشهادة أولاً ثم الصلاة ثم الزكاة ولم يأمره أن يدعوهم إليها جميعاً دفعة واحدة.

* **الثانية عشرة**: «**البداءة بالأهم فالأهم**» أي: لكونه بدأ بالتوحيد أولاً ثم ثنى بالصلاة ثم ثلث بالزكاة.

* **الثالثة عشرة**: «**مصرف الزكاة**» أي: أنها تؤخذ من الأغنياء فترد على الفقراء.

* **الرابعة عشرة**: «**كشف العالم الشبهة عن المتعلم**» أي: لقوله: «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب» الخ، فنبهه بذلك ليأخذ أهبته.

* **الخامسة عشرة**: «**النهي عن كرائم الأموال**» أي: لقوله: «إياك وكرائم أموالهم».

* **السادسة عشرة**: «**اتقاء دعوة المظلوم**» أي: لقوله: «واتق دعوة المظلوم» ومعناه اجعل بينك وبينها وقاية بفعل العدل وترك الظلم.

* **السابعة عشرة**: «**الإخبار بأنها لا تحجب**» أي: لقوله: «فإنه ليس بينها وبين الله حجاب».

* **الثامنة عشرة: «من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء»** أي: ما حصل لهم يوم خيبر من الجوع وما حصل لعلي من الرمد وهذا يدل على أنهم لا يملكون لأنفسهم ضرّاً ولا نفعاً ولا دفعاً فكيف بغيرهم فلا يصرف لهم شيء من العبادة بل ذلك كله حق لله تعالى.

* **التاسعة عشرة: قوله: «لأعطين الراية».. الخ، «علم من أعلام النبوة»** أي: لكونه أخبر بذلك فوقع كما أخبر.

* **العشرون: «تفله في عينيه علم من أعلامها أيضاً»** أي: لكونه عوفي في الحال كأن لم يكن به وجع.

* **الحادية والعشرون: «فضيلة علي رضي الله عنه»** أي: لكونه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله.

* **الثانية والعشرون: «فضل الصحابة في دوكهم تلك الليلة وشغلهم عن بشارة الفتح»** أي: أنهم خاضوا فيمن يدفعها إليه وكل منهم تمنى ذلك حرصا على محبة الله ورسوله ولم يبشر بعضهم بعضا بحصول الفتح مع أنه أخبر به.

* **الثالثة والعشرون: «الإيمان بالقدر لحصولها لمن لم يسع ومنعها عمن سعى»** أي: لما قدر الله أنها تحصل لعلي حصلت له وهو لم يسع إليها والصحابة لما قدر أنها لا تحصل لهم لم يفدهم سعيهم لها حصولها.

* **الرابعة والعشرون: «الأدب في قوله: «على رسلك»** أي: على مهلك بتؤدة وطمأنينة لا بطيش وعجلة فإنها خلاف الأدب.

الخامسة والعشرون: «**الدعوة إلى الإسلام قبل القتال**» أي: لقوله: «ثم ادعهم إلى الإسلام».

السادسة والعشرون: «**أنه مشروع لمن دعوا قبل ذلك وقوتلوا**» أي: حيث أمر عليا أن يدعو اليهود مع كونهم دعوا قبل ذلك وقوتلوا لما كانوا في المدينة قبل أن يجلوا.

السابعة والعشرون: «**الدعوة بالحكمة لقوله: أخبرهم بما يجب**» أي: حيث أمره أن يخبرهم بالواجب عليهم كما قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ .. الآية.

الثامنة والعشرون: «**المعرفة بحق الله في الإسلام**» أي: لما أمره أن يخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه دل ذلك على معرفته وأنه واجب وحق الله في الإسلام فعل الواجبات وترك المنهيات.

التاسعة والعشرون: «**ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد**» أي: لقوله: «**لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم**».

الثلاثون: «**الحلف على الفتيا**» أي: لقوله: «**فوالله لأن يهدي الله بك**» ..الخ.



٦ ـ باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾[الإسراء: ٥٧].

وقوله: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي ..﴾[الزخرف: ٢٦ ـ ٢٧]، وقوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[التوبة: ٣١]، وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ﴾[البقرة: ١٦٥].

وفي (الصحيح) عن النبي ﷺ أنه قال: (من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله عز وجل)، وشرح هذا الترجمة: ما بعدها من الأبواب.

***

(الشرح)

* **قوله:** (باب) يعني في بيان وإيضاح التوحيد، والتفسير تارة يكون بذكر ما تحت اللفظ من معنى، وتارة يكون بذكر الضد والمنافي، وعطف الشهادة على التوحيد من عطف الدال على المدلول، فإن التوحيد هو معنى لا إله إلا الله ومدلولها مطابقة.

* **قال المصنف:** وقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾ الآية، فهذه الآية خطاب لكل من دعا من دون الله مدعوًّا، وذلك المدعو يبتغي إلى الله الوسيلة، فيرجو رحمته ويخاف عذابه، وكل من دعا ميتاً أو غائباً من الأنبياء والصالحين، فقد تناولته هذه الآية فوجه مطابقة الآية للترجمة، أنه إذا كان دعاء الأنبياء والصالحين شركا، عرفنا أن التوحيد هو دعاء الله وحده لا شريك له، فكان في هذه الآية تفسير التوحيد وأنها دلت على أن دعوة الله وحده هي التوحيد، وهو تفسير الشيء بضده.

* **قال المصنف:** وقوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي ﴾ الآية، ففي الآية معنى لا إله إلا الله مطابقة، فإن هذه اللام تسمى لام النفي، ولام التبرئة، فتبين أن معناها النفي والإثبات، والتجريد والتفريد، والولاء والبراء، وتبين أن معنى لا إله إلا الله توحيد الله بإخلاص العبادة له، والبراءة من عبادة كل ما سواه.

* **قال المصنف:** وقوله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الآية، هذه الآية دلت على أن من اتبع وأطاع حبراً أو راهباً في تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله مع اعتقاد ذلك في قلبه وكراهيته لحكم الله تعالى، فقد اتخذه رباً ومعبوداً، وجعله لله شريكاً، وذلك ينافي التوحيد، كل معبود رب، والرب هو المعبود، ولا يطلق معرفاً إلا على الله، قال تعالى: ﴿وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾ وهذا وجه مطابقة الآية للترجمة، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا

أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ .

*** وطاعة الأحبار والرهبان على وجهين:**

الوجه الأول: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على هذا التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرمه الله، أو تحريم ما أحله الله اتباعاً لرؤسائهم، مع علمهم أنهم خالفوا أمر الله، فهؤلاء قد جعلوا لله شريكاً، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.

الوجه الثاني: أن يكون اعتقادهم بتحريم الحلال، وتحليل الحرام ثابتا،لكنهم أطاعوهم في معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي الذي يعتقد أنها معاصي، وهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب، التي دون الشرك.

*** قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ الآية، أي: يسوونهم في المحبة المقتضية الذل للمحبوب، والخضوع له كحب الله. وهو الله لا إله إلا هو، لا ضد له، ولا ند له، ولا شريك له، وكل من صرف من العبادة شيئاً لغير الله رغبة إليه، أو رهبة منه فقد اتخذه ندّاً لله، والمراد محبة التأله والتعظيم المختصة برب العالمين، التي هي إحدى القاعدتين اللتين عليهما مدار العبادة كما قال ابن القيم:

وعبادة الرحمن غاية حبه

مع ذل عابده هما قطبان

إلى أن قال:

ليس العبادة غير توحيد المحـ...

...بَة مع خضوع القلب والأركان

وفي هذا يظهر مطابقة الآية للترجمة لما فيها من بيان التوحيد وتفسيره، وأما المحبة الطبيعية، فلا تكون شركاً، ويأتي بيان ذلك في بابه إن شاء الله.

* **قال المصنف** رحمه الله: وفي الصحيح، أي وفي صحيح مسلم عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه، وأبو مالك اسمه سعد بن طارق، كوفي ثقة مات في حدود ١٤٠هـ، وأبوه طارق بن أشيم الأشجعي صحابي له أحاديث.

* **قال المصنف** رحمه الله: **وفي الصحيح عن النبي** ﷺ: «**من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه**، ورواه أحمد بلفظ (من وحد الله، وكفر بما يعبد من دون الله)، فعلق ﷺ عصمة المال والدم في هذا الحديث بأمرين:

الأول: قول لا إله إلا الله عن علم ويقين.

والثاني: الكفر بما يعبد من دون الله.

وبهذا يظهر مطابقة الحديث للترجمة وتفسيره للتوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله، لأن في الحديث الدلالة على أنه لا يحرم ماله ودمه إلا إذا قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله.

وقوله في الحديث: وحسابه على الله عز وجل، أي: أن الله سبحانه هو الذي يتولى حسابه، فإن كان صادقاً جازاه بجنات النعيم، وإن كان منافقا عذبه العذاب الأليم،

وأما في الدنيا فالحكم على الظاهر، فمن أتى بالتوحيد والتزم شرائعه ظاهراً، وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك.

وقول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب، أي: أن ما بعد هذا الباب فيه ما يبين التوحيد، ويوضح معنى لا إله إلا الله، والله اعلم.

***

❖ **فيه أكبر المسائل وأهمها وهي:**

«**تفسير التوحيد وتفسير الشهادة وبينها بأمور واضحة**» :

* «**منها آية الإسراء بين فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين ففيها بيان أن هذا هو الشرك الأكبر**» أي: لما أخبر أنهم يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة دل هذا على صلاحهم ولما أخبر أنهم لا يملكون كشف الضر ولا تحويلا دل هذا على أنهم لا يقدرون على ما طلب منهم ومن طلب من غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله فقد أشرك الشرك الأكبر.

* «**ومنها آية براءة بين فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله وبين أنهم لم يأمروا إلا بأن يعبدوا إلها واحداً مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه طاعة العلماء والعباد في المعصية لا دعاؤهم إياهم**» أي: هي قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الآية. وقوله: «مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه طاعة العلماء والعباد.. إلخ» أي: كما فسرها لعدي ابن حاتم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حين سمعه يتلوها فقال: «لسنا نعبدهم» إلخ، كما سيأتي في باب

من أطاع العلماء والأمراء.

* «**ومنها قول الخليل** عَلَيْهِ السَّلَامُ **للكفار**: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ﴾ **فاستثنى من المعبودين ربه وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة هي تفسير شهادة أن لا إله إلا الله فقال**: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾، أي: لما اشتملت على النفي الذي هو قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ﴾ وعلى الإثبات الذي هو ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ صار فيها تفسير شهادة أن لا إله إلا الله لأن أولها ينفي عبادة كل ما سوى الله وآخرها يثبت العبادة لله وحده لا شريك له.

«**ومنها آية البقرة في الكفار الذين قال الله فيهم**: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ **ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله فدل على أنهم يحبون الله حباً عظيماً ولم يدخلهم في الإسلام فكيف بمن أحب الند أكبر من حب الله فكيف بمن لم يحب إلا الند وحده ولم يحب الله**» أي: لما أخبر الله أنهم ما هم بخارجين من النار دل على أنهم كفار لأن مثل هذا قد اطرد في القرآن في حق الكفار. وقوله: «يحبون الله» لقوله: ﴿كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ على أحد القولين فهذه الآية تدل على أنهم كفروا لما أشركوا بين الله وبين أندادهم في هذه المحبة فمن أحب معبوده أعظم من حب الله أو أحب معبوده مطلقاً ولم يحب الله فهو أعظم شركا ممن أحب معبوده دون ذلك وإن كان مشركا. وهذه محبة تعظيم وخضوع لا تصلح إلا لله جل وعلا.

* **ومنها قوله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه، وحسابه على الله**» **وهذا من أعظم ما يبيِّن معنى «لا إله إلا الله» فإنه**

لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه» فيالها من مسألة ما أعظمها وأجلها، وياله من بيان ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع.

أي لما لم يكتف في الحديث بالتلفظ بلا إله إلا الله بل ولا معرفة معناها مع لفظها ولا الإقرار بذلك بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده كما يؤخذ من قوله: «**من قال لا إله إلا الله**» دل ذلك على أنه حلال الدم والمال إلى أن يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله وهو الكفر بالطاغوت وبغضه وتركه والبراءة منه ومعرفة بطلانه كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ فإن شك في ذلك أو توقف لم يحرم دمه وماله.

فيا له من بيان ما أوضحه وأعظمه وحجة ما أقطعها للمنازع الذي يكتفي بقول هذه الكلمة والتلفظ بها ولو فعل ما فعل مما يهدمها وينافيها.



٧ ـ باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

وقول الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ... ﴾ [الزمر: ٣٨].

عن عمران بن حصين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صفر، فقال: (ما هذه)؟ قال: من الواهنة. فقال: «انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً، فإنك لو مت وهي عليك، ما أفلحت أبداً» (رواه أحمد بسند لا بأس به).

وله عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعاً: «من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له» وفي رواية: «من تعلق تميمة فقد أشرك»، ولابن أبي حاتم عن حذيفة أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه،وتلا قوله: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ... ﴾ [يوسف: ١٠٦].

***

(الشرح)

اعلم أن كون هذه الأشياء من الشرك لما يحصل من التعلق بها واعتقاد الشفاء بها والبركة وهذا ينافي التوحيد بالكلية، أو ينافي كماله، لأن لبسها على **قسمين:**

القسم الأول: اعتقاد أنها سبب، فهذا شرك أصغر لأنه ليس بسبب صحيح.

القسم الثاني: اعتقاد أنها تدفع و تنفع بنفسها، فهذا شرك أكبر.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ **الحلقة والخيط**، يعني: بالحلقة وهي: كل شيء استدار من صفر وغيره، والخيط ونحوهما: كالودعة والتميمة والخرزة ونحو ذلك.

وقوله لرفع البلاء: أي: إزالته بعد نزوله.

وقوله أو دفعه: منعه قبل نزوله.

وسبب كون ذلك من الشرك، لأنه طلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ الآية، في هذه الآية يقيم الله تعالى الحجة على المشركين بما يبطل شركهم بالله، وتسويتهم غيره به في العبادة، بضرب الأمثال وغير ذلك مما يعلمون أن ذلك لله وحده.

قال مقاتل: سألهم النبي ﷺ فسكتوا، لأنهم لا يعتقدون ذلك فيها، وإذا كان ذلك كذلك بطلت عبادتهم الآلهة مع الله، وإذا بطلت فلبس الحلقة والخيط ونحوهما كذلك. والمصنف رَحِمَهُ اللَّهُ استدل بالآية النازلة في الأكبر على الأصغر، كما استدل بها ابن عباس وحذيفة وغيرهما، وهذه الآية وأمثالها تبطل تعلق القلب بغير الله في جلب نفع، أو دفع ضر وأن ذلك لا يكون إلا بالله وحده.

❊ **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: **عن عمران بن حصين** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هو عمران بن حصين بن

عبيد بن خلف الخزاعي، صحابي ابن صحابي أسلم عام خيبر، وكان صاحب راية خزاعة يوم الفتح، مات سنة ٥٢ هـ.

* **قوله: أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صفر،** الرجل المبهم هو عمران راوي الحديث كما في رواية أحمد، والحلقة كان المشركون يجعلونها في أعضادهم، من نحاس أصفر وغيره، يزعمون أنها تحفظهم من أذى العين والجن ونحوهما، وكل هذا لا يجوز لأنه من التعلق بغير الله، وكذا لبس حلقة الفضة للبركة أو لمنع البواسير، وخواتم لها فصوص مخصوصة للحفظ من الجن وغيرها.

* **قوله: فقال ما هذه؟ قال من الواهنة،** الواهنة عرق يأخذ بالمنكب وباليد كلها فيرقى منها، وقيل: مرض يأخذ بالعضد، أو ريح فيه، وإنما نهى عن الحلقة لأنها إنما تتخذ لتعصم من الألم.

* **قوله: فقال انزعها،** انزعها بكسر الزاي، أي: انبذها عنك، وهو لفظ أحمد، وهو أبلغ، فإنه يتضمن النزع وزيادة، وهو الطرح والإبعاد، وهذا زجر له وإنكار عليه.

* **قوله: فإنها لا تزيدك إلا وهنا،** أخبره ﷺ أنها لا تنفعه بل تضره، بل لا تزيده إلا وهناً أي: ضعفاً، معاملة له بنقيض قصده، لأنه علق قلبه بما لا ينفعه ولا يدفع عنه.

* **قوله: فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا،** نفى عنه الفلاح لو مات

وهي عليه، لأنه فعل شيئاً من الشرك، فإن كان من الشرك الأصغر، فإن هذا الحديث من أحاديث الوعيد، التي تمر كما جاءت، لأنه أبلغ بالزجر، وإن كان فعله من القسم الأكبر، الذي هو من الشرك الأكبر فواضح، والشاهد من هذا الحديث إنكار النبي ﷺ على هذا الرجل، ففيه دليل على المنع من لبس الحلقة والخيط ونحوهما لذلك.

* **قوله: رواه أحمد بسند لا بأس به،** أحمد هو ابن محمد بن حنبل، الأمام المعروف، ولد سنة ١٦٤هـ، توفي ٢٤١هـ، وصحح هذا الحديث ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي.

* **قوله: وله عن عقبة بن عامر مرفوعاً،** قوله مرفوعاً أي: إلى النبي ﷺ، عقبة هو ابن عامر الجهني، صحابي مشهور، مات قريباً من ٦٠ هـ.

* **قوله: من تعلق تميمة،** التميمة خرزة كانوا يعلقونها، يرون أنها تدفع عنهم الآفات، وهذا جهل وضلال، ويتقون بها العين في زعمهم، والتمائم أعم من ذلك، فتكون من عظام، ومن خرز، ومن كتابة، ومن غير ذلك، فأبطل الإسلام ذلك كله، ونهى عنه.

* قوله: فلا أتم الله له، أي أن النبي ﷺ، دعا على من علقها على نفسه أو على غيره من طفل أو دابة ونحو ذلك، أن الله تعالى لا يتم له ما قصده، ودعاؤه ﷺ على المتعلق بهاومعلقها يفيد أنه محرم، لأنه من الشرك، وذلك لما يقوم بقلبه من التعلق على غير الله.

* **قوله: ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له،** قال في النهاية: (الودعة شيء أبيض يجلب من البحر، يعلق في حلوق الصبيان وغيرهم، وقيل يشبه الصدف يتقون به العين)، وفي هذا الحديث وعيد لمن فعل ذلك، لأنه محرم، ولأنه من الشرك، فإن الرواية الثانية بينت ذلك، وهي قوله وفي رواية: (من تعلق تميمة فقد أشرك) هذا الحديث رواه أيضاً أبو يعلى والحاكم وقال: صحيح الإسناد، وأقره الذهبي.

* **قوله: وفي رواية: (من تعلق تميمة فقد أشرك)،** وذلك (أن رسول الله ﷺ أقبل عليه رهط فبايع تسعة وأمسك عن واحد، فقالوا: يا رسول الله بايعت تسعة وأمسكت عن هذا؟ فقال: (إن عليه تميمة)، فأدخل يده فقطعها فبايعه، وقال: من تعلق تميمة فقد أشرك). رواه أحمد من حديث عقبة بن عامر. ورواه الحاكم بنحوه، ورواته ثقات. والتعلق يكون بالفعل أو بالقلب أو بهما، وإنما كان شركا من جهة تعلق القلب على غير الله في جلب نفع أو دفع ضر.

* **قال المصنف** رحمه الله: **ولابن أبي حاتم عن حذيفة،** حذيفة ابن اليمان العبسي، حليف الأنصار، صحابي جليل ابن صحابي من السابقين، استعمله عمر على المدائن، فلم يزل بها حتى توفي سنة ٣٦ هـ.

ابن أبي حاتم هو عبدالرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر الرازي الحنظلي التميمي، صاحب الجرح والتعديل، والعلل، والتفسير، مات سنة ٣٢٧ هـ.

* **قوله: أنه (رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه)،** الحمى حرارة تكون بين العظم واللحم فكانوا في الجاهلية يعلقون الخيوط والخرز والطلاسم والتمائم

يزعمون أن ذلك يدفع الحمى، وفعل ذلك واعتقاده من الشرك، فإن كان يعتقد أنه سبب فهو من الشرك الأصغر، أما إذا اعتقد أنها تدفع بنفسها فهو شرك أكبر، فلا يجوز في الأسباب إلا ما أباحه الشرع مع عدم الاعتماد عليه.

* **قوله: وتلا قوله:** ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾، قال ابن عباس: (تسألهم من خلقهم؟ فيقولون الله، وهم مع ذلك يعبدون غيره)، وفي استدلال حذيفة بهذه الآية على أنه شرك، دليل على صحة الاستدلال على الشرك الأصغر بما نزل في الأكبر، لشمول الآية النوعين، ودخوله في مسمى الشرك، والله أعلم.

❖ فيه مسائل وإيضاحها:

* **الأولى: «التغليظ في لبس الحلقة ونحوها لمثل ذلك»** أي: لما أنكر على من في يده الحلقة من الصفر وغلظ عليه دل على ذلك.

* **الثانية: «أن الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح فيه شاهد لكلام الصحابة أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر»** أي: لقوله: «ما أفلحت أبدا»، وكلام الصحابة الدال على أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر مثل قول ابن مسعود الآتي: «لأن أحلف بالله كاذباً أحب إليَّ من أن أحلف بغيره صادقاً».

* **الثالثة: «أنه لم يعذر بالجهالة»** أي: لكونه لم يستفصله هل كان جاهلاً بذلك أم لا مع أن الجهل محتمل.

* **الرابعة**: «**أنها لا تنفع في العاجلة بل تضره لقوله: «لا تزيدك إلا وهنا»** أي: لما لبسها يظن أنها تنفعه في المستقبل أخبر أنها لا تنفعه بل تزيده وهنا وهذا معاملة له بنقيض مقصوده.

* **الخامسة**: «**الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك**» أي: لقوله: «انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنا» إلخ الحديث.

* **السادسة**: «**التصريح بأن من تعلق شيئاً وُكِّلَ إليه**» أي: وكله الله إلى ما تعلقه ومن وكله إلى غيره فقد خسر وهلك وهذا مأخوذ من قوله: «فإنها لا تزيدك إلا وهنا».

* **السابعة**: «**التصريح بأن من تعلق تميمة فقد أشرك**» أي: لكونه التفت إليها بقلبه في جلب نفع أو دفع ضر وهي لا تنفع ولا تضر.

* **الثامنة**: «**أن تعليق الخيط من الحمى من ذلك**» أي: من الشرك لكون حذيفة لما قطعه تلا قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾.

* **التاسعة**: «**تلاوة حذيفة الآية دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيات التي في الشرك الأكبر على الأصغر كما ذكر ابن عباس في آية البقرة**» أي: لما تلا حذيفة هذه الآية النازلة في المشركين الشرك الأكبر على من علق في يده الخيط من الحمى دل على مثل ذلك وقوله: «كما ذكر ابن عباس» أي: أن ابن عباس لما استدل بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ في سورة البقرة على قول الرجل: «والله وحياتك يا فلان وحياتي، ولولا كُلَيبةُ هذا لأتانا اللصوص» إلخ، وهو شرك أصغر والآية

نازلة في الكفار الذين يشركون مع الله غيره في عبادته دل على مثل ذلك.

* **العاشرة**: «**أن تعليق الودع عن العين من ذلك**» أي: تعليقه لدفع العين من الشرك الأصغر لما يحصل معه من التفات القلب إلى ذلك.

* **الحادية عشرة**: «**الدعاء على من تعلق تميمة أن الله لا يتم له ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له**» أي: ترك الله له أي: معاملة له بنقيض مقصوده كما دل عليه حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



٨ ـ باب ما جاء في الرقى والتمائم

في (الصحيح) عن أبي بشير الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض أسفاره، فأرسل رسولاً: «أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت». وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك» [رواه أحمد وأبو داود]. وعن عبدالله بن عكيم مرفوعاً: «من تعلق شيئاً وكل إليه». [رواه أحمد والترمذي].

التمائم: شيء يعلق على الأولاد من العين، لكن إذا كان المعلق من القرآن، فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والرقى: هي التي تسمى العزائم، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من العين والحمة.

والتولة: شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته.

وروى أحمد عن رويفع قال: قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا رويفع! لعل الحياة تطول بك، فأخبر الناس أن من عقد لحيته، أو تقلد وتراً، أو استنجى برجيع دابة أو عظم، فإن محمداً بريء منه».

وعن سعيد بن جبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة» [رواه وكيع].

وله عن إبراهيم قال: «كانوا يكرهون التمائم كلها، من القرآن وغير القرآن».

***

(الشرح)

الرقى: جمع رقية، وهي العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع، والتمائم: جمع تميمة، خرزات كانت العرب تعلقها على أولادها يتقون بها العين في زعمهم.

* **قوله: في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري،** قال ابن سعد: اسمه قيس بن عبدالله، من بني مازن بن النجار، مات بعد ٦٠ هـ، وقد جاوز المئة.

* **قوله: أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فأرسل رسولاً،** هو زيد ابن حارثة كما رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده.

* **قوله: أن لا يُبقيَّنَ في رقبة بعير قلادة من وتر،** لا يبقيَّنَ بالياء المثناة والقاف المفتوحتين، ويحتمل أن يكون بضم الياء وكسر القاف و(قلادة) فاعل على الأول، ومفعول على الثاني، وهي ما يعلق في رقبة البعير وغيره، من وتر ونحوه، والبعير يقع على الذكر والأنثى، وجمعه أبعرة. والوتر بفتحتين واحد أوتار القوس، وكان أهل الجاهلية إذا اخلولق الوتر أبدلوه بغيره، وقلدوه الدواب، اعتقاداً منهم أنه يدفع عن الدابة العين، ويدفع عنهم المكاره، فنهاهم النبي ﷺ وأخبرهم أنها لا ترد من أمر الله شيئاً.

قوله في الحديث: أو قلادة إلا قطعت، أي: شك الراوي هل قال شيخه: (قلادة من وتر)، أو قال: (قلادة) وأطلق، وروي عن مالك أنه سئل عن القلادة فقال:

ما سمعت بكراهتها إلا في الوَتَر، قال البغوي: تأول مالك أمره عليه الصلاة والسلام بقطع القلائد على أنه من أجل العين، وذلك أنهم كانوا يشدون تلك الأوتار والتمائم والقلائد، ويعلقونها، يظنون أنها تعصمهم من الآفات، فنهاهم النبي ﷺ عنها، وأعلمهم أنها لا ترد من أمر الله شيئاً.

وقوله رحمه الله: وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الرقى والتمائم والتولة شرك) رواه أحمد وأبو داود، ابن مسعود هو عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه، من السابقين الأولين إلى الإسلام، هاجر الهجرتين إلى الحبشة وإلى المدينة، وشهد بدراً، وهو من رواة الأحاديث وهو سادس من أسلموا، وفي صحيح مسلم أنه قال له النبي ﷺ: **(اقرأ عليَّ القرآن)** الحديث، وقال النبي ﷺ في ساقيه، والذي نفسي بيده لهما في الميزان أثقل من جبل أحد، وقد ورد هذا الحديث عن زينب امرأة عبدالله بن مسعود، أن عبدالله رأى في عنقي خيطاً فقال: ما هذا؟ قلت: خيط رقي لي فيه. قالت: فأخذه ثم قطعه، ثم قال: أنتم آل عبدالله لأغنياء عن الشرك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(إن الرقى والتمائم والتولة شرك)**. فقلت: لقد كانت عيني تقذف، وكنت أختلف إلى فلان اليهودي، فإذا رقى سكنت، فقال عبدالله: إنما ذلك عمل الشيطان، كان ينخسها بيده، فإذا رقى كف عنها، إنما كان يكفيك أن تقولي كما كان رسول الله ﷺ يقول: «**أذهب البأس رب الناس، واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً**»، ورواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال: صحيح، وأقره الذهبي.

والمراد بالرقى المنهي عنها ما كان من جنس رقى الجاهلية، والتمائم: ما يعلق من خرز ونحوه، والتولة: شيء كانت المرأة تجلب به محبة زوجها، وهو ضرب من السحر، وإنما كان من الشرك لما يراد به من دفع المضار، وجلب المنافع من غير الله تعالى، والإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ تقدمت ترجمته، و أبوداود السجستاني صاحب السنن، ولد سنة ٢٠٢ هـ، وتوفي سنة ٢٧٥هـ.

* **قوله: وعن عبدالله بن عكيم مرفوعاً**، يكنى أبا معبد الجهني الكوفي، مخضرم، مات في إمرة الحجاج.

* **قوله: (من تعلق شيئاً وُكِل إليه)، رواه أحمد والترمذي**، والتعلق يكون بالقلب، ويكون بالفعل، ويكون بهما جميعاً، فمن تعلق شيئاً وكله الله إلى ذلك الشيء، ومن تعلق بالله وأنزل حوائجه به والتجأ إليه، وفوض أمره إليه، كفاه وتولاه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾.

نعم الأشياء التي تفعل على قسمين:

القسم الأول: ما هو سبب، فهذا ينظر هل أباحه الشرع أم لا؟

فإن كان مباحاً اشترط بجوازه شرطان:

أحدهما: أن يتحقق أنه سبب، فهذا يجوز فعله مع تعلق القلب بالله والتوكل عليه سبحانه.

الثاني: أن يكون جائزاً.

القسم الثاني: ما ليس بسبب، فهذا لا يجوز فعله بالكلية.

وأخرج أحمد عن وهب: أوحى الله إلى داود: (يا داود أما وعزتي وعظمتي، لا يعتصم بي عبد من عبادي دون خلقي، أعرف ذلك من نيته، فتكيده السماوات السبع ومن فيهن، والأرضون السبع ومن فيهن، إلا جعلت له من بينهن مخرجا، أما وعزتي وعظمتي، لا يعتصم عبد من عبادي بمخلوق دوني، أعرف ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السماء من يديه، وأسخت الأرض من تحت قدميه، ثم لا أبالي بأي أوديتها هلك).

وحديث: «**من تعلق شيئاً وُكِل إليه**» رواه أحمد والترمذي وقال حسن غريب وأبو داود والنسائي وغيرهما من طرق.

* **قوله: التمائم شيء يعلق على الأولاد من العين،** وهي ما يعلق بأعناق الصبيان، من خرزات وعظام لدفع العين، وهذا منهي عنه، لأنه تعلق بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، ولأن السبب غير صحيح ولا نافع فلا يجوز فعله.

* **قوله: لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف،** لأنه قد اختلف في تعليق التمائم التي من القرآن وأسماء الله وصفاته، وروي جوازه عن عبدالله بن عمرو وأحمد في رواية عنه، وحملوا الحديث على التمائم التي فيها شرك.

* **وقوله: وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود ﵁،** أي: أن بعض السلف لم يرخص في التمائم وينهى عنها، وهو قول ابن مسعود وابن عباس وعقبة وأحمد في رواية اختارها الأكثر، لهذا الحديث وما في معناه.

ورجح كثيرهذا القول لوجوه:

الأول: عموم النهي ولا مخصص للعموم.

الثاني: سد الذريعة، فإنه يفضي إلى تعليق ما ليس من القرآن والسنة، بل قد يكون فيه شرك والتجأ إلى غير الله.

الثالث: أنه ﷺ قد كان يرقى ورقي، ولم يذكر عنه في تعليق تمائم القرآن شيئاً مما يدل على جواز تعليقه، ولا ثبت عن أحد من الصحابة، إلا ما روي عن عبدالله ابن عمرو، ولعله يعلقه في الألواح، لا أنه تميمة.

الرابع: أنه إذا علق قد يمتهن.

فلهذه الوجوه رأى كثير من أهل العلم عدم جواز التمائم والنهي عنها.

قال المصنف رحمه الله: **والرقى هي التي تسمى العزائم،** أي: هي الرقية، وعزم الراقي قرأ العزائم، أو العزائم آيات من القرآن تقرأ على ذوي العاهات.

* **قوله: وخص منه الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة،** أي: أن الدليل خص بجواز الرقية ما خلا من الشرك كالرقية بالقرآن وماورد من الأدعية في السنة فإن هذه الرقية حسنة جائزة، لقوله ﷺ: «**لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً**» (رواه مسلم).

أما الرقية الموصوفة بالشرك وهي التي يستعان بها بغير الله من الدعاء، ويدعى فيها غير الله ويستعاذ بغير الله، كالرقى بأسماء الملائكة والأنبياء والجن ونحو ذلك،

فهذه محرمة لأنها من الشرك.

* **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: **والتولة شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته**، تفسير التولة بهذا قد روي عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في صحيح ابن حبان والحاكم، قالوا: (يا أبا عبدالرحمن، هذه الرقى والتمائم قد عرفناها، فما التولة؟ قال: شيء تصنعه النساء يتحببن به إلى أزواجهن)، والتولة نوع من الشرك، لأنه من الصرف والعطف.

* **قوله: وروى الإمام أحمد عن رويفع**، هو ابن ثابت الأنصاري، توفي سنة ٥٦هـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* **قوله قال: قال لي رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا رويفع لعل الحياة ستطول بك، فأخبر الناس**، فيه دليل وجوب إخبار الناس على من كان عنده علم ليس عند غيره مما يحتاج إليه، فإن اشترك هو وغيره في علم ذلك فالتبليغ فرض كفاية.

* **قوله: أن من عقد لحيته**: كانوا يفعلونه أي: فتل اللحية وعقدها تكبراً وعجباً، وقيل: يحمل على عقد اللحية في الصلاة، كما في رواية محمد ابن الربيع: (أن من عقد لحيته في الصلاة).

* **قوله: أو تقلد وتراً**، أي: جعله قلادة في عنقه أو عنق دابته.

* **قوله: أو استنجى برجيع دابة أو عظم، فإن محمدّاً بريء منه**، سمي رجيعا لأنه يرجع من حالته الأولى بعد أن كان طعاماً أو علفاً، والاستنجاء بالرجيع أو العظم كبيرةلقوله (فإن محمدّاً بريء منه)، وهذا وعيد شديد، وإجراء أحاديث

الوعيد على ظاهرها أبلغ في الزجر.

* **قوله: وعن سعيد بن جبير قال: من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة،** أي: كان له مثل ثواب من أعتق رقبة، لأنه إذا قطعها أعتقه من أسر الشيطان، ففيه فضل قطع التمائم وأنها شرك، وهذا الأثر مرسل تابعي.

* **قوله: رواه وكيع،** هو ابن الجراح أبو سفيان، الثقة الحافظ العابد الكوفي، وكان من كبار التاسعة، مات سنة ١٩٧ هـ.

* **قوله: وله عن إبراهيم،** أي: ولوكيع بن الجراح عن إبراهيم بن يزيد النخعي الكوفي، مفتي أهل الكوفة، من كبار الفقهاء، مات سنة ٩٦ هـ، وله ٥٠ سنة.

* **قوله: كانوا يكرهون التمائم كلها،** يعني والله اعلم، أصحاب عبدالله بن مسعود: كعلقمة والأسود وأبي وائل والحارث بن سويد وعبيده السلماني ومسروق والربيع بن خثيم وسويد بن غفلة وغيرهم من سادات التابعين.

وهذه الصيغة يستعملها إبراهيم في حكاية أقوالهم، كانوا في زمانهم يطلقون الكراهة على المحرم.

* **قوله: من القرآن وغير القرآن،** قد تقدم النهي عنها.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى: «تفسير الرقى والتمائم»** أي: الرقى هي التي تسمى العزائم، والتمائم شيء يعلقونه يزعمون أنه يدفع العين.

* **الثانية**: «**تفسير التولة**» أي: ما يصنعون يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته وهو ضرب من السحر.

* **الثالثة**: «**أن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء**» أي: كما دل عليه حديث ابن مسعود لما فيه من تعلق القلب على غير الله إلا ما دل الدليل على جوازه ولم يعلق العبد قلبه عليه كما رخص في الرقى ما لم تكن شركا.

* **الرابعة**: «**أن الرقية بالكلام الحق من العين والحمة ليس من ذلك**» أي: ليس مما نهي عنه إذا اجتمعت شروطه وهي أن يكون بأسماء الله وصفاته وأن يكون باللسان العربي وما يعرف معناه وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بنفسها بل بتقدير الله.

* **الخامسة**: «**أن التميمة إذا كانت من القرآن فقد اختلف العلماء هل هي من ذلك أم لا**» أي: هل هي مما نهي عنه أم لا والراجح أنها داخلة في المنهي عنه لأمور ثلاثة: عموم النهي ولا مخصص، وكون المعلق لها يمتهنها بدخول الخلاء وهي عليه، وكون ذلك وسيلة إلى تعليق ما ليس من القرآن.

* **السادسة**: «**أن تعليق الأوتار على الدواب عن العين من ذلك**» أي: مما نهي عنه لكونه أمر بقطعه وتوعد من تقلده.

* **السابعة**: «**الوعيد الشديد على من تعلق وترا**» أي: لقوله: «أو تقلد وتراً» إلى أن قال: «فإن محمداً بريء منه».

❊ **الثامنة**: «**فضل ثواب من قطع تميمة من إنسان**» أي: لقول سعيد بن جبير: «إنه كعدل رقبة».

❊ **التاسعة**: «**أن كلام إبراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف لأن مراده أصحاب عبدالله بن مسعود**» أي: قول إبراهيم النخعي: «كانوا يكرهون التمائم كلها» لم يرد به جميع الصحابة الذين تقدم عنهم الخلاف في تعليق التمائم من القرآن وإنما أراد أصحاب عبدالله بن مسعود فإنهم أخذوا بقوله في النهي عن ذلك مطلقاً ولم يخالفه واحد منهم.



٩ ـ باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما

وقول الله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ [النجم: ١٩].

عن أبي واقد الليثي، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله أجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر! إنها السنن، قلتم ـ والذي نفسي بيده ـ كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، **«لتركبن سنن من كان قبلكم»** [رواه الترمذي وصححه].

***

(الشرح)

* **قوله ونحوهما** أي: ما يشبههما كبقعة ومغارة وزاوية وقبر ومشهد وموطئ وأثر ونحو ذلك. و (من) اسم شرط، والجواب محذوف تقديره: فقد أشرك بالله. ويحتمل أن تكون (من) موصولة فيكون معناها باب بيان حكم من تبرك بالأشجار والأحجار ونحوهما، وما يترتب عليه من الوعيد، ولا شك أن التبرك بما تقدم أنه من الشرك، لأنه تعلق على غير الله في حصول البركة من غيره سبحانه.

* **وقول الله تعالى:** ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ **الآيات،** هذه الأوثان الثلاثة هي أعظم أوثان الجاهلية من أهل الحجاز، ولهذا نص عليها بأعيانها،

وإلا ففي الحجاز أوثان غيرها، لكن خص هذه الثلاثة بالذكر، لأنها أكبر أصنام العرب إذ ذاك، فأما اللات قال ابن عباس: (رجل كان يلت السويق للحاج، فمات فعكفوا على قبره)، وأما العزى فكانت شجرة سمر عليها بناء وأستار بنخلة الشامية المسماة بالمضيق بين مكة والطائف، كانت قريش تعظمها، وأما مناة فكانت بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة، كانت لأهل المدينة، وكانت خزاعة والأوس والخزرج يعظمونها، ويهلون منها للحج، وكذلك غطفان كانت تعبدها،والشاهد من هذه الآيات للترجمة أن عبادة المشركين لها إنما كانت بالعكوف عندها والتفات القلوب رغبة في حصول ما يرجونه ببركتها، من نفع أو دفع ضر، فصارت أوثاناً تُعبد من دون الله، فالتبرك بقبور الصالحين، والأشجار، والأحجار من الشرك ومن فعل ذلك ضاهى عباد هذه الأوثان فيما كانوا يفعلونه معها من هذا الشرك.

* **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **عن أبي واقد الليثي،** اسمه الحارث بن عوف، صحابي مشهور، مات سنة ٦٨ هـ، وله ٨٥ سنة.

قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ **إلى حنين،** حنين واد بشرقي مكة، بينه وبينها بضعة عشر ميلاً، قاتل فيه رسول الله ﷺ هوازن بعد الفتح.

* **قوله:** ونحن حدثاء عهد بكفر، أي: قريب عهدنا بالكفر، لأنه ممن أسلم يوم الفتح.

* **قوله: وللمشركين سدرة يعكفون عندها،** أي: شجرة يعكفون عندها، والعكوف هو البقاء واللبث والإقامة، يقيمون عندها تعظيماً لها وتبركاً بها.

* **قوله: وينوطون بها أسلحتهم**، كما في حديث عمرو بن عوف قال: كان يناط بها السلاح، فلما رأها رسول الله ﷺ، انصرف عنها في يوم صائف إلى ظل هو أدنى منه فقال رجل: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط... الحديث.

* **وقوله**: وينوطون بها أسلحتهم، أي يعقلون عليها أسلحتهم تبركاً بها لتنالهم بركتها، فعبادتهم لها بالتعظيم والعكوف والتبرك، وبهذه الثلاثة العكوف والتعظيم والتبرك عبدت الأوثان من دون الله، وقال ابن إسحاق: (كانت لقريش شجرة خضراء عظيمة، يأتونها كل سنة فيعلقون عليها سلاحهم، ويعكفون عندها ويذبحون لها).

* **قوله: يقال لها: ذات أنواط**، إنما سميت بذلك لكثرة ما يناط بها من السلاح، أي: يعلق.

* **قوله: فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط**، أي: أنهم سألوا النبي ﷺ، أن يجعل لهم شجرة مثلها يتبركون بها، ويعلقون عليها أسلحتهم، ويعكفون عندها، ظنا منهم أن هذا أمر محبوب عند الله.

* **قوله: فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر**، هذه صيغة تعجب، وتقديس لله، وتنزيه لله عما لا يليق بجلاله وعظمته، ومن ذلك طلبهم أن يتخذوا شجرة يطلب منها البركة.

* **قوله: إنها السنن**، يعني سلكتم كما سلك الذين من قبلكم السنن المذمومة، والسنن بضم السين الطرق، والمراد تقليد من تقدمهم من أهل الشرك، وفي رواية

عن النبي ﷺ قال: «**سبحان الله**»، وقد كان النبي ﷺ يقول التسبيح والتكبير في حال التعجب، تعظيماً لله وتنزيها له سبحانه.

* **قوله: قلتم، والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة**، أي: اجعل لنا مثالاً لشئ نعظمه، ونتقرب به إلى الله. فشبه رسول الله ﷺ مقالتهم هذه بقول بني إسرائيل، بجامع أن كلا طلب أن يجعل له ما يألهه ويعبده من دون الله، وإن اختلف اللفظان فالمعنى واحد، فتغيير الاسم لا يغير الحقيقة، فدل هذا الحديث على أن التبرك بالأشجار والأحجار شرك أكبر، لتسويته ﷺ بين مقالتهم ومقالة بني إسرائيل، وقد حلف ﷺ على ذلك، فإن التبرك بالأشجار والأحجار يجعلها آلهة وإن لم يسموها آلهة، لأنهم يسمون شركهم توسلا وتشفعاً وهو من أعظم الشرك.

* **قوله: قال: إنكم قوم تجهلون**، يعني عظمة الله: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾ أي: هالك وباطل مضمحل وزائل ما كان يعملون من عبادة الأصنام، ولم يكفروا بطلبهم، لأنهم لم يفعلوا، كالسائل والمستفتي.

* **ثم قال لهم الرسول ﷺ: لتركبن سنن من كان قبلكم**، أي: لتتبعن طرق اليهود والنصارى ومناهجهم وأفعالهم، وذلك بضم السين، ويجوز فتح السين على الإفراد، أي: طريقهم، وفي الصحيحين: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة**».. الحديث، وفي رواية: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم، شبراً بشبر وذراعاً بذراع**»، وهو خبر معناه الذم، ففيه الخوف من الوقوع في الشرك، لأنه ما أخبرنا به

عليه الصلاة والسلام إلا لنحذرهُ.

* **قال المصنف: رواه الترمذي وصححه،** وفي الباب عن أبي سعيد وأبي هريرة، ورواه أحمد وابن أبي شيبة والنسائي وغيرهم.

❖ فيه مسائل وإيضاحها:

* **الأولى: «تفسير آية النجم»** أي: قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ فاللات صخرة كان يلت عليها السويق للحاج، والعزى شجرة يعبدونها.

* **الثانية: «معرفة صورة الأمر الذي طلبوا»** أي: أنهم طلبوا منه أن يجعل لهم شجرة يتبركون بها.

* **الثالثة: «كونهم لم يفعلوا»** أي: لأنه لما نهاهم أطاعوه وتركوا قولهم.

* **الرابعة: «كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك لظنهم أنه يحبه»** أي: لما طلبوا ذلك من النبي ﷺ علم أنهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك إذ لا يظن بهم أنهم يطلبون ما علموا أنه معصية.

* **الخامسة: «أنهم إذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل»** أي: أنهم لما جهلوا مثل هذا وهو أنهم طلبوا التقرب إلى الله بالشرك لجهلهم مع كونهم مع النبي ﷺ فغيرهم أولى بالجهل خصوصاً مع ما حدث من كثرة الجهل وخفاء العلم.

* **السادسة: «أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم»** أي: بسبب

الصحبة للنبي ﷺ وغير ذلك ومع هذا أنكر عليهم فالإنكار على غيرهم أولى.

* **السابعة**: «**أن النبي ﷺ لم يعذرهم بل رد عليهم بقوله: «الله أكبر إنها السنن لتتبعن سنن من كان قبلكم» فغلظ الأمر بهذه الثلاث**» أي: أنه أنكر عليهم ورد عليهم ما قالوه وغلظ عليهم بهذه الثلاث أي: قوله: «الله أكبر» و «إنها السنن»، وقوله: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم**».

* **الثامنة**: «**الأمر الكبير وهو المقصود أنه أخبر أن طلبهم كطلب بني إسرائيل لما قالوا لموسى: اجعل لنا إلها**» أي: لما كان المقصود أن كلا طلب أن يجعل له شيء يألهه جعل طلبتهم كطلبة بني إسرائيل وإن لم يسموه إلها لكن لما كانت الحقيقة واحدة أنكر عليهم ولم ينظر إلى كونهم سموها ذات أنواط فالمشرك مشرك ولو سمى شركه ما سماه كما أشار إلى ذلك في الشرح.

* **التاسعة**: «**أن نفي هذا من معنى لا إله إلا الله مع دقته وخفائه على أولئك**» أي: نفي اعتقاد البركة في الأشجار والأحجار وغيرها من معنى لا إله إلا الله ولذلك أنكر النبي ﷺ عليهم ذلك ولو كان لا ينافي لا إله إلا الله لما أنكره عليهم ولكن لدقته خفي عليهم.

* **العاشرة**: «**أنه حلف على الفتيا وهو لا يحلف إلا لمصلحة**» أي: لما قال: «قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى».

الحادية عشرة «**أن الشرك فيه أكبر وأصغر لأنهم لم يرتدوا بهذا**» أي: لما شبه مقالتهم بمقالة بني إسرائيل وجعل ذلك اتخاذ إله مع الله صار هذا شركا

أصغر ولو كان أكبر لأمرهم بتجديد إسلامهم والذي منعهم من الردة كونهم لم يفعلوا.

* **الثانية عشرة: قولهم: «ونحن حدثاء عهد بكفر» فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك»** أي: الذين قالوا ذلك كانوا قريب عهد بشرك لم يسلموا إلا من قريب بخلاف السابقين الأولين فإنهم لم يصدر منهم شيء من ذلك.

* **الثالثة عشرة: «التكبير عند التعجب خلافاً لمن كرهه»** أي: لقوله: «الله أكبر إنها السنن».

* **الرابعة عشرة: «سد الذرائع»** أي: أنه لما بادرهم بالإنكار عليهم مجرد القول ولم يصبر عن الإنكار إلى أن يفعلوا صار هذا سدا للذريعة.

* **الخامسة عشرة: «النهي عن التشبه بأهل الجاهلية»** أي: لما نهاهم عن اتخاذ ذات أنواط وأخبر أنه من سنن الذين قبلهم دل ذلك على النهي عن التشبه بهم.

* **السادسة عشرة: «الغضب عند التعليم»** أي: لقوله: «الله أكبر إنها السنن» ..الخ الحديث.

* **السابعة عشرة: «القاعدة الكلية لقوله: إنها السنن»** أي: أن كل ما كان من سنن الكفار فهو مذموم لأنه جعل هذه الكلمة المذمومة من سننهم فدل ذلك على أن سننهم مذمومة.

* **الثامنة عشرة: «أن هذا علم من أعلام النبوة لكونه وقع كما أخبر»** أي: لما

أخبر أنهم يتبعون سنن من كان قبلهم ووقع ذلك دل على نبوته ﷺ.

❊ **التاسعة عشرة: «أن ما ذم الله به اليهود والنصارى في القرآن أنه لنا»** أي: لما ذم قولهم: «اجعل لنا ذات أنواط» وجعله كقول بني إسرائيل قاصداً ذمه دل ذلك على أن ما ذموا به فهو لنا لنحذره لئلا يحصل لنا من الذم مثل ما حصل لهم ولو كان خاصاً بهم لما حسن التشبيه بهم.

❊ **العشرون: «أنه متقرر عندهم أن العبادات مبناها على الأمر فصار فيه التنبيه على مسائل القبر. أما «من ربك» فواضح وأما «من نبيك» فمن إخباره بأنباء الغيب وأما «ما دينك» فمن قولهم: اجعل لنا إلها ..إلخ»** أي: لما أنهم استحسنوا مثل هذا ولم يقدموا عليه حتى سألوا النبي ﷺ دل ذلك على أن العبادات مبناها على الأمر أي: على التوقيف ولو لم تكن على التوقيف لما احتاجوا إلى سؤاله.

وأما قوله: «ففيها التنبيه على مسائل القبر».. إلخ، فإن وجه ذلك أنهم لما لم يدعوا في الشجرة أنها تخلق وترزق وتحيي وتميت دل ذلك على أنهم مقرون بذلك لله وأن الله هو الرب الخالق الرازق وأما دلالتها على نبوته فإنه أخبر أنهم يفعلون كفعل بني إسرائيل فوقع كما أخبر فدل على نبوته وأما دلالته على قوله: «ما دينك» فتؤخذ من إنكاره عليهم قولهم: «اجعل لنا ذات أنواط» لأن فيه طلب البركة من غير الله وهذا ينافي دين الإسلام فإنه يقتضي إقبال القلب على الله في كل حال.. إلخ ما ذكره في الحديث عن قوم موسى.

❊ **الحادية والعشرون :«أن سُنَّة أهل الكتاب مذمومة كسُنَّة المشركين»** أي: إنه

لما ذم قولهم وجعله كقول بني إسرائيل دل على ذم سنتهم كما دل قوله: «**لتركبن سنن من كان قبلكم**» على ذم سنة المشركين.

* **الثانية والعشرون: «أن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يؤمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة لقولهم: «ونحن حدثاء عهد بكفر»** أي: أن سبب قولهم هذا وجود بقية من تلك العادة بعد إسلامهم لم تذهب من قلوبهم ففيه التحرز من ذلك لئلا يصدر من الإنسان شيء من ذلك وهو لا يشعر.



١٠ ـ باب ما جاء في الذبح لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]، وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢].

عن علي رضي الله عنه قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: «لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثاً، لعن الله من غيَّر منار الأرض» (رواه مسلم).

وعن طارق بن شهاب، أن رسول الله ﷺ قال: «دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب»، قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟! قال: «مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئاً، فقالوا لأحدهما قرب قال: ليس عندي شيء أقرب قالوا له: قرب ولو ذباباً، فقرب ذباباً، فخلوا سبيله، فدخل النار، وقالوا للآخر: قرب، فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل، فضربوا عنقه فدخل الجنة» [رواه أحمد].

***

(الشرح)

أي: ما جاء في الذبح لغير الله من النصوص التي تدل أنه من الشرك ومما أُهل به لغير الله، لأنه عبادة من أجل العبادات، وقربة من أفضل القربات المالية، وصرفه

لغير الله شرك، كمن يذبح لقبر أو شجرة أو حجر أو ملك أو نبي أو جني أو لطلعة سلطان أو شيخ قبيلة أو للزيران أو غير ذلك.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ الآية، مطابقة الآية للترجمة أن الله تعبد عباده بأن يتقربوا إليه بالنسك، كما تعبدهم أن يتقربوا إليه بالصلاة، وإذا تقربوا إلى غيره بالذبح فقد جعلوا له شريكا في عبادته، ولذا فإن الآية دلت على أن أقوال العبد وأفعاله الظاهرة والباطنة لا يجوز صرف شيء منها لغير الله، ومن صرف منها شيئاً لغير الله فقد أشرك، ولذا قال الله عَزَّوَجَلَّ لنبيه ﷺ قل لهؤلاء المشركين، الذين يعبدون غير الله، ويذبحون لغيره: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ قوله نسكي: أي: ذبحي، والناسك المخلص لله، فمن صلى لغير الله فقد أشرك، ومن ذبح لغير الله فقد أشرك.

* **وقوله تعالى**: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾، أي: أخلص الصلاة لله، وكذلك النحر له سبحانه بمعنى صل وأنحر له سبحانه لا لغيره.

* **قوله: عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات**، الكلمة تطلق على الجملة المفيدة.

* **قوله: لعن الله**، وهذا وجه مطابقة الحديث للترجمة وهو لعن من ذبح لغير الله، واللعن الطرد والإبعاد عن رحمة الله، واللعين والملعون من حقت عليه اللعنة أو دعي عليه بها، واللعن من الخلق السب والدعاء.

* **قوله: من ذبح لغير الله**، وهو ما أهل به لغير الله، سواء لفظ به أو لم يلفظ، إذا كان المقصود التقرب به لغير الله، سواء قال عليه بسم الله أو لم يقل، وعلى هذا فلو ذبح لغير الله فإنه يحرم أكلها، ولو قال عند الذبح بسم الله كما يفعله طوائف من منافقي هذه الأمة، الذين يتقربون إلى الكواكب بالذبح والبخور، والذبح للجن، وكذلك ما يذبح عند استقبال السلطان، أو شيخ أو غيرهما، تقرباً وتعظيماً فإنه من الشرك لأنه مما أهل به لغير الله، والذبيحة حرام ولا يحل أكلها.

* **قوله: لعن الله من لعن والديه**، أي: سبهما و شتمهما أو تسبب في شتمهما وسبهما.

وفي الحديث: لعن الله من آوى محدثاً، يروى بكسر الدال والفتح، ومعنى الكسر: من نصر جانياً وآواه وأجاره من خصمه، وحال بينه وبين أن يقتص منه، وبالفتح هو الأمر المبتدع، ويكون معنى الإيواء فيه الرضى به والإقرار عليه، فإذا رضي بالبدعة وأقر فاعلها ولم ينكر عليه فقد آواه.

* **وقوله: لعن الله من غير منار الأرض، رواه مسلم**، هي المراسيم التي تفرق بين حقك وحق جارك، فتغييرها بتقديم أو تأخير، وقيل: هي الأعلام التي توضع على السبل، فإذا غيرها ضل السالك، ولا مانع بأن يقال بهما، وفيه أن ما تقدم في هذا الحديث من الكبائر.

* **وقوله: وعن طارق بن شهاب**، البجلي الأحمسي أبو عبدالله، قال الحافظ: رأى النبي ﷺ، وروى أبو داود والبغوي أنه قال: (رأيت النبي ﷺ وغزوت في خلافة أبي بكر)، توفي سنة ٨٣هـ.

* **وقوله: أن رسول الله ﷺ قال: دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب**، أي: بسبب ذباب، ولعل هذين الرجلين من بني إسرائيل.

* **قوله: قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟**، استفهموا من النبي ﷺ ليبين لهم ما استغربوه، كيف بلغ الذباب إلى هذه الغاية.

* **قوله: قال: مر رجلان على قوم لهم صنم**، وكل ما عبد من دون الله يقال له صنم.

* **قوله: لا يجاوزه أحد حتى يقرب له شيئاً**، أي: لا يمر به ولا يتعداه حتى يقرب.

* **قوله: قالوا لأحدهما: قرب. قال: ليس عندي شيء أقرب قالوا: قرب ولو ذباباً، فقرب ذباباً فخلوا سبيله فدخل النار**، أي: قرب للصنم، فاحتج بالعدم فلما عرفوا موافقته بالذبح لغير الله، طمعوا فيه، وقنعوا منه بأي شيء، لأن قصدهم موافقتهم على ما هم عليه من الشرك.

* **وقوله: وقالوا للآخر: قرب قال: ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل**، أي: أن الثاني أبى يقرب شيئاً، وبادأهم بالإنكار، وعظم عليه أن يقرب لصنمهم شيئاً، ونفر من الشرك وصرح بإخلاص العبادة لله عز وجل، وقال ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل.

* **قوله: فضربوا عنقه فدخل الجنة**، لأنه امتنع عن التقريب لغير الله، إيماناً واحتساباً وإجلالاً وتعظيماً لله، وفي هذا الحديث دليل على أن الذبح عبادة، وأن

صرفه لغير الله شرك، وأن الذابح لغير الله يكون من أهل النار.

* **قوله: رواه أحمد،** أي: في كتاب الزهد، وأورده ابن القيم وغيره، وطارق هذا له صحبة، ووثقه النسائي وغيره.

❖ فيه مسائل وإيضاحها:

* **الأولى:** «تفسير ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ «أي ذبحي وهو الشاهد من الآية.

* **الثانية:** «تفسير ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ «أي أخلص لربك صلاتك ونحرك والشاهد قوله: ﴿وَانْحَرْ﴾ فلما أمر بإخلاصه لله وقرنه بالصلاة دل على أنه عبادة.

* **الثالثة:** «**البداءة بلعنة من ذبح لغير الله**» أي: لكونه أعظم الذنوب.

* **الرابعة:** «**لعن من لعن والديه ومنه أن تلعن والدي الرجل فيلعن والديك**» أي: إما مباشرة أو تتسبب إلى ذلك.

* **الخامسة:** «**لعن من آوى محدثاً وهو الرجل يحدث شيئا يجب فيه حق الله**» أي: مثل حد زنا أو سرقة فيلتجئ إلى من يجيره من ذلك أي: يمنعه من أن يقام عليه الحد وهذا على رواية الكسر للدال.

* **السادسة:** «**لعن من غير منار الأرض وهي المراسيم التي تفرق بين حقك وحق جارك فتغيرها بتقديم أو تأخير**» أي: علامات حدودها وهذا من ظلم الأرض الذي ورد فيه الوعيد.

* **السابعة**: «**الفرق بين لعن المعين ولعن أهل المعاصي على سبيل العموم**» أي: أن الثاني جائز كما في هذا الحديث وأمثاله وأما الأول ففيه خلاف فمن العلماء من أجازه ومنهم من منع منه وصفته أن يقول لمن يراه يسرق مثلاً: لا تسرق لعنك الله.

* **الثامنة**: «**هذه القصة العظيمة وهي قصة الذباب**» أي: لكونها صارت سبباً لدخول أحدهما النار والآخر الجنة.

* **التاسعة**: «**كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده بل فعله تخلصاً من شرهم**» أي: لم يقصده قبل أن يطلبوا منه فلما خاف من شرهم تقرب حينئذ بذلك الذباب تخلصا منه وليس معناه أنه لم يقصده مطلقا إلا إن قيل يؤاخذون بها فعلوه ولو كانوا مكرهين.

* **العاشرة**: «**معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين كيف صبر ذلك على القتل ولم يوافقهم على طلبتهم مع أنهم لم يطلبوا إلا العمل الظاهر**» أي: كونه صبر على القتل مع أنه لو وافقهم ظاهرا لسلم منه، دليل على شدة كراهته للشرك وهذا كالذي قبله محمول على كونهم لا يعاقبون على ما فعلوه مكرهين.

* **الحادية عشرة**: «**أن الذي دخل النار مسلم لأنه لو كان كافرا لم يقل دخل النار في ذباب**» أي: هو مسلم قبل أن يقرب الذباب لا بعده وإلا لما دخل النار.

* **الثانية عشرة**: «**فيه شاهد للحديث الصحيح: الجنة أقرب إلى أحدكم من**

شراك نعله والنار مثل ذلك» أي: لكون هذا لما قرب الذباب دخل النار والآخر لما ضربت عنقه دخل الجنة.

* **الثالثة عشرة**: «**معرفة أن عمل القلب هو المقصود الأعظم حتى عند عبدة الأوثان**» أي: لكونهم قالوا: «قرب ولو ذباباً» فقصدوا استمالة قلبه ولو لم يريدوا ذلك لما اكتفوا بالذباب لأنه لا فائدة فيه لأكل ونحوه.



١١ ـ باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٨].

عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه، قال: نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة، فسأله النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟)، قالوا: لا. قال: (فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟) قالوا: لا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم) [رواه أبو داود، وإسنادها على شرطهما].

***

(الشرح)

* بيّن المصنف في هذا الباب أنه لا يجوز الذبح لله تعالى في المكان الذي أُعدّ للذبح فيه لغير الله، لأنه وسيلة إلى الشرك، ولأنه إحياء للمحل الشركي، وتعظيم له، بل لا يجوز بعداً عن الشرك ومواضع الغضب، وسد الذرائع من أهم ما جاءت به الشريعة، كما جاء في حديث عمرو ابن عوف في باب: **(من تبرك بشجرة أو حجر أو نحوهما)** أن النبي صلى الله عليه وسلم انصرف عن الشجرة التي ينوطون بها الأسلحة، إلى ظل أدنى منه.

* **ثم ذكر المصنف رحمه الله: قول الله تعالى:** ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ الآية، الشاهد من هذا للترجمة أن الله تعالى نهى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقوم فيه ليصلي لله، لكن لوجود العلة

المانعة، وهي أنه بناه جماعة من المنافقين مضارة لمسجد قباء، وكفرا بالله ورسوله، قال تعالى: ﴿وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ﴾، فكذلك المعدّ للذبح لغير الله، يجب اجتناب الذبح فيها لله تعالى، كما يدل عليه الحديث الآتي أيضاً.

* **قال المصنف رحمه الله تعالى: وعن ثابت بن الضحاك،** الخزرجي الأنصاري، صحابي مشهور، شهد بيعة الرضوان، مات سنة ٦٤هـ.

* **وقوله: قال: «نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة»**، بوانة هضبة من وراء ينبع، قريبة من ساحل البحر، والرجل يحتمل أنه كردم بن سفيان والد ميمونة.

* **قوله: فقال النبي ﷺ: هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قالوا: لا،** الوثن يتناول كل معبود من دون الله من صورة أو قبر، والشاهد من الحديث للترجمة المنع من الوفاء بالنذر إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية يعبد ولو بعد زواله.

* **قوله: قال: فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟**، العيد اسم لما يعود عند الاجتماع العام على وجه معتاد عائد إما بعود السنة أو الشهر أو الأسبوع.

* **قوله: قالوا: لا، فقال رسول الله ﷺ: أوف بنذرك،** دلَّ على أن الوصف سبب الحكم، فيكون سبب الأمر بالوفاء خلو المكان عن هذين الوصفين، ودل على أنه لا عبرة هنا بالنية، لأنه لما خلا من الموانع، أمره أن يوفي بنذره، وذلك في حجة الوداع.

* **قوله: فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله،** أي: لا يجوز الوفاء بنذر المعصية، وهل فيه كفارة يمين؟ على قولين، وهذا الحديث يدل على أنه لا تجب الكفارة.

* **قوله: ولا فيما لا يملك ابن آدم**، كأن يقول إن شفي مريضي فلله عليَّ أن اعتق عبد فلان ونحوه، فهذا لا يلزمه لأنه لا يملكه، أما إذا التزم في ذمته شيئاً، كقوله لله علي إن شفى الله مريضي أن أعتق رقبة، وهو في تلك الحال لا يملكها ولا قيمتها، فإن شفى مريضه صح نذره وثبت ذلك في ذمته.

* **قوله: رواه أبو داود، وإسناده على شرطهما**، أي: على شرط البخاري ومسلم.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى: «تفسير قوله:** ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ أي: مسجد الضرار نهى الله نبيه ﷺ أن يصلي فيه والشاهد أن هذا المسجد لما أسس على الكفر نهى الله نبيه ﷺ أن يصلي فيه فكذا المواضع المعدة للذبح لغير الله لا يذبح المسلم فيها لله وهذا من أحسن القياس.

* **الثانية: «أن المعصية قد تؤثر في الأرض وكذلك الطاعة»** أي: لما قصد المنافقون المعصية في مسجد الضرار أثر ذلك فيه فمنع الله نبيه ﷺ من الصلاة فيه ومسجد قباء لما كان أهله يحبون أن يتطهروا طاعة لله أمر الله نبيه ﷺ أن يقوم فيه.

* **الثالثة: «رد المسألة المشكلة إلى المسألة البينة ليزول الإشكال»** أي: أن هذا الرجل لما نذر أن ينحر ببوانة احتمل أن يكون فيه محذور أو لا يكون فهذه المسألة المشكلة فسأله عن ذلك فلما أجابه ظهر أن ليس فيه محذور وهذه المسألة البينة فحينئذ أمره بالوفاء بنذره لعدم المانع من ذلك.

* **الرابعة**: «**استفصال المفتي إذا احتاج إلى ذلك**» أي: لما كان هذا المكان محتملاً لكونه محل وثن من أوثانهم أو عيد من أعيادهم أولم يكن استفصله النبي ﷺ.

* **الخامسة**: «**أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به إذا خلا من الموانع**» أي: لكون النبي ﷺ لم ينكر عليه ذلك وأمره بالوفاء بنذره.

* **السادسة**: «**المنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية ولو بعد زواله**» أي: لقوله: «فهل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية» ولو لم يكن ذلك مؤثراً لما حسن السؤال عنه ولم يفرق بين كونه موجودا الآن أو فيما مضى.

* **السابعة**: «**المنع منه إذا كان فيه عيد من أعيادهم ولو بعد زواله**» أي: لقوله: «وهل كان فيها عيد من أعيادهم» وهذه كالتي قبلها. وقوله: «ولو بعد زواله» لأنه كان بمعنى وجد وهو يصدق على ما كان موجودا الآن أو قبل ثم زال والله أعلم.

* **الثامنة**: «**أنه لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة لأنه نذر معصية**» أي: أنه نذر معصية ولو لم يكن ذلك معصية لما حسن التعقيب به ونذر المعصية لا يجوز الوفاء به كما دل عليه حديث عائشة المذكور في الباب بعده.

* **التاسعة**: «**الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم ولو لم يقصده**» أي: أنه لما جعل نذر الذبح في مكان عيد المشركين نذر معصية ومنع من الوفاء به مع كون الناذر لم يقصده دل ذلك على الحذر من مشابهتهم.

* **العاشرة**: «**لا نذر في معصية**» أي: لقوله: «لا وفاء لنذر في معصية الله».

الحادية عشرة: «**لا نذر لابن آدم فيما لا يملك**» أي: كما أشار إليه في الحديث ومعناه أن يضيف النذر إلى ملك الغير كقوله: «إن شفى الله مريضي لأتصدقن بمال فلان» ذكر معناه في الشرح.



١٢ـ باب من الشرك النذر لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ [الإنسان: ٧]، **وقوله:** ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٧٠]، **وفي الصحيح عن عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، **أن رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال:** «**من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**».

***

(الشرح)

* **قوله من الشرك**، أي: الشرك الأكبر، قوله النذر، وهو أن يوجب الإنسان على نفسه شيئاً لم يكن واجباً عليه شرعاً، تعظيماً للمنذور له، وهذا النذر أصله مكروه، لكن إذا نذر، نذر عبادة وكان النذر لله وجب الوفاء به، أما إذا كان لغير الله فلا يجوز الوفاء به، لأن الوفاء به عبادة وصرفه لغير الله شرك أكبر، كالذبح لغير الله.

* **وقوله: وقول الله تعالى:** ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾، في هذه الآية مدح الله تعالى الذين يوفون بما أوجبوه على أنفسهم من الطاعات، فمن فعل ذلك لغير الله متقرباً إليه فقد أشرك مع الله غيره.

* **وقال المصنف: وقوله تعالى:** ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥ﴾، ففي هذه الآية يخبر تعالى أن ما أنفقناه من نفقة أو نذرناه من

نذر، ووفينا بالنذر متقربين إلى الله تعالى، فإن الله يعلمه يجازينا عليه، فدل ذلك على أنه عبادة، وصرف النذر للأموات من الشرك، من عباد القبور ليشفعوا لهم شرك، لأنه عبادة لهم، فإنه معلوم بالضرورة أن من صرف شيئاً من العبادة لغير الله فقد أشرك.

* **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: **في الصحيح عن عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أي: في صحيح البخاري عن عائشة الصديقة بنت الصديق أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ثالث زوجات النبي ﷺ، واحدى أمهات المؤمنين، والتي لم يتزوج امرأة بكراً غيرها، وبنت الخليفة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد تزوجها النبي ﷺ بعد غزوة بدر في شوال، سنة ٢هـ، كانت من النساء اللواتي خرجن يوم أحد لسقاية الجرحى، برأها الله في حادثة الإفك بآيات من القرآن نزلت في ذلك، وقال الحاكم في المستدرك أن ربع أحكام الشريعة نقلت عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكان أكابر الصحابة يسألونها فيما استشكل عليهم، فقد قال أبو موسى الأشعري: (ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها توفيت سنة ٥٨هـ.

* **قولها: أن رسول الله ﷺ قال: من نذر أن يطيع الله فليطعه،** أي: من نذر نذر طاعة وجب عليه الوفاء بذلك النذر، سواء كان نذر مجازاة، أو نذر تبرر، كأن يقول: إن شفى الله مريضي فعليَّ أن أتصدق لله بكذا، مثل هذا يُسمى نذر المجازاة، يجب عليه إن حصل له ما علق نذره على حصوله.

* **قوله: ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه،** أي: لا يوفي بهذا النذر، لأنه نذر معصية، بل يحرم نذر المعصية والوفاء به.

وهل تجب عليه كفارة أم لا؟.. الجواب: إن كفر كفارة يمين فحسن، وإلا فإنه لا تجب الكفارة في نذر المعصية، ومنه النذر لغير الله كالنذر للأصنام، والشمس، والقمر ونحو ذلك، لا وفاء عليه، ولا كفارة، لقوله ﷺ: «**من حلف وقال في حلفه واللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله**» [متفق عليه].

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى:** «**وجوب الوفاء بالنذر**» أي: نذر الطاعة لقوله: «من نذر أن يطيع الله فليطعه» مثل الصلاة والصوم والاعتكاف وغيرها.

* **الثانية:** «**إذا ثبت كونه عبادة فصرفه إلى غير الله شرك**» أي: لما مدحهم الله على الوفاء بالنذر وأنه يجازيهم عليه دل ذلك على أنه عبادة كما أشار إليه في الشرح. والعبادة إذا صرفت لغير الله صارت شركاً.

* **الثالثة:** «**أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به**» أي: لقوله: «ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه» وذلك كالزنا وشرب الخمر ونحوهما.



١٣ ـ باب من الشرك الاستعاذة بغير الله

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

وعن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك) (رواه مسلم).

***

(الشرح)

* **الاستعاذة:** هي الالتجاء، والاعتصام، والتحرز، وحقيقتها الهرب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه، والعياذ لدفع الشر، وأما اللياذ لطلب الخير، والعائذ بالله قد هرب إليه، واعتصم واستجار به، ولجأ إليه، وقد أمر الله عباده بها في مواضع من كتابه كقوله تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ وقول الله تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، وقول الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾، فأمر الله سبحانه يدل على محبته لذلك، فدل ذلك على أنها عبادة من أجل العبادات، فصرفها لغير الله شرك أكبر، **ولذا فإن الاستعاذة على أنواع:**

١ـ الاستعاذة بالله عبادة من أجل العبادات.

٢ـ الاستعاذة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الخالق، كالاستعاذة بالأموات

والشياطين والغائبين، شرك أكبر.

٣ـ الاستعاذة بالمخلوق فيما يقدر عليه، لكن يقول أعوذ بالله وبك، هذا شرك أصغر، لأنه أتى بالواو، لأنها تفيد أن ما بعدها مساوياً لما قبله.

٤ـ الاستعاذة بالمخلوق الحي الحاضر من الإنس، فيما يقدر عليه، جائزة، وإن قال أعوذ بالله ثم بك جاز، لأن ثم لا تفيد المساواة وإنما تفيد التعقيب.

* **وقول المصنف رحمه الله: وقول الله تعالى:** ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾، في هذه الآية أخبر سبحانه عمن استعاذ بخلقه أن استعاذته زادته رهقاً ورعباً، وذلك أن الرجل من العرب في الجاهلية كان إذا نزل منزلاً قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، يعني سيد الوادي من الجن، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم خوفاً منهم، زادوهم رهقاً، أي: خوفاً وإرهاباً وذعراً.

* **ثم استدل المصنف رحمه الله على أن الاستعاذة بالمخلوق لا تجوز في حديث خولة، قال: وعن خولة بنت حكيم،** وخولة هذه هي بنت حكيم ابن أمية ابن حارثة السلمية يقال لها أم شريك، ويقال: إنها هي الواهبة، كانت تحت عثمان بن مظعون.

* **قوله: قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من نزل منزلاً فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك»** (رواه مسلم)، ومعنى أعوذ: ألوذ وألتجأ وأعتصم بكلمات الله، وكلمات الله صفة من صفاته يجوز الاستعاذة بها، لأنها ليست مخلوقة خلاف للجهمية والمعتزلة الذين يقولون أن القرآن مخلوق، ولا شك أن القرآن من كلام الله، وكلام الله غير مخلوق.

* **قوله: التامات،** أي: أن كل كلام الله تام لا يلحقه نقص ولا عيب كما يلحق كلام البشر.

* **قوله: من شر ما خلق،** أي: من شر كل مخلوق قام به الشر، ففي هذا الحديث دليل على أن الاستعاذة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله لا تجوز، كالإستغاثه بالأموات والغائبين،لأنها من الشرك، ولذا أرشد النبي ﷺ، بدلاً عن ذلك إلى الاستعاذة بأسماء الله وصفاته، بدلاً عما يفعله أهل الجاهليه من الاستعاذة بالجن.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى:** «**تفسير آية الجن**» أي: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ معناه أن الرجل في الجاهلية كان إذا سافر فبات في مكان قفر استعاذ بكبير الجن من سفهاء قومه فلما رأى الجن ذلك زادوهم خوفاً وذعراً.

والشاهد من الآية أن هذا مما كانوا يفعلونه في الشرك قبل إسلامهم.

* **الثانية:** «**كونه من الشرك**» أي: لأن الاستعاذة عبادة أمر الله بإخلاصها له فلما صرفوها إلى الجن صار ذلك شركاً.

* **الثالثة: «الاستدلال على ذلك بالحديث لأن العلماء يستدلون به على أن كلمات الله غير مخلوقة قالوا لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك»** أي: أن الإمام أحمد وغيره استدلوا بهذا الحديث على أن القرآن غير مخلوق لأن الرسول ﷺ أرشد إلى الاستعاذة به وذكر فضيلة ذلك ولو كان مخلوقاً لم يرشد إلى ذلك ولم يأمر به لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك.

* **الرابعة**: «**فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره**» أي: لقوله: «لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك».

* **الخامسة**: «**أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية من كف شر أو جلب نفع لا يدل على أنه ليس من الشرك**» أي: أنهم إذا استعاذوا بكبير الجن سلموا من شرهم فهذه هي المنفعة ولكن مثل هذا لا يدل على جوازه وأنه ليس من الشرك بل يؤخذ ذلك من أدلة الشرع وهي قد دلت على أنه شرك فإن قدر أن فيه منفعة فهذا لا يبيحه لأن فيه من المفاسد أضعاف ذلك.



١٤ ـ باب من الشرك
أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

وقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ...﴾ **الآية، وقوله:** ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ...﴾ **الآية، وقوله:** ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ...﴾ **الآيتين، وقوله:** ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ...﴾ **الآية.**

وروى الطبراني بإسناده: أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله عَزَّوَجَلَّ».

***

(الشرح)

أي: أن من الشرك الأكبر الاستغاثة بالأموات والغائبين أو دعاء الأموات والغائبين، والاستغاثة: طلب الغوث وهو إزالة الشدة، والفرق بين الاستغاثة والدعاء أن الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب، وأما الدعاء فإنه يكون من المكروب وغيره، فعطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص.

* **ثم قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقول الله تعالى:** ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ

﴿فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، هذا النهي خرج مخرج الخصوص، والمراد به العموم، فهو عام لجميع الأمة، نهوا أن يدعوا أحداً من سائر المخلوقين العاجزين عن إيصال النفع ودفع الضر، كالأموات والغائبين من الشياطين والجن ونحوهم، وقوله: ﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾ أي: دعوت أحداً من دون الله: ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: من المشركين.

يخاطب الله تعالى نبيه ﷺ بذلك وهو مبرأ منه، لكنه أبلغ في الزجر والتحذير عن دعاء غير الله، ولهذا نظائر كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، **والدعاء نوعان:**

١ـ دعاء مسألة: وهو طلب ما ينفع الداعي. من جلب نفع أو دفع ضر، فالمعبود لابد أن يكون مالكاً لذلك، ولذلك أنكر الله على من عبد من لا يملك ضراً ولا نفعاً.

٢ـ دعاء عبادة: بأي نوع من أنواع العبادة كما في حديث «**علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به قال: يا موسى قل: لا إله إلا الله**»، وهو ما لم يكن فيه صيغة سؤال وطلب، وهما متلازمان.

* **وقول الله تعالى:** ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ الآية، أي: إن أصابك مرض أو غير ذلك من أنواع الضر فلا يكشف ذلك إلا الله وحده، فإنه المتفرد بذلك سبحانه، فيلزم من ذلك أن يكون هو المدعو وحده لا شريك له، فإن العبادة لا تصلح إلا لمالك الضر والنفع.

* **ثم قال المصنف وقوله تعالى:** ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ﴾ الآية، أي: اطلبوا الرزق عند الله وارغبوا إليه فيه، فإنه عنده وحده لا شريك له دون ما

سواه، لأنه المالك له، وغيره سبحانه لا يملك شيئاً من ذلك، وإنما هو سبب من الأسباب التي أمر العبد أن يفعلها ليحصل له ما قدر له، قوله: ﴿وَٱعۡبُدُوهُ﴾، وهذا من باب عطف العام على الخاص، فإن ابتغاء الرزق عند الله من العبادة التي أمر بها، وقوله: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓ﴾أي: ما أنعم به عليكم، قوله: ﴿إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ أي: يوم القيامة فيجازي كلاًّ بعمله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

* **وقوله تعالى:** ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ **الآيتين**، حكم سبحانه أنه لا أضل ممن يدعو من دون الله أيّ مدعو كان، ولذا فإن في هذه الآية **خمسة أمور**:

الأول: أنه لا أضل ممن دعا غير الله.

الثاني: أن المدعو غافل عن دعاء الداعي لا يدري عنه.

الثالث: أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي وعداوته له.

الرابع: أن تلك الدعوة عبادة للمدعو.

والخامس: كفر المدعو بتلك العبادة.

وهي في قوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ هذا الأول.وقوله: ﴿لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ هذا الثاني.

* **وقوله**: ﴿ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءً﴾ هذا الثالث، وقوله: ﴿وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ﴾ هذا الرابع، وقوله: ﴿كَٰفِرِينَ﴾ هذا الخامس.

* **قوله: وقوله تعالى**: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾الآية، فيه أنه

سبحانه يحتج على المشركين في اتخاذهم الشفعاء من دونه بما قد علموه وشاهدوه من إجابة المضطرين، وكشف السوء النازل بهم من عنده، وجعلهم خلفاء أحياء بعد أمواتهم.

* **وقال سبحانه:** ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ أي: أإله سوى الله يفعل هذه الأشياء بكم، وينعم عليكم هذه النعم، أي: أنتم تعلمون وتعترفون أنه لا يفعل ذلك سوى الله، فإذا كانت آلهتكم لا تجيبكم، فلا يصلح أن تجعلوها شركاء لله، بل إنه محرم لأنه من الشرك الأكبر والذنب الذي لا يغفر لمن مات عليه.

* **وقوله: وروى الطبراني بإسناده: «أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله عَزَّوَجَلَّ».**

* الطبراني هو الإمام الحافظ سليمان بن أحمد، صاحب المعاجم الثلاثة وغيرها، وتوفي سنة ٣٦٠ هـ.

* **قوله: منافق يؤذي المؤمنين،** هو عبدالله بن أُبي بن سلول رأس المنافقين.

* **قوله: فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق،** أي: يرفع عنا أذيته.

* **قوله: فقال النبي ﷺ: إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله عَزَّوَجَلَّ،** في هذا حماية لجناب التوحيد وسدٌّ لذرائع الشرك، وتحذيرٌ من وسائله، لأن الاستغاثة إن كانت بحي حاضر قادر فهذه جائزة، لأن الصحابة كانوا يطلبون منه في حياته

الدعاء، ويستسقون به، وإنما نهاهم النبي ﷺ خوفاً من الاستغاثة به بعد مماته، أو أن يطلب منه عليه الصلاة والسلام ما لا يقدر عليه إلا الله، لأنه لما كان هذا المعنى هو المفهوم عند الإطلاق، وكان مختصاً بالله صح إطلاق نفيه، عما سوى الله، ولذا قال النبي ﷺ: إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله، وفي ما تقدم من الآيات دليل على أن دعاء الميت والغائب والحاضر فيما لا يقدر عليه إلا الله والاستغاثة بغير الله، لكشف الضر، أو تحويله هو الشرك الأكبر، بل هو أكبر أنواعه.

❖ فيه مسائل وإيضاحها:

* **الأولى**: «**أن عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص**» أي: لأن الدعاء عام والاستغاثة دعاء المكروب فهو دعاء مخصوص.

* **الثانية**: «**تفسير قوله**: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾» أي: لا ينفعك إن دعوته ولا يضرك إن تركت دعاءه.

* **الثالثة**: «**أن هذا هو الشرك الأكبر**» أي: لقوله: ﴿فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: المشركين والظلم هنا هو الشرك لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

* **الرابعة**: «**أن أصلح الناس لو يفعله إرضاء لغيره صار من الظالمين**» أي: لقوله: ﴿فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

* **الخامسة**: «**تفسير الآية التي بعدها**» أي: قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾، أي: لا يقدر على ذلك إلا الله.

* **السادسة:** «**كون ذلك لا ينفع في الدنيا مع كونه كفراً**» أي: دعاء غير الله لا ينفع وهو كفر كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾.

* **السابعة:** «**تفسير الآية الثالثة**» أي: قوله تعالى: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ ﴾.

* **الثامنة:** «**أن طلب الرزق لا يبتغى إلا من الله كما أن الجنة لا تطلب إلا منه**» أي: لقوله: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ ﴾ فتقديم المعمول يفيد الاختصاص أي: اطلبوه من عند الله لا من عند غيره.

* **التاسعة:** «**تفسير الآية الرابعة**» أي: قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ ﴾ الآيتين.

* **العاشرة:** «**أنه لا أضل ممن دعا غير الله**» أي: لقوله: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ .

* **الحادية عشرة:** «**أنه غافل من دعاء الداعي لا يدري عنه**» أي: لقوله: ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾ .

* **الثانية عشرة:** «**أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي وعداوته له**» أي: لقوله: ﴿ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً ﴾.

* **الثالثة عشرة:** «**تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو**» أي: لقوله: ﴿وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ ﴾.

* **الرابعة عشرة:** «**كفر المدعو بتلك العبادة**» أي: لقوله: ﴿وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾

والمعنى أنهم يتبرؤون من ذلك ويجحدونه.

* **الخامسة عشرة**: «**هي سبب كونه أضل الناس**» أي: لقوله: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾.

* **السادسة عشرة**: «**تفسير الآية الخامسة**» أي: قوله تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾.

* **السابعة عشرة**: «**الأمر العجيب وهو إقرار عبدة الأوثان أنه لا يجيب المضطر إلا الله ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين**» أي: أنهم إذا سئلوا عن ذلك أقروا أنه لا يقدر على ذلك إلا الله وقوله: «يدعونه في الشدائد» كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ الآية، فيلزمهم إفراده بالعبادة دائما لكونه هو القادر على ذلك لا ما عبدوه معه.

* **الثامنة عشرة**: «**حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد والتأدب مع الله**» أي: لقوله: «**إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله**» مع كونه مما يقدر عليه ولكنه نهاهم حماية لجناب التوحيد فكيف إذا طلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل.



١٥ ـ باب قول الله تعالى:

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝١٩١ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ... ﴾ الآية.

* وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ الآية.

وفي (الصحيح) عن أنس قال: شُجَّ النبي ﷺ يوم أحد وكسرت رباعيته، فقال: (كيف يفلح قوم شَجُّوا نبيهم)؟ فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾.

وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: (اللهم العن فلاناً وفلاناً) بعدما يقول: (سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد)، فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾.

وفي رواية: يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام، فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾.

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ حين أُنْزِلَ عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، قال: (يا معشر قريش ـ أو كلمة نحوها ـ اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئاً).

***

(الشرح)

* في هذه الترجمة الرد على كل مُشرك أشرك في عبادة الله، وكذلك بيان حال المدعوين من دون الله، وأنهم لا ينفعون ولا يضرون، سواء في ذلك الأنبياء والصالحون وغيرهم، وقوله: ﴿أَيُشْرِكُونَ﴾ أي: من لا يستحق العبادة، لأنه لم يخلق شيئاً، وإنما الخالق هو الله وحده سبحانه المستحق للعبادة وحده، وقوله: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي: أن من أشركوه مع الله في عبادته مخلوق، والمخلوق لا يستحق أن يكون شريكاً للخالق في العبادة، وقوله: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ أي: أنهم لا يستطيعون نصر من سألهم، وقوله: ﴿وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ أي: فضلاً أن ينصروا غيرهم، وذلك برهان قاطع ببطلان ما كانوا يعبدونه من دون الله.

* **وقوله:** ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ الآية، القطمير: القشرة التي على النواة، ومن كانت هذه صفته فكيف يرغب إليه ويُدعى لدفع ضر أو جلب نفع، ففي هذه الآية أخبر عن الواقع لا محالة عن حال المدعوين من الملائكة وغيرهم، بما يدل على عجزهم وضعفهم، وأنهم قد انتفت عنهم الأسباب التي تكون في المدعو، وهي الملك وسماع الدعاء، والقدرة على الاستجابة، فمتى لم توجد هذه الشروط تامة بطلت دعوته ودعاؤه.

كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ أي: أنهم يجحدونه ويتبرؤون مما فعل معهم.

* **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: **وفي الصحيح،** أي: في صحيح البخاري ومسلم.

* **عن أنس قال:** «**شُجّ النبي** ﷺ **يوم أحد، وكسرت رباعيته،** والشج الجرح في الرأس والوجه خاصة، وهو أن يضربه بشيء فيشق جلده، الرباعية بفتح الراء وتخفيف الباء كل سن بعد ثنية، **وقوله:** كسرت، أي: ذهب منها فلقة، ولم تقلع من أصلها.

* **قوله يوم أُحد:** أي: في غزوة أُحد، وأُحد جبل معروف شمالي المدينة، كانت عنده الوقعة المشهورة، والشاهد من الحديث للترجمة إثبات وقوع الإبتلاء والأسقام بالأنبياء لينالوا جزيل الثواب، ولتعرف الأمم ما أصابهم فيتأسوا بهم، وليعلموا أنهم مخلقون مربوبون، فلا يغلا فيهم فيعبدون مع دون الله ويشركون مع الله في العبادة.

* **قوله: فقال: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟،** أي: كيف يحصل لهم الظفر والفوز والسعادة، مع فعلهم هذا بنبيهم.

* **قوله:** فنزلت: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾، أي: ليس لك إلا ما أمرتك به فيهم، وليس ذلك بهوان النبي ﷺ على الله، فإنه أكرم خلق الله عليه، وأفضلهم على الإطلاق، ولكن ليتبين أنه ليس له من مقام الربوبية والألوهيه شئ فإنما هو عبدالله ورسوله، فلا يدعى مع الله ولا يشرك معه في العبادة.

* **قوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: **وفيه،** أي: في صحيح البخاري.

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهوعبدالله صحابي جليل ابن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، شهد له رسول الله ﷺ بالصلاح، ففي الصحيح أنه قال لحفصة: (إن أخاك، أو إن

عبدالله رجل صالح).

* **قوله**: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: **اللهم العن فلانا وفلانا، بعد ما يقول: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد،** فأنزل الله: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾، وفي رواية: «يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، فنزلت: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾، هذا القنوت هو على صفوان ابن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، فالمبهم في الرواية الأولى بيّنه في الرواية الثانية، أي: أن الرسول ﷺ يدعو عليهم بعد قول: «سمع الله لمن حمده»، فأخبره الله عَزَّوَجَلَّ أنه ليس له من الأمر شيء إلا ما أمر به، والنبي ﷺ لما دعا عليهم لأنهم رؤوس المشركين يوم أحد، فتاب عليهم فأسلموا، وحسن إسلامهم، والشاهد من الحديث في هذا الباب، أنه إذا كان أفضل الخلق، نبينا محمد ﷺ، وخلفه الصحابة يؤمنون على دعائه، وهم صفوة الخلق بعد الرسل، ومع ذلك أنزل الله هذه الآية: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾، وفي ذلك أكبر دلالة على أنه ﷺ لا يملك ولا يقدر إلا على ما أقدره الله عليه، وبهذا يظهر بطلان ما يعتقده فيه المشركون أنه ينفع دعاؤه والاستغاثة به ﷺ بعد موته أو دعاء غيره من سائر الأنبياء والصالحين.

* **قوله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وفيه،** أي: في صحيح البخاري.

* **عن أبي هريرة** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، هو عبدالرحمن بن صخر الدوسي، من حفاظ الصحابة وفضلائهم وأكابرهم، مات سنة ٥٧ هـ، وله ٧٨.

* **وفيه: عن أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** قام فينا رسول الله ﷺ حين أُنْزِلَ عليه: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ فقال: «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ** ـ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا ـ **اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ! لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا**».

* **قوله: يا معشر قريش،** المعشر الجماعة ويتناول الإنس والجن، أو كلمة نحوها: معناه أنه شك الراوي هل قال: يا معشر قريش، أو قال ما يقارب ذلك، خاطب العامة أولا، وهذه نذارة خاصة، وإلا فقدأمره الله بالنذارة العامة في قوله تعالى: ﴿ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ ﴾.

* **قوله: اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً،** أي: اسعوا في فكاك أنفسكم وخلصوها من عذاب الله بتوحيد الله، والإيمان به وبرسوله، وترك ما كنتم تعبدون من دون الله من الأوثان والأصنام، فإن ذلك هو الذي ينجيكم من عذاب الله.

* **قوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: **وقال في الحديث: يا عباس بن عبدالمطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله** ﷺ **لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئاً،** في هذا الحديث: عباس وصفية وفاطمة تكون بالرفع، ويجوز النصب، وقال النووي: النصب أفصح، أما ما بعدها وهي (ابن) و(عمة) و(بنت) بالنصب لا غير، الشاهد من هذا الحديث أن النبي ﷺ أنذر عمه وعمته وابنته، وأخبر أنه لا يغني عنهم من الله شيئاً، وأن

مجرد قربهم منه غير نافع لهم، ولا منج من عذاب الله إذا لم يؤمنوا به، فيقبلوا ما جاء به من التوحيد وسائر شرائع الإسلام، وترك الشرك، ولذا لا يُسأل العبد إلا ما يقدر عليه، إذا كان حياً حاضراً قادراً، وأما النجاة من النار ونحو ذلك، من كل ما لا يقدر عليه، إلا الله، فلا يجوز أن يطلب إلا من الله تعالى، ولذا قال النبي ﷺ، في هذا الحديث لفاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت، لأن هذا هو الذي يقدر عليه ﷺ، وأما ما كان من أمر الله، ومن خصائص الله فلا قدرة لأحد عليه، فطلبه من غير الله شرك في عبادة الله لأنه من خصائص الله.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

❊ **الأولى**: «تفسير الآيتين» أي: قوله تعالى: ﴿ **أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا** ﴾ ففيه الإنكار على من عبد أي: معبود كان لأنه لا يخلق شيئا ❊ وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ فيها إبطال عبادة كل ما سوى الله لأنه لا يملك القطمير فكيف بما هو أعظم.

❊ **الثانية**: «**قصة أحد**» أي: غزوة أحد التي شج فيها النبي ﷺ وكسرت رباعيته وقتل فيها من قتل من الصحابة ففيها أنهم عاجزون لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرّاً بل الأمر كله لله وحده.

❊ **الثالثة**: «**قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمنون**» أي: إذا رفع رأسه من الركعة الآخرة من صلاة الفجر دعا وأمن الصحابة خلفه.

❊ **الرابعة**: «**أن المدعو عليهم كفار**» أي: في ذلك الوقت.

* **الخامسة:** «**أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار منها شجهم نبيهم وحرصهم على قتله ومنها التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم**» أي: أنهم فعلوا هذه الخصال التي هي من أسباب الدعاء عليهم ولكن أمر الله غالب وهو المتصرف في عباده دون خلقه.

* **السادسة:** «**أنزل الله عليه في ذلك:** ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾» أي عواقب الأمور بيدي فامض أنت لشأنك ودم على عبادة ربك، قاله ابن عطية. كما أشار إليه في الشرح.

* **السابعة: قوله:** ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ **فتاب عليهم فآمنوا**» أي: صفوان ابن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام وأمثالهم ومنهم من قتل شهيداً.

* **الثامنة:** «**القنوت في النوازل**» أي: لما دعا عليهم في الصلاة بعد فعلهم ما فعلوه دل على القنوت في النوازل.

* **التاسعة:** «**تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم**» أي: لكونه سمى صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام.

* **العاشرة:** «**لعن المعين في القنوت**» أي: كما جاء في الحديث اللهم العن فلاناً وفلاناً.

* **الحادية عشرة:** «**قصته ﷺ لما أنزل عليه:** ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾» أي: أنه جمعهم فأنذرهم فعم وخص وأخبر أنه لا يغني عنهم من الله شيئاً.

* **الثانية عشرة**» «**جده ﷺ بحيث فعل ما نسب بسببه إلى الجنون وكذلك لو**

يفعله مسلم الآن» أي: أنه لما جمعهم وأنذرهم قال عمه أبو لهب: «تبا لك ألهذا جمعتنا» ونسبوه إلى الجنون وكذلك لو أن مسلماً أخذ يصدع بالحق بين الناس ويحذر من الباطل لنسب إلى الجنون بسبب غربة الدين.

* **الثالثة عشرة: «قوله للأبعد والأقرب: «لا أغني عنك من الله شيئاً»** حتى قال: **«يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئاً» فإذا صرح وهو سيد المرسلين بأنه لا يغني شيئا عن سيدة نساء العالمين وآمن الإنسان أنه ﷺ لا يقول إلا الحق ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس اليوم تبين له التوحيد وغربة الدين»** أي: من آمن أنه لا يغني عن أقرب الناس إليه شيئاً لتصريحه بذلك ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس، أي: من أنه يملك وينفع ويضر ويعلم الغيب تبين له التوحيد، أي: أنه الإقبال على الله وحده لأنه الذي بيده الأمر دون من سواه وتبين له غربة الدين لأجل أن أكثر الخلق تركوا التوحيد ووقعوا في الشرك حيث تركوا إخلاص العبادة لله وحده وأقبلوا على عبادة من لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتا ولا حياة ولا نشوراً بنص الآيات والأحاديث.



١٦ ـ باب قول الله تعالى:

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾.

وفي (الصحيح) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، ينفذهم ذلك: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ فيسمعها مسترق السمع ـ ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض ـ وصفه سفيان بكفه: فحرَّفها وبدد بين أصابعه ـ فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها عن لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء).

وعن النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السماوات منه رجفة ـ أو قال رعدة ـ شديدة خوفاً من الله عَزَّ وَجَلَّ. فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخروا سجداً. فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عَزَّ وَجَلَّ».

***

(الشرح)

هذه الترجمة فيها بيان حال الملائكة الذين هم أقوى وأعظم ممن دونهم ممن عُبد مع الله، فإذا كان هذا حالهم مع الله وهذه هيبتهم وخوفهم منه وخشيتهم له، فكيف يُدْعَون من دون الله، وأيضاً إذا كانوا مع ما هم عليه من جلالة القدر لا يجوز أن يدعوا ولا أن يستغاث بهم، فغيرهم ممن لا يقدر على شيء من الأموات والأصنام أولى أن لا يدعى ولا يعبد من دون الله، قال تعالى في حق الملائكة: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

* **وقوله:** ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ أي: أزيل الفزع عن قلوب الملائكة، من الغشية التي تصيبهم عند سماع كلام الله عَزَّوَجَلَّ بالوحي إلى جبريل.

* **وقوله: في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء»**، أي: إذا تكلم الله بالأمر الذي شاء كونه، كما في رواية أبي داود: (إذا تكلم الله بالوحي، سمع أهل السماوات.... إلخ.

* **وقوله: ضربت الملائكة بأجنحتها، خضعاناً لقوله:** أي: إذا تكلم بالوحي فسمع أهل السماوات كلامه أرعدوا وخافوا وفزعوا هيبة وخضعاناً لقوله، إذا كانت هذه حالهم مع ما أعطاهم الله من القوة والعظمة مما لا يعلمه إلا الله، فبطلان عبادتهم ظاهرة وغيرهم بطريق الأولى.

* **قوله: كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك**، كما جاء في حديث أبي داود وغيره: «**إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماوات صلصلة كجر السلسلة على**

الصفاء، فيصعقون فلا يزالون كذلك، حتى يأتيهم جبريل».

* **قوله:** ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ أي: حتى إذا أزيل عنها الخوف والغشي، قالت الملائكة بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم؟ قالوا: قال الله الحق، لأنه سبحانه هو الحق وقوله حق.

* **قوله: فيسمعها مسترق السمع،** أي: يسمع مسترق السمع الكلمة التي قضاها الله، ثم سمعته الملائكة فتحدثوا بها، ومسترق السمع هو من الشياطين، لإنهم يركب بعضهم بعضاً، كما في صحيح البخاري من حديث عائشة: «**إن الملائكة تنزل في العنان، وهو السحاب، فتذكر الأمر قضي في السماء، فتسترق الشياطين السمع، فتوحيه إلى الكهان، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم**»، وسماعهم من الذين في العنان لا ينفي سماعهم من الذين في السماء، فالشهب إنما يرمى بها من السماء لا من السحاب كما قال تعالى إخباراً عنهم: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾، وقال تعالى: ﴿وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ والذي يظهر أن يقال أنهم كما يسمعون من ملائكة السماء، فكذلك يسمعون من ملائكة السحاب فلا تنافي بينهما.

* **قوله: ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض، وصفه سفيان بكفه،** وسفيان هو ابن عيينة، الهلالي أبو محمد الكوفي ثم المكي، ثقة حافظ فقيه، إلا أنه تغير حفظه في آخره مات سنة ١٩٨هـ، وله ٩١، وسفيان هذا وصف ركوب بعضهم فوق بعض.

* **قوله: فحرفها وبدد بين أصابعه،** حرفها، بحاء وراء مشددة: ميلها.

* **وقوله: بدد،** أي: فرق وباعد بين أصابعه من غير مماسة بعضها لبعض، ولا لصوق بعضها لبعض

* **قوله: فيسمع الكلمة، فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن،** أي: يلقي الشيطان الفوقاني الكلمة التي سمعها إلى الشيطان الذي تحته، وهكذا حتى يلقيها آخرهم على لسان الساحر أو الكاهن.

* **قوله: فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه،** الشهاب: هو النجم الذي يرمى به مسترق السمع، أي: ربما أدرك الشهاب المسترق لتلك الكلمة التي سمعت من السماء، قبل إلقائها، وربما ألقى الكلمة قبل أن يدركه، لما لله في ذلك من الحكمة، فإن الله سبحانه لا يفوته شيء ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء إنه عليم حكيم، والحديث يدل على أنه كان يرمى الجن بالشهب قبل البعثة، لحديث ابن عباس الذي رواه مسلم: (كان رسول الله ﷺ جالساً في نفر من أصحابه، فرمي بنجم عظيم فاستنار، قال: «**ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية؟** قالوا: كنا نقول: لعله يولد عظيم أو يموت عظيم، قال: **فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا تبارك اسمه إذا قضى أمراً سبح حملة العرش، ثم يسبح أهل السماء الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح هذه السماء الدنيا، ثم يستخبر أهل السماء الذين يلون حملة العرش، فيقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم، ويخبر أهل كل سماء سماء، حتى ينتهي الخبر إلى هذه السماء، ويخطف الجن السمع فيرمون،**

فما جاؤوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يزيدون فيه ويقرفون وينقصون»)، قال بعضهم الشهاب الذي يدرك مسترق السمع لا يقتلهم ولا يميتهم، ولكنه يحرقهم من غير قتل ويجرح من غير قتل لأنهم يعودون لاستراق السمع، والله أعلم.

* **قوله: فيكذب معها مائة كذبة**، بفتح الكاف وسكون، لأن الساحر أو الكاهن يكذب مع تلك الكلمة التي ألقاها إليه وليه من الشياطين مائة كذبة، أو أن الشيطان يكذب مع الكلمة التي استرقها مائة كذبة، ويخبر بالجميع وليه من الإنس فيفتتن الإنس بالإنسي الساحر أو الكاهن، كما يفتن الساحرَ والكاهنَ وليهُما من الشياطين، فيقبلون ما جاء به من الصدق و الكذب، لكونهم قد يصدقون فيما يأتون به في خبر السماء.

* **قوله: فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا، كذا وكذا؟**، أي: يصدقونهم لكونهم قد يصدقون في بعض الأحيان، كما الصحيح عن عائشة: (قلت: يا رسول الله إن الكهان كانوا يتحدثون بالشيء فنجده حقاً، قال: تلك الكلمة الحق يخطفها الجني، فيقذفها في أذن وليه، ويزيد فيها مائة كذبة)، وفي هذا مايدل على قبول النفس للباطل، كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة كذبة، وفي هذا الحديث إثبات علو الله على خلقه، على ما يليق بجلاله وعظمته، خلاف للأشاعرة والجهمية ونفاة المعتزلة.

* **قال المصنف** رحمه الله: **وعن النواس بن سمعان** رضي الله عنه، بكسر السين،: الأنصاري، صحابي وأبوه أيضاً صحابي.

* **قوله: قال: قال رسول الله** ﷺ: **«إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي»**،

أي: في الأمور التي يقضيها الرب تبارك وتعالى، كما في حديث أبي هريرة، والإرادة صفة من صفات الله عَزَّوَجَلَّ وهي نوعان:

١ـ إرادة شرعية دينية، مستلزمة لمحبة الله ورضاه.

٢ـ وإرادة قدرية كونية عامة شاملة.

وهو سبحانه يريد الخير ويأمر به، وينهى عن الشر ولا يأمر به، وإن كان مريداً له، فكل الأشياء كائنة بمشيئته وقدرته وخلقه، وفيه النص على أن الله يتكلم بالوحي متى شاء، ففيه الرد على الأشاعرة وغيرهم لإنكارهم لكلام الله تعالى، وزعمهم أن القرآن عبارة عن كلام الله.

* **قوله**: أخذت السماوات منه رجفة، أو قال: رعدة شديدة، أي: هذا شك من الراوي هل قال النبي ﷺ رجفة، أو رعدة.

* **قوله**: في السماوات: مفعول مقدم والفاعل رجفه ففي هذا التصريح أن السماوات تسمع كلام الله.

* **خوفاً من الله عَزَّوَجَلَّ**، تخاف من الله بما جعل فيها من الإحساس والمعرفة بمن خلقها، كما في قوله: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ﴾.

* **قوله: فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخروا لله سجدّاً**، الصعوق: هنا الغشي والملائكة يقع منهم الأمران، الصعوق وهو هنا الغشي، ويقع منهم السجود والله اعلم أيهما قبل الآخر أي: الغشي أوالسجود، ففي هذا أنه إذا كانت

السماوات على عظمتها وسعتها وما فيها من السكان ترجف ويصعق من فيها هيبة لله وخوفاً منه، فالالتجاء إلى غيره، والتعلق عليه من أبطل الباطل.

* **قوله: فيكون أول من يرفع رأسه جبرائيل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبرئيل على الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبرائيل؟ فيقول جبرائيل: قال الحق وهو العلي الكبير، فيقولون كلهم مثل ما قال جبرائيل)،** بفتح «أول» خبر «يكون»، مقدم على اسمها، ويجوز العكس، وإنما كان أول من يرفع رأسه جبرائيل؛ لأنه سفير الله بينه وبين رسله وأمينه على وحيه، ورآه رسول الله ﷺ في صورته، وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سد الأفق.

فإذا كان هذا عظم أحد المخلوقات فخالقها أعظم وأجل وأكبر.

* **قوله: فينتهي جبرئيل بالوحي إلى حيث أمره الله عَزَّوَجَلَّ**، أي: إلى حيث أمره الله من السماء والأرض، الشاهد من الآية والأحاديث أنه إذا كان هذا حال الملائكة عند مجرد سماع كلام الله، مع ما أعطاهم الله من شدة القوة، وعظم الخلقة، علم أنه لا يجوز صرف شيء من أنواع العبادة لهم، لعجزهم عن النفع والضر، فكيف بمن هو دونهم بمراتب؟ ولكن أهل الشرك لا يفقهون، والشاهد هو الرد على المشركين عبدة الأوثان وغيرهم.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى: «تفسير الآية»** أي: قوله تعالى: ﴿إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ أي: زال عنها الفزع والمراد به الملائكة.

* **الثانية: «ما فيها من الحجة على إبطال الشرك خصوصاً ما تعلق على الصالحين وهي الآية التي قيل إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب»** أي: بسبب أمور أربعة: **الأول**: أنهم لا يملكون شيئا، **الثاني**: أنهم لا يملكون قسطاً من الملك، **الثالث**: أنهم لا يعاونون الله لغناه عن جميع خلقه، **الرابع**: أنهم لا يملكون الشفاعة إلا بإذنه لمن ارتضى، كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام في الباب الذي بعده.

* **الثالثة**: «تفسير قوله: ﴿قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾» أي: أخبروا أن الله لا يقول إلا حقاً وهو العلي الذي علا على جميع خلقه علو الذات وعلو القهر وعلو القدر الكبير الذي لا أكبر منه جل وعلا.

* **الرابعة: «سبب سؤالهم عن ذلك»** أي: لما كانوا يصعقون حين يسمعون كلام الله فلا يفهمونه فإذا زال ذلك عنهم سألوا عنه فأخبروا.

* **الخامسة: «أن جبريل يجيبهم بعد ذلك بقوله: قال كذا وكذا»** لأنه الملك الموكل بالوحي وهو أول من يرفع رأسه.

* **السادسة: «ذكر أن أول من يرفع رأسه جبريل»** أي: لأنه الملك الموكل بالوحي ويدل ذلك على فضله.

* **السابعة: «أنه يقول لأهل السموات كلهم لأنهم يسألونه»** أي: لقوله: «ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها».

* **الثامنة: «أن الغشي يعم أهل السموات كلهم»** أي: لقوله: «فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا».

* **التاسعة:** «**ارتجاف السموات بكلام الله**» أي: لقوله: «أخذت السموات منه رجفة».

* **العاشرة:** «**أن جبريل هو الذي ينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله**» أي: كما ذكره في آخر الحديث وذلك والله أعلم لأنه الملك الموكل بالوحي.

* **الحادية عشرة:** «**ذكر استراق الشياطين**» أي: أنهم يركب بعضهم بعضاً فيسترقون السمع من السماء أو من السحاب كما في الحديث الآخر.

* **الثانية عشرة:** «**صفة ركوب بعضهم بعضاً**» أي: كما وصف سفيان ابن عيينة أحد رواة الحديث فبدد بين أصابعه وحرف كفه.

* **الثالثة عشرة:** «**إرسال الشهاب**» أي: أن الشيطان إذا أراد استراق السمع أرسل عليه الشهاب.

* **الرابعة عشرة:** «**أنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها وتارة يلقيها في أذن وليه من الإنس قبل أن يدركه**» أي: لقوله في الحديث: «فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه».

* **الخامسة عشرة:** «**كون الكاهن يصدق في بعض الأحيان**» أي: لأجل ما أتاه به وليه من الشياطين لا لكونه صدقه عن علم.

* **السادسة عشرة:** «**كونه يكذب معها مائة كذبة**» أي: يخلط مع تلك الكلمة الواحدة مائة كذبة ليروج بها على الناس فيقبلوا كذبه.

* **السابعة عشرة**: «**أنه لم يصدق كذبه إلا بتلك الكلمة التي سمعت من السماء**» أي: لاغترار الناس بها وغفلتهم عما قارنها من الكذبات.

* **الثامنة عشرة**: «**قبول النفوس للباطل كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة**» أي: أن كونهم اغتروا بواحدة فصدقوه بها في كل ما قال ولم يعتبروا بمائة فيردوا بها الباطل، من قبول نفوسهم للباطل.

* **التاسعة عشرة**: «**كونهم يتلقى بعضهم من بعض تلك الكلمة ويحفظونها ويستدلون بها**» أي: هذا من أسباب ترويج ما يقوله الكاهن من الباطل، ولو أنهم قالوا إنه يكذب كثيرا ولم يغتروا بهذه الكلمة لسلموا من باطله ولم يرج عليهم.

* **العشرون**: «**إثبات الصفات خلافا للأشعرية المعطلة**» أي: مثل صفة الكلام من قوله: «تكلم بالوحي»، وقوله: «سمع صوته أهل السماء» أنه بصوت، ومثل صفة العلو من قوله: ﴿قَالُواْ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾.

* **الحادية والعشرون**: «**أن تلك الرجفة والغشي خوفاً من الله** عَزَّوَجَلَّ» أي: كما ذكره في الحديث وفيه أن السموات تخاف الله حقيقة بما جعله فيها.

* **الثانية والعشرون**: «**أنهم يخرون سُجداً**» أي: كما ذكر في الحديث.



١٧ ـ باب الشفاعة

وقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ﴾، وقوله: ﴿قُل لِلّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾، وقوله: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾، وقوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللهُ لِمَن يَشَاء وَيَرْضَى﴾، وقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْض..﴾ الآيتين.

قال أبو العباس: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عوناً لله، ولم يبق إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب؛ كما قال تعالى: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾.

فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون، هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبي ﷺ أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده، لا يبدأ بالشفاعة أولاً، ثم يقال له: ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تُعط، واشفع تُشفع.

وقال له أبو هريرة: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: «من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه» فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله.

وحقيقته: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع، ليكرمه وينال المقام المحمود.

فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بيّن النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص.. انتهى كلامه.

***

(الشرح)

أي: بيان الشفاعة وإيضاحها، وبيان حكمها وحقيقتها، وبيان ما أثبته القرآن منها وما نفاه، لأن المشركين في قديم الدهر وحديثه إنما وقعوا في الشرك لتعلقهم بالشفاعة، فأشركوا مع الله غيره كدعاء الملائكة والأصنام والأولياء والصالحين وغيرهم بحجة طلب الشفاعة منهم وهذا هو عين الشرك مع الله في عبادته، ووقعوا في الشرك الأكبر، كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾، فلما كانت الشفاعة قد دلت عليها النصوص ومنعت منها نصوص، بيّن أهل العلم أن الشفاعة **شفاعتان**:

❊ **الأولى: شفاعة منفية**: وهي التي تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

❊ **الثانية: شفاعة مثبتة**: وهي التي تطلب من الله، ولا تكون إلا لأهل التوحيد، ومقيدة بأمرين:

❊ **الأول**: إذن الله للشافع أن يشفع.

❊ **الثاني**: رضاه عن المشفوع له.

❊ **والناس في الشفاعة ثلاث طوائف**: طرفان ووسط، فطائفة أنكروها كاليهود والنصارى والخوارج المكفرين بالذنوب، وطائفة أثبتوها وغلوا في إثباتها، حتى جوزوا طلبها من الأولياء والصالحين بعد موتهم وهم المشركون، وأما الوسط فهم أهل السنة والجماعة فإنهم أثبتوا الشفاعة الشرعية وهي الشفاعة المثبتة التي تقدم ذكرها، **وأنواع الشفاعة المثبتة ستة أنواع**:

الأول: الشفاعة الكبرى: وهي الشفاعة لأهل الموقف يوم القيامة وهي خاصة بالنبي ﷺ.

الثاني: شفاعته لأهل الجنة بدخول الجنة وهي خاصة أيضاً به ﷺ.

الثالث: شفاعته لقوم من العصاة من أمته قد استوجبوا النار فيشفع لهم ألا يدخلوها.

الرابع: شفاعته للعصاة من أهل التوحيد الذين يدخلون النار بذنوبهم أن يخرجوا منها.

الخامس: شفاعته لقوم من أهل الجنة لزيادة ثوابهم ورفع درجاتهم.

السادس: شفاعته لأبي طالب أن يخفف عنه وهذه خاصة بالنبي ﷺ وبأبي طالب.

* **وقوله** رحمه الله: **وقول الله تعالى**: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ أي: أنذر بالقرآن الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم وهم أهل الإخلاص، الذين لم يتخذوا لهم من دون الله شفيعاً، بل أخلصوا جميع أعمالهم لله وحده، وهذه نذارة خاصة للذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم،

* **قوله**: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾، أي: لا قريب لهم، ولا شفيع يشفع فيهم من عذابه إذا أراده بهم، ومعنى ذلك أنهم متخلين من ولي وشفيع، فتركوا التعلق على الشفعاء وغيرهم، لأنه ينافي الإخلاص الذي لا يقبل الله من أحد عملاً بدونه.

* **قوله**: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، أي: يعملون في هذه الدار عملاً ينجيهم الله به من عذاب يوم القيامة.

* **وقول الله تعالى:** ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾، أي: أن الشفاعة هي ملك لله تعالى، فلا تطلب إلا منه سبحانه، لأن ذلك عبادة وتأله لا يصلح إلا لله تعالى، وقد قال سبحانه قبلها: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾.. ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾، كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۖ بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾.

* **وقوله:** ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾، هذه الآية فيها رد على المشركين الذين اتخذوا الشفعاء من دون الله، من الملائكة والأنبياء والأصنام وغيرها، لأنهم ظنوا أنهم يشفعون عنده يوم القيامة سبحانه بغير إذنه، وأنكر الله عليهم، لأن الشفاعة إنما تقع في الدار الآخرة بإذنه، لقوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾.

فبين أن الشفاعة لا تحصل إلا بشرطين:

الأول: إذن الرب للشافع أن يشفع.

الثاني: رضاه عن المأذون فيه.

وهو سبحانه لا يرضى إلا على من مات على التوحيد والإخلاص.

* **وقوله تعالى:** ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾، وفي هذه الآية دليل على ما تقدم أنها لا تقبل الشفاعة إلا بإذن الله تعالى لمن يشاء ورضاه عنه، وذلك لمن سلم من الشرك ومات على ذلك، وإذا كان هذا أي: ما جاء في هذه الآية بحق الملائكة المقربين فكيف ترجى شفاعة هذه

الأنداد وغيرها عند الله تعالى.

* **وقوله:** ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ..الآيتين، أي: يقول الله لنبيه قل لهؤلاء المشركين: ﴿ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ أنهم آلهة مع الله، ليكشفوا الضر الذي نزل بكم، ثم أخبر بقوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: من خير وشر، ونفع وضر: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾ أي: لا يملكون شيئاً استقلالاً، وكذا لو على سبيل الشركة، ثم أخبر سبحانه: ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾، عوين يعينه بشيء: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ أي: لمن أذن له بالشفاعة، ولذا قال ابن القيم رحمه الله إن هذه الآية: تقطع عروق شجرة الشرك من قلب من عقلها، فالله سبحانه نفى نفياً مرتباً، فنفى الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشرك، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك، وهي الشفاعة بإذنه، ولم يجعل سبحانه الاستغاثة بالميت أو غيره سبباً لإذنه، وإنما السبب كمال التوحيد.

* **قال المصنف** رحمه الله: **قال أبو العباس:** هذه كنية شيخ الإسلام أحمد ابن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية الحراني، العالم الرباني، ولد سنة ٦٦١هـ، وتوفي سنة ٧٢٨هـ.

* **نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون،** أي: نفى في هذه الآية الكريمة ما يتعلق به المشركون من الاعتقاد في غير الله، من الملك والشركة والمعاونة والشفاعة، وهي الشفاعة التي يطلبها المشرك من غير الله.

* **ثم قال أبو العباس: فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عونا لله، ولم يبق إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال تعالى:** ﴿وَلَا

يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾، وهو سبحانه لا يأذن إلا لأهل التوحيد.

* **قال أبو العباس فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة، كما نفاها القرآن**، يعني: التي تطلب من غير الله، فيما لا يقدر عليه إلا الله، كقول أحدهم اشفع لي يا رسول الله أي: بعد موته.

* **ثم قال أبو العباس: وأخبر النبي ﷺ أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده، لا يبدأ بالشفاعة أولاً، ثم يقال له: ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفع،** هذا قطعة من حديث الشفاعة، المخرج في الصحيحين وغيرهما من حديث أنس وغيره في أهل الموقف.

* **ثم قال أبو العباس: وقال له أبو هريرة: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه،** وهذا الحديث رواه البخاري وغيره، والمراد: قول لا إله إلا الله مع شهادة أن محمداً رسول الله، وقوله خالصاً من قلبه احترازاً من شهادة المنافق فإنه يقولها بلسانه دون قلبه.

* **ثم قال أبو العباس: فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله وحقيقته: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع؛ ليكرمه وينال المقام المحمود، فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. انتهى كلامه** رحمه الله، أي: ابن تيمية وكلامه هذا، قام مقام الشرح والتفسير في هذا الباب، وهو كافٍ وافٍ بتحقيق مع الإيجاز.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى:** «**تفسير الآيات**» أي: آية الأنعام والزمر والبقرة والنجم وسبأ.

* **الثانية:** «**صفة الشفاعة المنفية**» أي: هي التي تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

* **الثالثة:** «**صفة الشفاعة المثبتة**» أي: هي التي تطلب من الله وتكون بشرطين: إذن الله للشافع، ورضاه عن المشفوع له.

* **الرابعة:** «**ذكر الشفاعة الكبرى وهي المقام المحمود**» أي: شفاعته ﷺ لأهل الموقف حتى يقضى بينهم فيستريح أهل الجنة من كرب الموقف.

* **الخامسة:** «**صفة ما يفعله ﷺ أنه لا يبدأ بالشفاعة بل يسجد فإذا أذن له شفع**» أي: مع كونه أفضل الخلق فكيف بغيره، وهذا يدل على أن الأمر كله لله.

* **السادسة:** «**من أسعد الناس بها**» أي: هم من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه فصارت مختصة بأهل التوحيد.

* **السابعة:** «**أنها لا تكون لمن أشرك بالله**» أي: أنه لما خصها بأهل التوحيد دل ذلك أنها لا تكون لمن أشرك بالله.

* **الثامنة:** «**بيان حقيقتها**» أي: أن الله يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود.



١٨ ـ باب قول الله تعالى:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾ ..الآية

وفي (الصحيح) عن ابن المسيب عن أبيه قال: «لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبدالله بن أبي أمية وأبو جهل، فقال له: «يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله»، فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ، فأعادا، فكان آخر ما قال: هو على ملة عبدالمطلب وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. فقال النبي ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك»، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ .. الآية. وأنزل الله في أبي طالب: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾ .

***

(الشرح)

الخطاب في هذه الآية للنبي ﷺ، والمنفي هنا هو هداية التوفيق والإلهام، وهو هداية القلب وتوفيقه وذلك لله وحده، وهو القادر عليه، كقوله: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾.

وأما هداية البيان والإرشاد والدلالة، فهذه ليست خاصةً بالله سبحانه، لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾. فهو المبين عن الله، والدال على دينه وشرعه.

ففي هذه الترجمة الرد على عباد القبور، الذين يعتقدون في الأنبياء والصالحين

جلب النفع ودفع الضر، وهذه الآية التي ذكرها المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أوضح برهان على أنه ﷺ لا يملك جلب نفع ولا دفع ضر، ولا يقدر إلا على ما أقدره الله عليه، وأن الأمر كله بيد الله، فإنه ﷺ، قد حرص على هداية أبي طالب عند موته، فلم يتيسر له ذلك، فإذا كان هذا في حق النبي ﷺ، فكيف بمن ليس على قيد الحياة، وإنما هو من الأموات ونحوهم، فبهذا تعلم بطلان عبادة غير الله تعالى.

* **قوله رحمه الله تعالى: في الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه،** أي: في الصحيحين، عن ابن المسيب، واسمه سعيد بن المسيب بن حزن، أحد العلماء، والفقهاء الكبار السبعة من التابعين، مات بعد التسعين، وقد ناهز الثمانين، وأبوه المسيب صحابي، بقي إلى خلافة عثمان، وكذلك جده حزن صحابي، استشهد باليمامة.

* **قوله: قال: «لما حضرت أبا طالب الوفاة،** أي: حضرته علاماتها ومقدماتها، وإلا لو كان قد غرغرت روحه، فإنه لا ينفعه الإيمان، لو آمن لكن لما حضرت مقدمات الوفاة.

* **قوله: جاءه رسول الله ﷺ،** أي: أن النبي ﷺ أتى إليه حرصاً على هدايته وشفقة عليه وفي هذا جواز عيادة المشرك إذا رجي إسلامه، وحمل العلم إذا كان فيه مصلحة راجحة.

* **قوله: وعنده عبدالله بن أبي أمية وأبو جهل،** أي: وهم على كفرهم، وقتل أبو جهل على كفره، وأسلم عبدالله بن أبي أُمَيّة، وكانت كنية أبي جهل أبا الحكم، وسماه النبي ﷺ أبا جهل، وأخبر أنه فرعون هذه الأمة.

* **قوله: فقال له: يا عم قل: لا إله إلا الله**، و(عم) منادى مضاف، يجوز فيه إثبات الياء وحذفها، طلب النبي ﷺ من عمه، أن يقول لا إله إلا الله، ليحصل له بذلك الفوز والسعادة بالدنيا والآخرة، والعرب كانوا يعلمون ما دلت عليه لا إله إلا الله، ولا يقولها إلا من ترك الشرك وبرئ منه، فأبو طالب يعلم ما دلت عليه، ولذلك الحاضرون عارضوه، وقالا له أترغب عن ملة عبدالمطلب.

* **قوله: كلمة أحاج لك بها عند الله**، أي: برهان أعتذر لك بها عند الله، لأنه إذا قالها معتقدا ما دلت عليه من النفي والإثبات نفعته، ودخل بها في الإسلام.

* **وقوله: فقالا له: أترغب عن ملة عبدالمطلب؟**، أي: قال له أبو جهل ومن معه أتترك الآلهة والأوثان وذَكَّرَاهُ بتقليد الآباء والكبراء، بقولهم أترغب عن ملة عبدالمطلب، فإن ملة عبدالمطلب الشرك وعبادة الأوثان، وأخرجا الكلام مخرج الاستفهام مبالغة في الإنكار، وفي هذا أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ، إذ قال له قل: لا إله إلا الله، ويعرفون معناها بخلاف ما عليه من ينتسب إلى الإسلام في زماننا يقول لا إله إلا الله، وهو لا يعرف معناها.

* **قوله في الحديث: فأعاد عليه النبي ﷺ فأعادا**، أي: أعاد النبي ﷺ على عمه قوله: «قل: لا إله إلا الله»، **فأعادا** أي: أبو جهل ومن معه أعادا، معارضتها للنبي ﷺ بقولهما: أترغب عن ملة عبدالمطلب؟ لأنهما عرفا أن أبا طالب لوقالها لبرئ من ملة عبدالمطلب، وهي الشرك بالله في الإلهية، فصارا سبباً لصدوده عن الحق، وعدم قبوله، ففي هذا مضرة أصحاب السوء على الإنسان، فينبغي الحذر من قربهم، والحذر من الاستماع لهم كما قيل:

إذا ما صحبت القوم فاصحب خيارهم

ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

* **قوله: فكان آخر ما قال: هو على ملة عبدالمطلب**، قال الحافظ: (الظاهر أن أبا طالب قال: أنا... كما في المسند، فغيره الراوي بلفظة (هو) استقباحا للفظ المذكور، وهو من التصرفات الحسنة)، آخر منصوب على الظرفية، ويجوز فيه الرفع.

* **قوله: وأبى أن يقول: لا إله إلا الله**، تأكيد من الراوي في نفي وقوع ذلك من أبي طالب.

* **قوله: فقال النبي ﷺ: لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك**، اللام لام القسم، لما في الرواية الأخرى: «أما والله لأستغفرن لك»، وذلك لتأكيد العزم على الاستغفار، وكانت وفاته بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين، وتوفيت خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها بعده بثمانية أيام.

* **قوله: فأنزل الله عز وجل**: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ ﴾، الإتيان بالفاء للترتيب في قوله: فأنزل الله، تفيد أنها نزلت في أبي طالب، وقد ثبت أنه ﷺ أتى قبر أمه لما اعتمر، فاستأذن ربه أن يستغفر لها، فنزلت هذه الآية، ولا منافاة، فإنه قد تتعدد أسباب النزول، وفي هذه الآية دليل على تحريم الاستغفار للمشركين وتحريم موالاتهم ومحبتهم، بل إذا حرم الاستغفار لهم فمحبتهم وموالاتهم أولى بالتحريم.

* قوله: وأنزل الله في أبي طالب: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن

يَشَآءُ﴾، أي: أن الله له الحكمة البالغة في إضلال من شاء: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ أي: بمن قدَّر له الهُدى، وبهذه الآية يتبين ويظهر بطلان التعلق عليه ﷺ: فضلاً عمن دونه بشيء من خصائص الرب جل وعلا، لأن هداية القلوب، بيد علام الغيوب، لأنه إذا كان النبي ﷺ، قد حرص على هداية أبي طالب عند موته فلم يتيسر له ذلك، ودعا له بعد موته، فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ﴾.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى:** «**تفسير** ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾» أي: إنك يا محمد لا تهدي من أحببت والمراد هداية التوفيق والإلهام والقبول وإنما القادر على ذلك هو الله عَزَّوَجَلَّ وأما هداية الدلالة والإرشاد فيقدر عليها كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

* **الثانية:** «**تفسير قوله:** ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: ما يصلح لهم ولا ينبغي لهم أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أقرب الناس إليهم مادام أنهم ماتوا على غير الإسلام.

* **الثالثة:** «**وهي المسألة الكبرى تفسير** «**قل لا إله إلا الله**» **بخلاف ما عليه من يدعي العلم**» أي: أن تفسيرها إفراد الله بالعبادة وترك عبادة ما سواه ولذلك لما فهم هذا كفار قريش لم يقولوها بخلاف من بعدهم ممن يدعي العلم فإنهم لما خفي

عليهم هذا صاروا يقولونها وهم متلبسون بالشرك لظنهم أنه لا ينافيها.

* **الرابعة**: «**أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ إذا قال للرجل: «قل لا إله إلا الله» فقبح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام**» أي: أنهم عرفوا مراده وهو أنه يقتضي ترك ما كانوا يعبدونه من دون الله فلذلك نهوا أبا طالب عن قولها وهذا يدل على أنهم أعلم بأصل الإسلام من كثير من أهل هذه الأزمان.

* **الخامسة**: «**جده ﷺ ومبالغته في إسلام عمه**» أي: أنه لما قال: «قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله» ثم أعاد ذلك عليه دل على شدة مبالغته ﷺ في ذلك.

* **السادسة**: «**الرد على من زعم إسلام عبدالمطلب وأسلافه**» أي: كونهم عارضوا قول النبي ﷺ لعمه: «قل لا إله إلا الله» بقولهم: «أترغب عن ملة عبدالمطلب» دل ذلك على أنها منافية للإسلام وأن عبدالمطلب غير مسلم.

* **السابعة**: «**كونه ﷺ استغفر له فلم يغفر له بل نهي عن ذلك**» أي: لقوله: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فنزل قوله: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ ﴾.

* **الثامنة**: «**مضرة أصحاب السوء على الإنسان**» أي: أن أبا جهل ومن معه نهوه عن قول لا إله إلا الله وقالوا له ما قالوا فصار جلوسهم في تلك الحالة عنده مضرة عليه.

* **التاسعة**: «**مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر**» أي: لما كانت ملة عبدالمطلب

معظمة عند أبي طالب امتنع عن الإسلام بسببها ولو كان لا يعظمها لما شق عليه أن يرغب عنها.

* **العاشرة**: «**استدلال الجاهلية بذلك**» أي: أن أبا جهل ومن معه استدلوا بتعظيم أبي طالب لملة عبدالمطلب فجعلوها أعظم حائل بينه وبين قول لا إله إلا الله.

* **الحادية عشرة**: «**الشاهد لكون الأعمال بالخواتيم لأنه لو قالها لنفعته**» أي: لقوله: في الحديث: «أحاج لك بها عند الله» فدل على أنها تنفعه لو قالها في تلك الحال».

* **الثانية عشرة**: «**التأمل في كبر هذه الشبهة في قلوب الضالين لأن في القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها مع مبالغته ﷺ وتكريره فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصروا عليها**» أي: قولهم: «أترغب عن ملة عبدالمطلب».



١٩ ـ باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

وقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾.

وفي (الصحيح) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾، قال: (هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم، عُبدت).

وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.

وعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله».. [أخرجاه].

وقال، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو».

ولمسلم عن ابن مسعود، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (هلك المتنطعون) قالها ثلاثاً.

***

(الشرح)

لما ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ بعض ما يفعله عباد القبور مع الأموات من الشرك فيما تقدم،

بين السبب في هذا الباب، ليحذر الناس من الغلو مطلقاً، لاسيما في الصالحين فإنه أصل الشرك قديماً وحديثاً، فإن الغلو فيهم يظهره الشيطان في قالب المحبة والتعظيم.

* **وقوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾، أي: لا تتعدوا ما حد الله لكم، ولا ترفعوا المخلوق عن منزلته التي أنزله الله، وأهل الكتاب هم اليهود والنصارى، والغلو كثير في النصارى؛ فإنهم غلوا في عيسى عليه السلام نقلوه من حيز النبوة إلى حيز الربوبية والإلهية من دون الله، وكذلك اليهود غلو في العزير كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ والخطاب وإن كان لأهل الكتاب، فهو تحذير لهذه الأمة أن يفعلوا مع نبيهم ما فعلت النصارى مع المسيح، واليهود مع العزير.

* وقد نهى الله عن الغلو في كتابه في مواضع، كقوله: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾ الآية وغيرها، والغلو شامل لجميع أمور الدين، فشمل الغلو في محبة الصالحين، ولذلك نهى عنه لأنه من أسباب كفر بني آدم وتركهم دينهم.

* **قوله: في الصحيح**: أي: في صحيح البخاري وغيره.

«**عن ابن عباس رضي الله عنهما (مختصراً) في قوله تعالى:** ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾ **قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح،** هؤلاء كانوا أهل دين وفضل وخير، وماتوا في زمن متقارب فأسفوا عليهم، وصاروا يترددون على قبورهم، فأتاهم الشيطان وسول لهم أن يصوروا صورهم؛ ليكون

أسهل عليهم من المجيء إلى قبورهم، ولم يكونوا قصدوا عبادتهم، وإنما قصدوا التذكر بهم؛ ليكون أدعى لهم على فعل الخير والتأسي بهم.

وقد صارت هذه الأوثان التي في قوم نوح في العرب بعد، فأما ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت، لمراد، ثم لبني غطيف في الجرف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع.

* **قوله: فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً، وسموها بأسمائهم،** قوله هلكوا أي: أولئك الصالحون، قوله أنصاباً: الأنصاب هنا: الأصنام المصورة على صور أولئك الصالحين، ليتذكروا أفعالهم بها، وسموها بأسمائهم حتى لا تنسوهم، وقد أخرج الشيطان لهم هذه الحيلة في قالب المحبة؛ ومقصوده من بعدهم الجيل الذين لم يعرفوا ما نصبت له، ليوسوس لهم أنهم كانوا معبودين في أولاكم.

* **قوله: ففعلوا ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عُبدت، قوله: ففعلوا،** أي: فعل أولئك ما أوحاه الشيطان إليهم من تصوير صالحيهم، ولم تعبد تلك الصور، حتى إذا هلك الذين صوروا الأصنام، ونسي العلم الذي فيه بيان الشرك والتوحيد، ولذا جاء في رواية: أنهم قالوا: ما عظم أولنا هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم عند الله، فهذاهو السبب في عبادة هؤلاء الصالحين، وهذه هي الشبهة التي ألقاها الشيطان على المشركين.

* **قوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: **قال ابن القيم:** هو الإمام العلامة محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي، المعروف بابن قيم الجوزية، الثقة الحجة الورع الزاهد، المتفنن في سائر العلوم، صاحب التصانيف السائرة المقبولة بل المحبوبة، أخذ عن شيخ الإسلام والمزي وغيرهما، مات رَحِمَهُ اللَّهُ سنة ٧٥١هـ.

* **وقوله:** (**قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم**). ما ذكره رَحِمَهُ اللَّهُ هو بمعنى ما ذكره البخاري وابن جرير وغيرهما، إلا أنه ذكر عكوفهم على قبورهم قبل تصوير تماثيلهم، وذلك أعظم الوسائل الموصلة إلى الشرك، بل هو الشرك؛ لأن العكوف على القبور تعظيما ومحبة ـ عبادة لها، والعكوف هو البقاء والإقامة على الشيء في المكان عبادة وتعظيماً وتبركاً، كما كان المشركون يفعلون ذلك عند أصنامهم، لما يعتقدون فيها من البركة.

* **قوله: ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم**، والأمد: الزمان، أي: طال عليهم الزمان، ونسوا ما قصده الأولون فعبدوهم، وهذا أول شرك حدث في الأرض.

* **قوله: وعن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هو ابن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح ابن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي العدوي، أمير المؤمنين، وأفضل الصحابة بعد الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولي الخلافة بعده عشر سنين ونصفاً، فامتلأت الدنيا عدلا، وفتحت في زمانه ممالك كسرى وقيصر، استشهد في ذي الحجة سنة ٢٣هـ، قتله أبو لؤلؤة الخارجي، ظلماً وعدواناً، رضي الله عن عمر وأرضاه وهو من

العشرة المبشرين في الجنة.

❋ **قوله: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم»**، الإطراء: مجاوزة الحد في المدح، والكذب فيه، أي: لا تمدحوني فتغلوا في مدحي كما غلت النصارى في عيسى عليه السلام.

❋ **قوله: إنما أنا عبد فقولوا: عبدالله ورسوله**، أي: فصفوني بذلك كما وصفني ربي،، فأبى المشركون إلا مجاوزة أمره، وارتكاب نهيه، حتى جوزوا الاستغاثة به في كل ما يستغاث فيه بالله، وارتكبوا ما نهوا عنه، وشاقوا الله ورسوله، وفي هذا الحديث التحذير من الألفاظ التي يذكرها بعض الناس مما لا يحبه ﷺ، لأنها من الإطراء المنهي عنه.

❋ **قوله: أخرجاه**، أي: البخاري ومسلم.

❋ **قوله** رحمه الله: **وقال رسول الله ﷺ: «إياكم والغلو»**، والغلو: هو مجاوزة الحد، بأن يزاد في مدح الشيء أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك أو التشدد في الدين بغير سُنَّة، لقوله ﷺ نعم لأمثال هؤلاء وإياكم والغلو، يعني: حصى الجمار.

❋ **ثم: قال ﷺ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**: وسبب هذا اللفظ العام رمي الجمار، وهو عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال.

❋ **ثم قال** رحمه الله: **ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «هلك المتنطعون»**، أي: المتكلفون الغالون في الكلام، والغالون في عباداتهم، بحيث تخرج عن السُنَّة، أوالذي يدخل الباطل في قالب الحق، لقوة فصاحته: وأما الفصاحة التي توضح

الحق وترد الباطل، فممدوحة.

* **وقوله: قالها ثلاثاً**، أي: قال هذه الكلمة ثلاث مرات، أي: هلك المتنطعون، ومطابقة هذا الحديث للترجمة أن التنطع من الغلو والزيادة في الدين، وذريعة وسبب إلى الوصول للشرك بالله، كما جاء في قصة قوم نوح لما غلو في الصالحين.

❖ فيه مسائل وإيضاحها:

* **الأولى**: «**أن من فهم هذا الباب وبابين بعده تبين له غربة الإسلام ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب**» أي: من فهم باب سبب الكفر هو الغلو في الصالحين والتغليظ في من عبدالله عند قبر رجل صالح وأن الغلو في قبور الصالحين يجعلها أوثاناً تعبد، تبين له غربة الإسلام لكون أكثر الخلق جعلوا مثل هذا هو أفضل الأعمال وكفروا من نهى عنه وهذا من قدرة الله وتقليبه للقلوب لما أعرضت عن الشرع ولم تؤمن به كما قال تعالى: ﴿**وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾.

* **الثانية**: «**معرفة أول شرك حدث في الأرض أنه بشبهة الصالحين**» أي: لما غلا هؤلاء في الصالحين حدث الشرك فيمن بعدهم بسببه.

* **الثالثة**: «**أول شيء غير به دين الأنبياء وما سبب ذلك مع معرفة أن الله أرسلهم**» أي: هو بعبادة غير الصالحين وسبب ذلك الغلو الذي فعله هؤلاء فلما ماتوا وأتى من بعدهم فعبدوهم لظنهم أن الأولين أرادوا ذلك.

* **الرابعة:** «**قبول البدع مع كون الشرائع والفطر تردها**» أي: لما أوحى إليهم الشيطان ذلك قبلوه ولو أنهم رجعوا إلى الشرع وعملوا به لما قبلوا ما أوحاه إليهم الشيطان ولكنهم استحسنوا ما قالوه فحصل ما حصل.

* **الخامسة:** «**أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل فالأول محبة الصالحين والثاني فعل أناس من أهل العلم شيئاً أرادوا به خيراً فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره**»، أي: أن سبب هذا الكفر خلط الحق بالباطل فالأول الذي هو الحق محبة الصالحين والثاني الذي هو الباطل ما فعله الأولون من نصب الأنصاب إلى مجالسهم وهذا فعلوه من باب المحبة لهم فصار هذا العمل المركب من الحق والباطل سبباً لعبادة من أتى بعدهم لهم من دون الله لكونهم ظنوا أنهم ما صوروا صورهم إلا ليعبدوهم ولو أن الأولين فهموا أن المحبة تحصل بدون تصوير صورهم والغلو فيهم لما حصل ذلك ولكنهم التبس عليهم الأمر، وهذا من مكائد الشيطان التي كاد بها بني آدم قديماً وحديثاً ولم يسلم منها إلا القليل.

* **السادسة:** «تفسير الآية التي في سورة نوح» أي: قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ الآية.

* **السابعة:** «**جبلة الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه والباطل يزيد**» أي: أن هؤلاء نقص في قلوبهم الحق فلم يكتفوا بمحبة الصالحين والاقتداء بهم بل زادوا عليه الباطل وهو أن نصبوا إلى مجالسهم أنصاباً وعكفوا على قبورهم وهذا من جبلة الآدمي إنه كان ظلوماً جهولاً.

* **الثامنة: «فيه شاهد لما نقل عن السلف أن البدع سبب الكفر»** أي: أن الكفر الذي حصل في الأرض بسبب ما ابتدعه هؤلاء من تصوير صورهم والغلو فيهم.

* **التاسعة: «معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة ولو حسن قصد الفاعل»** أي: لما عرف الشيطان أن ما تؤول إليه البدعة هو الكفر حسنها لهم ولم ينظر إلى حسن مقصدهم فيفسده عليهم بل زادهم رغبة فيه حتى يحصل ما يريد من الكفر.

* **العاشرة: «معرفة القاعدة الكلية وهي النهي عن الغلو ومعرفة ما يؤول إليه»،** أي: القاعدة الجامعة تقتضي النهي عن الغلو مطلقاً لأنه يؤول إلى الكفر.

* **الحادية عشرة: «مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح»** أي: لأنه صار سبباً لعبادة هؤلاء من دون الله.

* **الثانية عشرة: «معرفة النهي عن التماثيل والحكمة في إزالتها»** أي: معرفة النهي عن الصور والحكمة في إزالتها لأن بقاءها سبب لعبادتها من دون الله ولو بعد حين.

* **الثالثة عشرة: «معرفة شأن هذه القصة وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها»** أي: قصة الصالحين من قوم نوح ومعرفة شدة الحاجة إليها لئلا يجهلها الإنسان فيفعل كما فعلوا ومع هذا غفل عنها أكثر الناس فوقعوا فيما وقع فيه قوم نوح.

* **الرابعة عشرة: «وهي أعجب وأعجب قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث ومعرفتهم بمعنى الكلام وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل**

قوم نوح أفضل العبادات فاعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه فهو الكفر المبيح للدم والمال» أي: أعجب شيء قراءة من يدعي العلم في هذه الأوقات قصة قوم نوح مع معرفتهم بمعنى الكلام ولكن حيل بينهم وبين معرفة التوحيد حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح أفضل العبادات فصوروا صور الصالحين وعظموا قبورهم وعبدوهم وجعلوا هذا الذي نهى الله ورسوله عنه هو أفضل الأعمال وإذا نهاهم أحد عن هذا حكموا عليه بالكفر والخروج عن الإسلام وقالوا: تنقصت الصالحين. وهذا معنى قول المؤلف: «فاعتقدوا أن ما نهى الله عنه ورسوله» إلخ، فما في كلامه مصدرية أي: اعتقدوا أن نهي الله ورسوله ـ كما في بعض النسخ ـ فهم في الحقيقة قد عكسوا القضية فجعلوا الكفر إسلاماً والإسلام كفراً.

* **الخامسة عشرة: «التصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة»** أي: أن الذين عبدوا هؤلاء الصالحين لم يريدوا إلا الشفاعة وإلا فكانوا مقرين أن الله هو الخالق الرازق النافع الضار.

* **السادسة عشرة: «ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك»** أي: ظن الذين عبدوهم أن الذين قبلهم أرادوا الشفاعة وهم لم يريدوها وإنما فعلوا ذلك ليتذكروا أفعالهم.

* **السابعة عشرة: «البيان العظيم في قوله: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم» فصلوات الله وسلامه على من بلغ البلاغ المبين»**، أي: لا تمدحوني بالباطل ولا تتجاوزوا الحد في مدحي فتعبدوني كما عبدت النصارى المسيح لما غلوا فيه وهذا

من كمال نصحه ﷺ.

* **الثامنة عشرة**: «**نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين**»، أي: المتكلفين المتشددين في غير موضع التشديد ومن التنطع رفع المخلوق فوق منزلته.

* **التاسعة عشرة**: «**التصريح بأنها لم تعبد حتى نسي العلم ففيها بيان معرفة قدر وجوده ومضرة فقده**» أي: أن صور هؤلاء الصالحين وأنصابهم لم تعبد حتى فقد العلم فيؤخذ منه معرفة قدر وجود العلم ومضرة ذهابه لأن بوجوده حصل التوحيد وبفقده وجد الشرك.

* **العشرون**: «**أن سبب فقد العلم موت العلماء**» أي: إذا ذهب أهله فقد كما في الحديث الصحيح: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء**».. الحديث.



٢٠ ـ باب ما جاء من التغليظ فيمن عبدالله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده ؟!

في (الصحيح) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها في أرض الحبشة وما فيها من الصور. فقال: (أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله)، فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين، فتنة القبور، وفتنة التماثيل.

ولهما عنها قالت: «لما نُزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقال ـ وهو كذلك ـ: (لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً.. [أخرجاه].

ولمسلم عن جندب بن عبدالله قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك».

فقد نهى عنه في آخر حياته، ثم إنه لعن ـ وهو في السياق ـ من فعله، والصلاة عندها من ذلك، وإن لم يُبْنَ مسجد، وهو معنى قولها: خشي أن يتخذ مسجداً، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً،

بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجداً، كما قال ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»، ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد» [رواه أبوحاتم في صحيحه].

***

(الشرح)

* أي: باب ذكر ما ورد من التغليظ والتهديد على من يعبد الله عند قبر رجل صالح مع أنه لا يقصد إلا الله، فكيف إذا عبد الرجل الصالح؟ فإنه أحق وأولى بما هو أعظم، ومعنى ذلك أنه إذا كانت عبادة الله عند القبور منهي عنها مع التغليظ، فكيف بعبادة صاحب القبر؟ فإنه شرك أكبر، وعبادة الله عنده وسيلة إلى عبادته، ووسائل الشرك محرمة، لأنها تؤدي إلى الشرك.

* **وقول المصنف** رحمه الله **في الصحيح،** أي: في صحيح البخاري ومسلم.

* **قوله: عن عائشة** رضي الله عنها: **أن أم سلمة،** أم سلمة هي هند بنت أبي أمية ابن المغيرة، تزوجها النبي ﷺ بعد أبي سلمة، وكانت قد هاجرت مع أبي سلمة إلى الحبشة، وتوفيت سنة ٦٢هـ.

* **قوله في الحديث: ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور،** والكنيسة: بفتح الكاف وكسر النون، متعبد النصارى، وفي الصحيح أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأتاها بأرض الحبشة.

* **قوله في الحديث: فقال أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح**

بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، قوله: (أولئك) بكسر الكاف، خطاب للمرأة.

* **قوله: إذا مات فيهم الرجل الصالح**: وهو القائم بحقوق الله، وحقوق عباده، بنوا على قبره مسجداً، أي: موضعاً للعبادة، وإن لم يسمى مسجداً، كالكنائس، **والشاهد قوله**: وصوروا فيه تلك الصور، تلك الإشارة إلى ما ذكرت له أم سلمة وأم حبيبة من التصاوير التي في تلك الكنيسة.

* **قوله: أولئك شرار الخلق عند الله**، شرار بكسر الشين جمع شر كالخيار جمع خير، وإنما سموا بذلك لضلالهم، وسنهم لمن بعدهم الغلو في قبور صالحيهم، فحذر النبي ﷺ، عن مثل ذلك وأنذر، وأبدى وأعاد، أولاً بالتحذير من البناء على القبور، ثم التحذير من التصوير، ثم بكونهم شرار الخلق، سداً للذريعة المؤدية إلى الشرك.

* **قوله** رحمه الله: **فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل**، يعني: أن الذين بنوا هذه الكنيسة جمعوا فيها بين فتنتين:

الأولى: فتنة القبور، لأنهم افتتنوا بقبور الصالحين، وعظموها تعظيما مبتدعا، فآل بهم إلى الشرك.

وأما الثانية: فتنة التماثيل، أي: الصور فبنوا المساجد، وصوروا فيها تلك الصور، فآل بهم الأمر إلى أن عبدوها، ولأجل هذه المفسدة نهى النبي ﷺ عن الصلاة في المقبرة، ونهى عن الصلاة إلى القبور، ونهى عن اتخاذها مساجد، ونهى

عن بناء المساجد على القبور، بل جاء في الحديث: «**لعن من فعل ذلك**».

* **قوله: ولهما**، أي: البخاري ومسلم.

* **قوله: عنها**، أي: عائشة.

* **قوله في الحديث: قالت: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقالوا هو كذلك: لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**، نزل: بضم النون وكسر الزاي، وروى بالفتح، أي: لما نزل به الموت. وفي رواية: نزلت، أي: لما حضرت المنية والوفاة، بضم النون: أي: لما نزل به ملك الموت لقبض روحه عليه السلام.

* **قوله: طفق**: بفتح الطاء وكسر الفاء، أي: جعل والخميصة كساء له أعلام.

* **طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها**، أي: إذا غمته فاحتبس نفسه عن الخروج كشفها عن وجهه.

* **قال: وهو كذلك: لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**، أي: قال ﷺ في هذه الحالة الحرجة، وهي شدة النزع، لشدة اهتمامه، واعتنائه بمقام التوحيد، وخوفه أن يعظم قبره، كما فعل من مضى: «لعنة الله على اليهود والنصارى»، وفي لفظ: «قاتل الله اليهود والنصارى»، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، أي: كنائس وبِيَعاً، أي: يتعبدون ويسجدون فيها لله، وإن لم يسموها مساجد، فإن الاعتبار بالمعنى لا بالاسم، فلعنهم على تحري الصلاة عند القبور، وإن كان المسلم لا يصلي إلا لله؛ لأنه ذريعة إلى عبادتها، فكيف إذا عبدها؟ وهذا

هو الغاية التي يكون اتخاذ القبور مساجد ذريعة إليها، وقال بعض أهل العلم: اللعنة ليست مختصة باليهود والنصارى، بل تعم من فعل فعلهم.

* **قوله: يحذر ما صنعوا،** هذا من كلام عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أي: أن رسول الله ﷺ لعن اليهود والنصارى تحذيرا لأمته أن يفعلوا ما فعلت اليهود والنصارى، فيقع بهم من اللعنة ما وقع بهم.

* **قوله: ولولا ذلك لأبرز قبره،** وفي لفظ: لأبرزوا قبره، أي: ولولا تحذير النبي ﷺ ما صنعوا، ولعنه من فعل ذلك لأبرز قبره، أي: لدفن خارج بيته، أو مع قبور الصحابة الذين كانت قبورهم في البقيع.

* **قوله: غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً،** و «خشي» روي بفتح الخاء وضمها، فعلى الفتح يكون النبي ﷺ، هو الذي خشي ذلك، وأمرهم أن يدفنوه في المكان الذي قبض فيه، وعلى رواية الضم يحتمل أن يكون الصحابة هم الذين خافوا أن يقع ذلك من بعض الأمة، فلم يبرزوا قبره، خشية أن يقع ذلك غلواً وتعظيماً.

* **قوله: أخرجاه،** أي: البخاري ومسلم.

* **ولمسلم عن جندب بن عبدالله** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هو جندب بن عبدالله البجلي العلقي، والعلق بطن من بجيلة من كهلان، ويقال: جندب الخير، وينسب إلى جده سفيان، صحابي مشهور، مات بعد الستين.

* **قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس،** أي: خمس ليال، وقيل خمس سنين، والأول أظهر؛ لكونه أيضاً وهو في سياق الموت لعن من فعله.

* وهو يقول: إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، والخلة فوق المحبة، فإن المحبة عامة والخلة خاصة، وهي نهاية المحبة.

* **قوله: إني أبرأ**، برئ من الشيء سلم وخلص.

* **قوله في الحديث: أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً**، وذلك؛ لأن قلبه ﷺ قد امتلأ من محبة الله وتعظيمه ومعرفته، فلا يسع لمخالة غيره، وفيه إثبات أنه خليل الله، ولا ينافي عبوديته لله عَزَّوَجَلَّ، وذلك أن الخلة من أنواع العبادة، وهي المحبة الخالصة لله سبحانه.

* **قوله: ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً**، أي: لو كان النبي ﷺ على سبيل الفرض والتقدير متخذاً خليلاً لاتخذ أبا بكر، وفي صحيح مسلم: «**ولكن أخي وحبيبي**»، فيه إثبات فضيلة الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأنه أفضل الصحابة، واسم أبي بكر عبدالله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، خليفة رسول الله ﷺ وأفضل الأمة بعد نبيها، ومناقبه مشهورة، مات ١٣ هـ، وله ٦٣ سنة.

* **قوله في الحديث: ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد**، واتخاذها إما أن يكون سجوداً لها تعظيماً وعبادة، أو توجها منهم إليها حالة الصلاة.

* **قوله: ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك، فقد نهى عنه في آخر حياته**، أي: أنه ﷺ نهى عن اتخاذ القبور مساجد، ولذا جاء النهي عن اتخاذ القبور مساجد في ثلاثة أوجه:

الأول: ذم من كان قبلهم على ذلك.

والثاني: تحذيرهم:لئلا يتخذوها.

والثالث: قوله: «فإني أنهاكم عن ذلك» فبالغ في النهي، نصيحة لأمته.

فائدة: قوله في آخر حياته، يدل على أن النهي مُحكم وأنه لم ينسخ.

* **قوله: ثم إنه لعن وهو في السياق من فعله،** هذا وما بعده من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، قوله في السياق، أي: سياق الموت، وقد جاء لعن من فعل ذلك في حديث جندب.

* **قوله**: والصلاة عندها من ذلك، وإن لم يبن مسجد، فمن صلى عند القبور فقد اتخذها مساجد، فهو داخل في لعن الرسول ﷺ، ومرتكب لما نهى عنه، ولو بدون بناء مساجد.

* **قوله: وهو معنى قولها: خشي أن يتخذ مسجداً**، أي: معنى قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً، كما اتخذت اليهود والنصارى قبور أنبيائهم مساجد، وفي حديث أبي سعيد مرفوعاً: «**الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام**». أخرجه الخمسة، والعلة في النهي هو الخوف على الأمة من الشرك ووسائله.

* **قوله**: فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً، أي: لما علموا من تشديده ﷺ في ذلك وتغليظه، ولعن من فعله.

* **قوله: وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً**، أي: لكونه أعد

لها، وإن لم يبن فيه مسجد.

* **قوله: بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجداً،** أي: أنه يصير بفعل الصلاة فيه مسجداً، وإن لم يعدَّ لها.

* **قال المصنف** رحمه الله: **كما قال** ﷺ: «**جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً**»، هذا الحديث رواه البخاري ومسلم من حديث جابر: «**أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي**»، وفيه: «**وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً**»، فسمى الأرض مسجداً، بمعنى أنه تجوز الصلاة في كل بقعة منها، إلا ما استثنى من المواضع التي لا تجوز الصلاة فيها، كالمقبرة والمكان النجس، وهذا من خصائصه ﷺ، فإن أهل الكتاب لم تبح لهم الصلاة إلا في بيعهم وكنائسهم، فأباح الله لهذه الأمة الصلاة حيث كانوا، تخفيفاً عليهم وتيسيراً.

* **قوله: طهوراً،** أي: أراد به التيمم.

* **قال المصنف** رحمه الله: **ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود** رضي الله عنه **مرفوعا: «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء»**، قوله إن من شرار الناس: وهم ضد خيارهم الذين تدركهم الساعة، وهم أحياء: أي: من تقوم عليهم الساعة، لأنها تقوم على شرار الناس، ولقوله في الحديث: (حتى لا يقال في الأرض الله الله).

* **قوله: والذين يتخذون القبور مساجد،** أي: وإن من شرار الناس الذين يتخذون القبور مساجد في الصلاة عندها، وبناء المساجد عليها، سواء كان قبراً أو

قبرين أو أكثر، وسواء كانت مكشوفة أو محوطة، لما في صحيح مسلم من حديث أبي مرثد: «**لا تصلوا إلى القبور**»، ولا يخفى ما وقع بسبب البناء على القبور من المفاسد الشركية، ولذا فقد أبدى ﷺ وأعاد، وحذر من ذلك، حتى في النزع سداً لذريعة الشرك قبل وقوعه، وتحذيراً للناس منه، نسأل الله أن يقيظ لهذه القبور وهذه الأضرحة التي تعبد من دون الله، ويستغاث بها، من يزيلها ويجدد ملة إبراهيم فيهم، وينصر الإسلام والمسلمين.

* **قوله: ورواه أبو حاتم في صحيحه،** أبو حاتم هو محمد ابن حبان، قد تقدمت ترجمته.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى: «ما ذكر الرسول ﷺ فيمن بنى مسجداً يعبد الله فيه عند قبر رجل صالح ولو صحت نية الفاعل»** أي: ذكر أنهم شرار الخلق عند الله ولعنهم على ذلك.

* **الثانية: «النهي عن التماثيل وغلظ الأمر في ذلك»** أي: الصور لقوله: «وصوروا فيها تلك الصور» وغلظ الأمر بقوله: «أولئك شرار الخلق عند الله».

* **الثالثة: «العبرة في مبالغته ﷺ في ذلك كيف بين لهم هذا أولاً ثم قبل موته بخمس قال ما قال ثم لما كان في السياق لم يكتف بما تقدم»** أي: أنه بالغ في النهي عن العبادة عند القبور فذم الذين يبنون المساجد على قبور أنبيائهم ويصورون صورهم ثم قبل موته بخمس ليال نهى عن اتخاذ القبور مساجد كما في حديث جندب ثم لما

كان في السياق نهى عنه كما في حديث عائشة: «لما نزل برسول الله ﷺ إلخ».

❊ **الرابعة**: «**نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر**» أي: لقولها: «يحذر ما صنعوا».. إلخ.

❊ **الخامسة**: «**أنه من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم**» أي: لقوله: «**قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**».

❊ **السادسة**: «**لعنه إياهم على ذلك**» أي: لقوله: «لعنة الله على اليهود والنصارى».

❊ **السابعة**: «**أن المراد تحذيره إيانا عن قبره**» أي: أنه لعنهم تحذيرا لنا أن نفعل عند قبره مثل ما فعلوا فيصيبنا من اللعنة ما أصابهم.

❊ **الثامنة**: «**العلة في عدم إبراز قبره**» أي: هي ما ذكره من الوعيد على اليهود والنصارى حيث اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد فصار هذا سببا في عدم إبراز قبره لئلا يتخذ مسجدا.

❊ **التاسعة**: «**في معنى اتخاذها مسجداً**» أي: بإيقاع الصلاة عندها تكون قد اتخذت مساجد.

❊ **العاشرة**: «**أنه قرن بين من اتخذها مساجد وبين من تقوم عليه الساعة فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته**» أي: كما في حديث ابن مسعود: «إن من شرار الناس إلخ»، وقوله: «فذكر الذريعة إلى الشرك» يعني قوله: «والذين يتخذون القبور مساجد» لأنه ذريعة ووسيلة إلى الشرك، وقوله: «مع خاتمته» يريد

قوله: «من تقوم عليهم الساعة» لأنها لا تقوم إلا على شرار الخلق كما ثبت في الحديث وخاتمة ذلك هي الشرك، وأهله شرار الخلق الذين تقوم عليهم الساعة.

* **الحادية عشرة: «ذكره في خطبته قبل موته بخمس الرد على الطائفتين اللتين هما أشر شرار أهل البدع بل أخرجهم بعض أهل العلم من الثنتين والسبعين فرقة وهم الرافضة والجهمية وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور وهم أول من بنى عليها المساجد»** أي: ذكر ذلك كما في حديث جندب، وقوله: «بل أخرجهم بعض أهل العلم» إلخ، أي: بسبب كفرهم، وقوله: «وهم الرافضة» يعني غلاة الشيعة سموا بذلك لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين وجه الرد عليهم أنه نهى عن اتخاذ القبور مساجد وهم يتخذونها مساجد، وقوله: «ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً» ففيه فضيلة أبي بكر وهم يبغضونه ويسبونه، وقوله: «وبسبب الرافضة» إلخ، أي: أنهم لما غلوا في أهل البيت حتى عبدوهم مع الله وبنوا على قبورهم المساجد واتخذوها مشاهد حدث الشرك. وأما الجهمية فهم نفاة الأسماء والصفات أهل التعطيل نسبة لإمامهم جهم بن صفوان ووجه الرد عليهم قوله في الحديث: «**فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً**» وهم ينفون ذلك.

* **الثانية عشرة: «ما بلي به ﷺ من شدة النزع»** أي: كما في حديث عائشة: «فإذا اغتم بها كشفها».

* **الثالثة عشرة: «ما أكرم به من الخلة»** أي: لقوله: «فإن الله قد اتخذني خليلاً».

* **الرابعة عشرة: «التصريح بأنها أعلى من المحبة»** أي: لكونه نفى أن يتخذ

أحداً من أهل الأرض خليلاً مع إخباره بحبه لعائشة وأبيها وغير واحد من الصحابة.

* **الخامسة عشرة**: «**التصريح بأن الصديق أفضل الصحابة**» أي: لقوله: «لاتخذت أبا بكر خليلا».

* **السادسة عشرة**: «**الإشارة إلى خلافته**» أي: لما خصه بهذه المنقبة العظيمة دل ذلك على الإشارة إلى أنه أحق بالخلافة من غيره مع غيرها من الفضائل التي اختص بها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



٢١ ـ باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيِّرها أوثانا تُعبد من دون الله

روى مالك في (الموطأ): أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾، قال: كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره.

وكذلك قال أبو الجوزاء، عن ابن عباس: كان يَلُتُّ السويق للحاج.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج». (رواه أهل السنن).

***

(الشرح)

* أي: أن الغلو في قبور الأنبياء والصالحين، بالبناء عليها، واتخاذ المساجد عليها، والصلاة عندها، يجعلها أوثاناً، تُعبد من دون الله، كما عبدت اللات والعزى ومناة وغيرها.

* **قال المصنف** رحمه الله: **روى مالك في الموطأ**، ومالك هو أحد الأئمة الأربعة، وأحد الحفاظ، مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، ولد سنة ٩٣هـ، ومات سنة ١٧٩هـ، والموطأ مصنف في الحديث اشتهر في عصره.

* **قال المصنف** رحمه الله: **أن رسول الله** ﷺ **قال: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد»**، خاف ﷺ أن يقع في أمته ذلك، كما وقع من اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم، فسأل ربه أن لا يجعل قبره وثناً يُعبد، قال ابن القيم:

فأجاب رب العالمين دعاءه

وأحاطه بثلاثة الجدران

حتى غدت أرجاؤه بدعائه

في عزة وحماية وصيان

* **قوله** ﷺ: **اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد،** ففي هذا تنبيهاً على سبب لحوق الغضب عليهم ولعنهم، وهو توصلهم بذلك إلى أن تصير أوثاناً تعبد، وفيه إشارة إلى ما ترجم له المصنف، وفيه تحريم البناء على القبور والصلاة عندها، وأنه من الكبائر، وفيه أنه لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه.

* **قوله** رحمه الله: **ولابن جرير بسنده،** ابن جرير هو الإمام الحافظ محمد ابن جرير الطبري من أهل آمد طبرستان، صاحب التفسير والمصنفات الكثيرة، ولد سنة ٢٢٤هـ، ومات سنة ٣١٠هـ.

* **وقوله: عن سفيان،** وسفيان هو ابن سعيد الثوري، ثقة حافظ فقيه مجتهد، مات سنة ١٦١هـ، وله ٦٤ سنة.

* **قوله: عن منصور،** ومنصور هو ابن المعتمر، ثقة ثبت فقيه، مات سنة ١٣٢هـ.

* **قوله: عن مجاهد،** ومجاهد هو ابن جبر، ثقة إمام في العلم والتفسير، ولد سنة ٢١هـ، ومات وهو ساجد سنة ١٠٤هـ.

* **وقوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ قال: كان يلت لهم السويق،** والسويق دقيق الحنطة أو الشعير، ولته خلطه وبله بالسمن أو الماء.

* **قوله: فمات فعكفوا على قبره،** أي: حتى عبدوه، وصار قبره وثنا من أوثان المشركين، وسبب ذلك هو الغلو في قبره، كما كان ذلك هو السبب في عبادة الصالحين ودّاً وسواع وغيرهما، وهذا اللات كان رجلاً في الجاهلية، وكان له غنم، فكان يسلو من رسلها، ويأخذ من زبيب الطائف والأقط، فيجعل منه حيساً، فيطعم من يمر من الناس، فلما مات غلو فيه وعبدوه، والشاهد للترجمة هو أن العكوف على القبور والغلو فيها يكون سبباً في عبادتها.

* **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: **وكذا قال أبو الجوزاء،** وأبو الجوزاء، هو أوس ابن عبدالله الربعي من ربيعة الأزد، ثقة مشهور مات سنه ٨٣ هـ.

* **قوله: عن ابن عباس: كان يلت السويق للحاج،** أي: فلما مات عبدوه وقالوا هو اللات.

* **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: **وعن ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال: «لعن رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **زائرات القبور»، وفي رواية «زوارات القبور»،** واللعن في هذا الحديث يدل على تحريم زيارة النساء للقبور، وقد جاء في الحديث: «**ارجعن مأزورات غير مأجورات، فإنكن تفتن الحي وتؤذين الميت**»، وفي الصحيح نهيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن اتباع النساء للجنائز.

* **قوله ﷺ: والمتخذين عليها المساجد والسرج،** أي: لعن رسول الله ﷺ المتخذين على القبور المساجد المبنية، والموقدين عليها السرج وكذا الصلاة عندها، وقصد الدعاء ونحو ذلك، وكل هذا محرم لا يجوز، لما في صحيح مسلم: «**لا تجلسوا على القبور، ولا تصلوا إليها**» ولا شك أن اتخاذ القبور مساجد وإيقاد السرج عليها من الكبائر.

* **قوله: رواه أهل السنن،** أي: رواه: أبو داود والترمذي وابن ماجه، وروى نحوه أحمد عن أبي هريرة.

* **قال ابن تيمية** رحمه الله: (هذا الحديث تعددت طرقه، فهو في الأصل معروف، ومثله حجة بلا ريب).

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى:** «**تفسير الأوثان**» أي: أنها ما بوشر وقصد بالعبادة سواء كان منحوتا على صورة أم لا.

* **الثانية:** «**تفسير العبادة**» أي: أنها الإقبال عليه بالدعاء والصلاة وغيرهما بسبب اتخاذ قبره مسجداً كما جرى من اليهود والنصارى.

* **الثالثة:** «**أنه ﷺ لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه**» أي: لما وقع من اليهود والنصارى ما وقع خاف أن يقع من أمته عند قبره مثل ذلك فدعا الله أن لا يجعل قبره وثنا يعبد.

* **الرابعة:** «**قرنه بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد**» أي: لأن اتخاذها مساجد سبب لجعلها أوثاناً ففيه تحذير أمته من مباشرة قبره واتخاذه مسجداً فيجرهم ذلك إلى جعله وثناً يعبد.

* **الخامسة:** «**ذكر شدة الغضب من الله**» أي: لأن هذا من أعظم الذرائع إلى الشرك الذي هو أعظم الذنوب وأقبح القبيح.

* **السادسة:** «**وهي من أهمها صفة معرفة عبادة اللات التي هي من أكبر الأوثان**» أي: أن صفة عبادته هي العكوف على قبره تعظيماً ورغبة.

* **السابعة:** «**معرفة أنه قبر رجل صالح**» أي: لكونه يلت السويق للحاج.

* **الثامنة:** «**أنه اسم صاحب القبر وذكر معنى التسمية**» أي: أن اللات اسم صاحب القبر وأما معنى التسمية فهي أنه كان يلت السويق فلما مات عبدت ثقيف قبره وقالوا هو اللات.

* **التاسعة:** «**لعنه زوارات القبور**» أي: النساء اللاتي يزرن القبور.

* **العاشرة:** «**لعنه من أسرجها**» أي: اتخذ عليها السرج لأنه من الغلو فيها الذي هو سبب لعبادتها من دون الله.



٢٢ ـ باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ .. **(الآية)**.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليّ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم» (رواه أبو داود بإسناد حسن، ورواته ثقات).

وعن علي بن الحسين: أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ، فيدخل فيها فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: «لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا عليَّ فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم».. (رواه في المختارة).

***

(الشرح)

* معنى المصطفى أي: المختار، والجناب هو الجانب، والمراد حمايته ﷺ مما يخالفه من الشرك وأسبابه، فإنه ﷺ مع حمايته لجنابه أجتهد في سد كل طريق يوصل أمته إلى الشرك.

* **قوله** رحمه الله: وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ

عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.. (الآية)، يخبر تعالى عباده على سبيل الامتنان أنه بعث فيهم رسولاً عظيماً، أي: أن الله أمتن على عباده ببعث رسولاً إليهم من أنفسهم، أي: من جنسهم وبلغتهم ولسانهم، يعرفونه ويعلمون صدقه وأمانته ونصيحته وشفقته، وذلك أقرب وأسرع إلى فهم الحجة. وقال جعفر للنجاشي: (إن الله بعث فينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصفته، ومدخله ومخرجه، وصدقه وأمانته).

* **وقول الله تعالى:** ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾، أي: شديد عليه، فشريعته ﷺ كلها سهلة سمحة كاملة، يسيرة على من يسرها الله عليه.

* **وقوله:** ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾، أي: مجتهد على هدايتكم، وحصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم، والحرص شدة طلب الشيء مع الاجتهاد فيه، ولذا قال ﷺ: «**ما بقي شيء يقرب من الجنة، ويباعد من النار إلا وقد بينته لكم**».

* **وقوله:** ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، أي: يرأف ويشفق على المؤمنين، لقوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، ومن شفقته على أمته ﷺ نهيهم عن تعظيم القبور والغلو فيها، والصلاة عندها وإليها، ونحو ذلك مما يوصل إلى عبادتها، وهذا وجه الدلالة من الآية.

* **ثم قال** رحمه الله: **وعن أبي هريرة** رضي الله عنه **قال: قال رسول الله** ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم قبوراً**، أي: لا تعطلوا بيوتكم من الصلاة فيها والقراءة، فتكون بمنزلة القبور، لأن النهي عن الصلاة عند القبور قد تقرر عندهم، فنهاهم أن يجعلوا

بيوتهم كذلك، وفي الصحيحين: «**اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تتخذوها قبوراً**»، ولمسلم: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر؛ فإن الشيطان يفر من البيت الذي يسمع سورة البقرة تقرأ فيه**».

* **وقوله في الحديث: ولا تجعلوا قبري عيداً**، أي: لا تجعلوا الزيارة تكون على وجه مخصوص في زمان مخصوص، كالعيد، فنهى عن ذلك، وقال لا تجعلوا قبري عيداً، وإذا كان هذا النهي في جعل قبره عيداً، فقبرغيره من القبور أولى بالمنع، وهو الشاهد للترجمة: نَهى أن يُتخذ قبره عيداً للصلاة والدعاء وغير ذلك من وسائل الشرك، كما اتخذ المشركون أعياداً زمانية ومكانية، وقد أبطلها الشرع، وعوض عنها عيد الفطر وعيد الأضحى.

* **وقوله في الحديث: وصلوا عليَّ؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**، أي: أنه لا حاجة لكم إلى اتخاذه عيدا وترددون لأجل ذلك، فإن الصلاة والسلام عليه يحصل مع قربكم لقبره وبعدكم عنه، وتبليغه ﷺ حيث صلى عليه من خصائصه.

* **قوله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **رواه أبو داود بإسناد حسن، ورواته ثقات،** قال الحافظ بن عبدالهادي: هو حديث حسن، جيد الإسناد. وله شواهد يرتقي بها إلى درجة الصحة.

* وقال شيخ الإسلام: (ومثل هذا إذا كان له شواهد علم أنه محفوظ، وهذا له شواهد متعددة).

* **قوله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وعن علي بن الحسين،** أي: ابن علي بن أبي طالب، المعروف بزين العابدين، أفضل التابعين من أهل بيته وأعلمهم.

* قال الزهري: (ما رأيت قرشيّاً أفضل منه)، مات سنة ٩٣هـ، وأبوه الحسين، سبط رسول الله ﷺ وريحانته، حفظ عن رسول الله ﷺ، واستشهد يوم عاشوراء سنة ٦١هـ، وله ٥٦.

* **قوله في الحديث: أنه رأى رجلاً يجيئ إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ، فيدخل فيها فيدعو، فنهاه،** الفرجة بضم الفاء، وهي الكوة في الجدار ونحوه، والرجل المبهم صرح باسمه سعيد بن منصور في سننه أنه سهيل ابن أبي صالح، قال: (رآني الحسن بن الحسن بن علي عند القبر، فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشى، فقال: هلم إلى العشاء، فقلت: لا أريده، فقال: ما لي رأيتك عند القبر؟ فقلت: سلمت على النبي ﷺ، فقال: إذا دخلت المسجد فسلم) وذكر الحديث.

* **قوله وفي الحديث: وقال: ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً،** فهذا النهي عن اتخاذ قبره ﷺ عيداً، يدل على تحريم قصد القبور والمشاهد لأجل الدعاء والصلاة عندها، لأن ذلك نوع من اتخاذها عيداً، وكذلك قصد قبر النبي ﷺ للسَّلام كلما دخل مسجد النبي ﷺ ليصلي منهي عنه، لأن ذلك من اتخاذه عيدا ولأنه لم يشرع، ولقد كره الإمام مالك رحمه الله لأهل المدينة كلما دخل الإنسان المسجد أن يأتي قبر النبي ﷺ، كره ذلك لأن السلف من الصحابة لم يكونوا يفعلون ذلك، وإنما كانوا يأتون إلى مسجده فيصلون، فإذا قضوا الصلاة قعدوا أو خرجوا، ولم يكونوا يأتون القبر للسلام، لعلمهم أن الصلاة والسلام عليه ﷺ في الصلاة أفضل وأكمل، ومع أن الحجرة كانت في زمانهم يؤتى إليها من الباب، ومع تمكنهم من ذلك لا

يدخلون عليه، لا للسلام ولا للصلاة، ولا للدعاء لأنفسهم ولا لغيرهم، فلم يكونوا يعتادون الصلاة والسلام عليه عند قبره، لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك، بقوله: «**لا تتخذوا قبري عيداً**»، وإنما كان ابن عمر يأتي ويسلم إذا قدم من سفر، فيقول: (السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه)، ثم ينصرف ولا يقف للدعاء، ولا ريب إن شد الرحل إلى قبره ﷺ أو غيره من القبور والمشاهد، من اتخاذها أعيادا، ومن أعظم أسباب الإشراك بها كما هو الواقع، ولذا اتفق الأئمة على المنع من شد الرحل لزيارة القبور، لما في الصحيحين: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى).

* **قوله في الحديث: فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم،** أي: يبلغه عليه الصلاة والسلام كما وردت به الأحاديث، وليس في شيء منها أنه يسمع صوت المسلِّم بنفسه، إنما فيها أن ذلك يعرض عليه، ويُبَلغُه ﷺ.

* **قوله: رواه،** أي: أبو عبدالله محمد بن عبد الواحد المقدسي الحافظ.

* **قوله: في المختارة،** هو كتاب جمع فيه مؤلفه الأحاديث الجياد الزائدة على الصحيحين، قال ابن تيمية رحمه الله: (تصحيحه في مختارته خير من تصحيح الحاكم بلا ريب)، مات سنة ٦٤٣هـ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فهذان المرسلان يدلان على ثبوت الحديث)، أي: ما رواه أبويعلى والقاضي إسماعيل، ورواه سعيد ابن منصور في سننه من طريقين عن أبي صالح وأبي سعيد مولى المهري.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى:** «**تفسير آية براءة**» أي: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ الآية، والشاهد منها أنه لما وصفه الله بهذه الصفات دل ذلك على أنه قد بين لهم التوحيد والشرك وسد الذرائع الموصلة إليه.

* **الثانية:** «**إبعاده أمته عن هذا الحمى غاية البعد**» أي: من حرصه على هداية أمته ورأفته بهم أبعدهم عن الشرك وسد جميع الوسائل الموصلة إليه.

* **الثالثة:** «**ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته**» أي: لقوله: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: حريص على هدايتنا ووصول النفع الدنيوي والأخروي إلينا.

* **الرابعة:** «**نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص مع أن زيارته من أفضل الأعمال**» أي: أنه نهى عن زيارة قبره إذا كان على خلاف المشروع كمن يشد الرحل لزيارته أو يتخذه عيداً، وقوله: «مع أن زيارته من أفضل الأعمال» أي: أن زيارة القبور على الوجه المشروع سُنَّة كما في الحديث: «زوروا القبور» وإذا كان كذلك فهو عمل فاضل وقبره ﷺ منها وليس معناه أنه أفضل الأعمال مطلقاً.

* **الخامسة:** «**نهيه عن الإكثار من الزيارة**» أي: لقوله: «**لا تجعلوا قبري عيداً**» أي: لا تكثروا التردد إليه كالعيد الذي يتكرر ويعتاد مجيئه.

* **السادسة:** «**حثه على النافلة في البيت**» أي: لقوله: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً»

أي: لا تعطلوها من الصلاة النافلة فتكون بمنزلة القبور.

* **السابعة**: «**أنه متقرر عندهم أنه لا يصلى في المقبرة**» أي: لكونه جعل البيت الذي لا يصلى فيه مقبرة فلولا أن ذلك متقرر عندهم لما حسن التشبيه.

* **الثامنة**: «**تعليله ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بعد فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب**» أي: أنه لما نهى عن التردد إلى قبره قد يقول قائل: «إنما أتردد للصلاة عليه عنده» أجابه بأن الصلاة والسلام يبلغه مع البعد فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب.

* **التاسعة**: «**كونه ﷺ في البرزخ تعرض عليه أعمال أمته في الصلاة والسلام عليه**» أي: لقوله: «وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم».



٢٣ ـ باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

وقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللهِ مَن لَّعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾، وقوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾.

عن أبي سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذّة بالقذّة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»، قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: (فمن)؟ أخرجاه، ولمسلم عن ثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة بعامة وألا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً».

ورواه البرقاني في صحيحه، وزاد: «وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئة من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذّابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي. ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى».

***

(الشرح)

* ذكر المصنف رحمه الله هذا الباب محذراً من الشرك، لأنه لابد أن يقع في هذه الأمة عبادة الأوثان، والوثن يطلق على كل من قصد بأي نوع من أنواع العبادة، من صنم أو قبر أو مشهد أو غير ذلك، لقول الله تعالى عن الخليل: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا﴾، مع قوله: ﴿قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾، وقال عليه الصلاة والسلام لعدي وفي عنقه صليب: «ألق عنك هذا الوثن».

* **قوله** رحمه الله: **وقول الله تعالى:** ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾، والشاهد من هذه الآية والله أعلم أنه إذا كان الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت، ففيه تحذير لهذه الأمة أن تعبد الجبت والطاغوت؛ فإن الرسول ﷺ قد أخبر أن هذه الأمة ستفعل مثل ما فعلت الأمم قبلها.

* وقوله: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾، والشاهد من الآية للترجمة أنه إذا كان في اليهود ممن عبد الطاغوت، فكذلك يكون في هذه الأمة.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾، والشاهد تحذيرنا أن نفعل فعلهم، فيجرنا ذلك إلى الشرك.

* **قال المصنف: عن أبي سعيد** رضي الله عنه **أن رسول الله** ﷺ **قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم،** تتبعن: بضم العين وتشديد النون، أي: لتسلكن طرق من كان

قبلكم من الأمم، في عبادة الأوثان وغيرها مما ذمهم الله به، وهذا الشاهد من الحديث.

* **قوله في الحديث: حذو القذة بالقذة،** بنصب «حذو» على المصدر، أي: تحذون حذوهم، ولتفعلن أفعالهم، ولتتبعن طرائقهم، حتى تشبهوهم وتحاذوهم في كل ما فعلوه، كما تشبه قذة السهم القذة الأخرى وتساويها، لا تزيد واحدة على الأخرى.

* **قوله في الحديث: حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه،** أي: لو تصور دخولهم جحر ضب مع ضيقه لدخلتموه، وهذا كله مبالغة، في بيان أن أمته عليه الصلاة والسلام، لا تدع شيئاً مما كان يفعله اليهود والنصارى، ولهذا قال سفيان بن عيينة وغيره من السلف: (من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى)، وإخباره ﷺ في هذا الحديث من علامات نبوته ﷺ.

* **قوله في الحديث: قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن.** أخرجاه، وقد سلك كثير من أمته مسلك اليهود والنصارى في تعظيم القبور، واتخاذها مساجد حتى عبدوها، وإقامة الحدود والتعزيرات على الضعفاء دون الأقوياء، والتشبّه بهم في ملابسهم ومراكبهم، والتسليم بالإشارة، واتخاذ الأحبار والرهبان أرباباً، والإعراض عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والإقبال على كتب البدع والضلال، وغير ذلك مما نهى عنه رسول الله ﷺ، وهذا الحديث وإن كان خبراً، فمعناه النهي عن متابعتهم، كما جاء التحذير من التشبه بهم بقوله ﷺ:

(من تشبه بقوم فهو منهم).

* **ثم قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: ولمسلم، أي: في صحيح مسلم.

* **وقوله:عن ثوبان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو مولى لرسول الله ﷺ اشتراه فأعتقه، وخدمه ولازمه إلى أن مات ﷺ، ونزل بعده الشام، ومات بحمص سنة ٥٤هـ.

* **وقوله: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها»**، ومعنى زوى أي: جمع وقرب البعيد منها حتى اطلع عليه ﷺ، اطلاعه على القريب، وهذا كادراك النبي ﷺ بيت المقدس من مكة، وأخذ يخبرهم عنه وهو ينظر إليه.

* **قوله: «وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وقد وقع ما أخبر به ﷺ»**، وذلك من دلائل نبوته ﷺ، وذلك أن ملك أمته اتسع إلى أن بلغ أقصى طنجة، الذي هو منتهى عمارة المغرب، إلى أقصى المشرق مما وراء خراسان والنهر، وكثير من بلاد السند والهند والصغد.

* **قوله: «وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض»**، يعني به كنز كسرى وهو ملك الفرس، وكنز قيصر وهو ملك الروم، و الغالب عند الروم الذهب، والغالب عند الفرس الفضة، ولذا قال الرسول ﷺ: (والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله)، وقد حصل ذلك في خلافة الفاروق عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإنه سيق إليه تاج كسرى وحليته، وكذلك فعل الله بقيصر لما فتح بلاده.

* **قوله: وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وفي بعض رواية**

مسلم بحذف الباء، أي: بسنة عامة، عامة صفة السنة، والسنة الجدب الذي يكون به الهلاك العام، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ ﴾ أي: الجدب المتوالي.

* **قوله: وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم،** وبيضة الشيء حوزته، وبيضة القوم ساحتهم، والنبي ﷺ سأل الله أن لا يسلط العدو على معظم المسلمين وجماعتهم وإمامهم، ولو اجتمع عليهم كل من بأقطار الأرض حتى يقع منهم ما ذكر فقد يسلطون عليهم

* **قوله: وإن ربي قال: يا محمد إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد،** أي: كما قال ﷺ: «**ولا راد لما قضيت**».

* **قوله: وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكها بسنة عامة،** أي: أعطاه الله سؤاله لأمته أن لا يهلكها بسنة عامة، وهي الجدب فأجاب الله دعاءه، ولقد كان في الأمم السابقة عذاب الاستئصال بخلاف هذه الأمة، فإن الله وله الحمد والمنة قد دفع عنها ذلك، ببركة دعاء نبيها ﷺ.

* **قوله: وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها وأقطار الأرض بجهاتها الأربع ونواحيها،** أي: أن الله جل وعلا أعطى لنبيه أن لا يسلط عليهم عدوا من سواهم فيتولاهم جميعاً، ويهلكهم ويذلهم.

* **قوله: حتى، يكون بعضهم يهلك بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً،** حتى

لانتهاء الغاية، أي: أن أمرها ينتهي حتى يوجد ذلك منهم، فإن الله لا يسلط الكفار على معظم المسلمين وجماعتهم وإمامهم، ما داموا بضد هذه الأوصاف المذكورة في قوله: «**حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً**»، فأما إذا وجدت هذه الأوصاف فقد يسلط الكفار عليهم بسبب اختلافهم وتفرقهم، سلط بعضهم على بعض، ولكن بحمد الله لا تزال طائفة منهم باقية على الحق، تقوم بها الحجة على الخلق.

* **قوله: ورواه البرقاني في صحيحه**، البرقاني نسبة إلى قرية كانت بنواحي خوارزم، والبرقاني إمام حافظ كبير أبوبكر أحمد بن محمد بن غالب الخوارزمي الشافعي، صنف مسنداً ضمنه ما اشتمل عليه الصحيحان، ولد سنة ٣٣٦هـ، ومات سنة ٤٢٥هـ. وروى هذا الحديث بتمامه أبوداود وغيره عن ثوبان.

قوله وزاد: وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، أي: الذين يقتدي بهم الناس، وهم يحكمون في الناس بغير علم فيضلونهم من الأمراء والعلماء والعبادونحوهم، وقال عمر لزياد بن حدير: (يا زياد هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قال: لا. قال: يهدمه زلة العالم، وجدال المنافق بالقرآن، وحكم الأئمة المضلين).

* **قوله: وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة**، وفي رواية أبي داود: «**وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع إلى يوم القيامة**»، وقد وقع كما أخبر، فإنه لما وقع بقتل عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لم يرفع، فيكثر تارة ويقل أخرى، ويكون في جهة دون أخرى.

* **قوله: ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين**، الحي واحد

الأحياء، وهي القبائل، والمعنى أنه سيكون من هذه القبائل من يرتد عن الإسلام، ويلحق مع أهل الشرك.

* **قوله: وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان،** الفئام: الجماعات الكثيرة، ولفظ أبي داود: «**حتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان**» وهو الشاهد للترجمة، ففيه دليل على وقوع الشرك وعبادة الأوثان في هذه الأمة، كما في الصحيحين: «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة**»، وفي صحيح مسلم: «**لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى**»، فإن قيل: ورد «**أن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب**»، الجواب: أن يأسه لا يدل على عدم وقوعه.

* **قوله: وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي،** وقد ظهر مصداق ذلك في زمن رسول الله ﷺ وبعده، ممن كان لهم أصحاب يصدقونهم ويأخذون بطريقهم، كمسيلمة باليمامة، والأسود باليمن، وطليحة في بني أسد، وسجاح في تميم، والمختار بن أبي عبيد في عصر ابن الزبير، والحارث في عصر عبد الملك بن مروان، وفي عصر بني العباس جماعة، وصار لكل منهم شوكة، وأما من ادعاها فكثير، وآخرهم الدجال الأعور أعاذنا الله من فتنته.

* **وقوله: وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي،** أي: هو صلوات الله وسلامه عليه آخر النبيين، لا نبي يوحي الله إليه بعده إلى قيام الساعة، وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾.

قال الحسن: الخاتم الذي ختم به، وعيسى عليه السلام إنما ينزل في آخر الزمان حاكماً

بشريعة محمد ﷺ مصلياً إلى قبلته، فهو كأحد أمته، بل هو أفضل هذه الأمة. قال ﷺ: «**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير**» (رواه البخاري ومسلم).

* قوله: ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، والمراد والله اعلم، أن هذه الطائفة العاملون بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ولا يلزم منه أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد، ولا في قطر واحد، بل يجوز اجتماعهم في بلد وقطر وجهة، وافتراقهم في بلدان وأقطار وجهات من الأرض.

* **قال المصنف في آخر الحديث: حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى،** أي: أمر الله إلى قيام الساعة، كما روى الحاكم: «**لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك**»، ولعل المراد به ما صح عن النبي ﷺ من قبض ما بقي من المؤمنين بالريح الطيبة، ووقوع الآيات العظام، ثم لا يبقى إلا شرار الناس، وعليهم تقوم الساعة.

* **وقوله: تبارك وتعالى،** أي: كمل وتعاظم وتقدس، ولا يقال إلا لله سبحانه، فهو سبحانه المتبارك، وما بارك فيه فهو المُبارك.

* **وقوله: وتعالى،** أي: دال على كمال العلو ونهايته، علو القدر وعلو القهر وعلو الذات.

وكل جملة من هذا الحديث علم من أعلام النبوة، فان كل ما أخبر به ﷺ وقع كما أخبر عليه الصلاة والسلام.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى:** «**تفسير آية النساء**» أي: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ والشاهد منها أنهم لما فعلوا ذلك فلا بد أن تفعله هذه الأمة.

* **الثانية:** «**تفسير آية المائدة**» أي: قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ والشاهد منها مثل الآية التي قبلها وكذا الآية التي بعدها.

* **الثالثة:** «**تفسير آية الكهف**» أي: قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾.

* **الرابعة:** «**وهي أهمها ما معنى الإيمان بالجبت والطاغوت هل هو اعتقاد قلب أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها**» أي: أنه ليس اعتقاد قلب لأنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإنما هو موافقة أصحابها فلما وافقوهم عليه جعله الله إيماناً بالجبت والطاغوت.

* **الخامسة:** «**قولهم إن الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلاً من المؤمنين**» أي: أن هذا جرى منهم وأن الله لعنهم وإذا كان وقع منهم فلابد أن يقع في هذه الأمة مثله وهذا هو الشاهد للترجمة.

* **السادسة:** «**وهي المقصود بالترجمة أن هذا لابد أن يوجد في هذه الأمة كما تقرر في حديث أبي سعيد**» أي: الإيمان بالجبت والطاغوت وتفضيل دين

المشركين على دين المسلمين وعبادة الطاغوت وبناء المساجد على القبور.

* **السابعة: «التصريح بوقوعها أعني عبادة الأوثان في هذه الأمة في جموع كثيرة»** أي: كما دل عليه حديث ثوبان: «حتى تعبد فئام من أمتي الأوثان».

* **الثامنة: «العجب العجاب خروج من يدعي النبوة مثل المختار مع تكلمه بالشهادتين وتصريحه بأنه من هذه الأمة وأن الرسول حق وأن القرآن حق وفيه أن محمداً خاتم النبيين ومع هذا يصدق في هذا كله مع التضاد الواضح وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة وتبعه فئات كثيرة»** أي: أن هذا لشيء عجيب كيف يؤمن المختار بن أبي عبيد بأن محمداً خاتم النبيين ليس بعده نبي ثم يدعي أنه نبي ويُتبع على ذلك مع هذا التناقض البين ولكن هذا مصداق الحديث المذكور في الباب.

* **التاسعة: «البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى بل لا تزال عليه طائفة»** أي: لا يذهب حتى لا يبقى عليه إلا الواحد بعد الواحد كما حصل فيمن قبلنا بل لا تزال عليه طائفة منصورة كما في حديث ثوبان.

* **العاشرة: «الآية العظمى أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم» أي: كما دل عليه الحديث.**

* **الحادية عشرة «أن ذلك الشرط إلى قيام الساعة» أي: ساعتهم وهو وقت موتهم إذا أرسل الله الريح التي تقبضهم في آخر الزمان ثم لا يبقى إلا شرار الخلق فعليهم تقوم الساعة.**

* **الثانية عشرة «ما فيهن من الآيات العظيمة»** أي: التي دل عليها حديث ثوبان منها إخباره بأن الله زوى له المشارق والمغارب وأخبر بمعنى ذلك فوقع كما أخبر بخلاف الجنوب والشمال أي: أن الفتوحات امتدت في المشرق والمغرب فوقع كما أخبر بخلاف الجنوب والشمال فلم تمتد فيه. وإخباره بأنه أعطي الكثير أي: كنز قيصر وكسرى فوقع كما أخبر فأخذهما المسلمون في زمن الخلفاء الراشدين وإخباره بإجابة دعوته لأمته في الاثنتين، أي: أن لا يهلكوا بسنة عامة وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم وإخباره بأنه منع الثالثة، أي: أن لا يسلط بعضهم على بعض ويهلك بعضهم بعضاً فمنع ذلك فسلط بعضهم على بعض وإخباره بوقوع السيف وأنه لا يرفع إذا وقع أي: وهكذا وقع فإنه لما قتل عثمان ابن عفان وقع السيف ولم يرفع ولكنه يقل تارة ويكثر أخرى. وإخباره بظهور المتنبئين في هذه الأمة أي: فوقع ذلك مثل خروج الأسود العنسي ومسيلمة الكذاب والمختار بن أبي عبيد وأمثالهم وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة أي: القائمين بالحق الذين هم على الحق وكل هذا وقع كما أخبر مع أن كل واحدة منها من أبعد ما يكون في العقول أي: لكونه غيباً لا يعلمه إلا الله ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ الآية، ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾.

* **الثالثة عشرة: «حصره الخوف على أمته من الأئمة المضلين»** أي: لقوله: «وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين» وهم العلماء والأمراء والعباد إذا خالفوا الصراط المستقيم.

* **الرابعة عشرة**: «**التنبيه على معنى عبادة الأوثان**» أي: لقوله: «حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان» أي: يلحقون بالمشركين ويرتدون عن الإسلام برغبتهم.



٢٤ـ باب ما جاء في السحر

وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ﴾، وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾.

قال عمر: (الجبت): السحر، (والطاغوت): الشيطان. وقال جابر: الطواغيت: كهان كان ينزل عليهم الشيطان في كل حي واحد.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: (اجتنبوا السبع الموبقات)، قالوا: يا رسول الله: وما هن؟ قال: (الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات).

وعن جندب مرفوعاً: (حد الساحر ضربه بالسيف) رواه الترمذي، وقال: الصحيح أنه موقوف.

وفي (صحيح البخاري) عن بجالة بن عبدة قال: كتب عمر بن الخطاب: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر.

وصح عن حفصة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها، فقتلت، وكذلك صح عن جندب. قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ.

***

(الشرح)

أي: من الوعيد وبيان منافاته للتوحيد، وتكفير فاعله، لأنه لما كان من أنواع الشرك، ذكره المصنف تحذيراً منه كغيره من أنواع الشرك، وهو عزائم ورقى وكلام

يتكلم به، وأدوية وتدخينات وغير ذلك، ومنه ما يؤثر في القلوب والأبدان، فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه، ولا تأثير له، إلا بإذنه الله الكوني، القدري لا الشرعي الديني، قال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.

* **وقول الله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾، أي: ولقد علم أهل الكتاب الذين استبدلوا بالسحر عن متابعة الرسول ﷺ والإيمان به، **(لمن اشتراه)** أي: السحر ورضي به، عوضاً عن شرع الله ودينه، لا نصيب له ولا حظ له في الآخرة، وأنه لا دين له، وهذا من أبلغ الوعيد، فدلت الآية على تحريمه، وذهب أكثر أهل العلم، إلى أن الساحر يكفر بتعلم السحر، وتعليمه وفعله، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾، وقوله: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾.

* **وقوله:** ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾، قال الجوهري وغيره: الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك، و **(الطاغوت)** مجاوزة الحد، وكل شيء جاوز الحد في العصيان فهو من الطغيان.

* **قوله: قال عمر: «الجبت السحر»**، ومراده أن السحر داخل في الجبت، والجبت هو الباطل، والسحر منه؛ لأنه باطل مخالف للحق.

* **وقول عمر: «والطاغوت الشيطان»**، وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: قوله: (الطاغوت الشيطان قول قوي جداً، فإنه يشمل كل شر كان عليه أهل الجاهلية، من عبادة الأوثان والتحاكم إليها والاستنصار بها)، والطاغوت مشتق من الطغيان وهو مجاوزة الحد.

* **قوله** رَحِمَهُ اللَّهُ **تعالى: وقال جابر: الطواغيت كهان كان ينزل عليهم الشيطان في كل حي واحد،** جابر هو الصحابي الجليل ابن عبدالله بن عمرو بن حرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قوله: الطواغيت كهان، أراد أن الكهان من الطواغيت، قوله: كان ينزل عليهم الشيطان في كل حي واحد، أراد به الجنس لا الشيطان الذي هو إبليس خاصة، ومطابقة هذا الأثر للترجمة أن الساحر طاغوت، إذ كان يطلق على الكاهن فالساحر أولى.

* **قوله: عن أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أن رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال: اجتنبوا السبع الموبقات،** اجتنبوا أي: ابعدوا، والموبقات هي: المهلكات، لأنها تهلك فاعلها في الدنيا، لما يترتب عليها من العقوبات، وفي الآخرة من العذاب.

* **قوله: قالوا: وما هن يا رسول الله؟ قال: الشرك بالله،** الشرك بالله وهو أن يجعل لله نداً يدعوه ويرجوه ويخافه كما يخاف الله، ولما سئل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أي: الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**».

* **قوله: والسحر،** أي: من الموبقات بعد الشرك بالله هو السحر، وقال البيضاوي: هو ما يستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشيطان، مما لا يستقل به الإنسان، وهو الشاهد من الحديث للترجمة.

* **قوله: وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق،** أي: قتل النفس المسلمة المعصومة التي حرم الله قتلها إلا بالحق، أي: بأن تفعل ما يوجب قتلها، كما في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيّب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**» (رواه البخاري ومسلم).

* **قوله: وأكل الربا، وهو فضل مال بلا عوض،** وأكله تناوله بأي وجه كان، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ .. إلى قوله: ﴿وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ قال ابن دقيق العيد: (وهو مجرب لسوء الخاتمة، نعوذ بالله من ذلك).

* **وقوله: وأكل مال اليتيم،** المراد التعدي فيه، وعبر بالأكل لأنه أعم وجوه الانتفاع، واليتيم: هو من مات أبوه ولم يبلغ.

* **قوله: والتولي يوم الزحف،** أي: الفرار والإدبار عن الكفار وقت التحام القتال، وإنما يكون كبيرة إذا فر إلى غير فئة المسلمين، أو غير متحرف لقتال.

* **قوله: وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات،** القذف في الأصل الرمي البعيد، وشرعاً الشتم والعيب والبهتان، و المحصنات: هن الحرائر العفيفات، سواء كانت متزوجة أو غير متزوجة، والغافلات وصف أغلبي أي: عن الفواحش وما رمين به في الزنا، والمؤمنات بالله احترازاً من قذف الكافرات.

* **قوله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وعن جندب مرفوعاً:** هو جندب بن كعب بن عبدالله وربما نسب إلى جده، وهو جندب الخير.

* **قوله: حد الساحر ضربه بالسيف،** روي بالهاء وبالتاء، أي: ضربه بالسيف، أو ضربة بالسيف، وكلاهما صحيح، وبهذا الحديث أخذ من قال بقتل الساحر.

* **قوله: رواه الترمذي وقال: (الصحيح أنه موقوف)،** ورواه الطبراني عن جندب البجلي، وقال الحافظ: (الصواب أنه غيره). وقد رواه ابن قانع والحسن

ابن سفيان من وجهين عن الحسن عن جندب الأزدي «أنه جاء إلى ساحر فضربه بالسيف حتى مات»، وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: فذكره.

* **قوله** رحمه الله: **وفي صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة**، بجالة بفتحتين وعبدة بفتحتين، العنبري التميمي بصري ثقة، أدرك النبي ﷺ ولم يره، وكان كاتباً لجزء ابن معاوية، وقيل جزي بن معاوية في خلافة عمر، وهو ابن معاوية بن حصين التميمي السعدي وهو عم الأحنف بن قيس وأخو صعصعة بن معاوية.

* **قوله: قال: «كتب عمر بن الخطاب أن اقتلوا كل ساحر وساحرة**، ظاهره أنه يقتل من غير استتابة، وهو المشهور عن أحمد، وبه قال مالك وأبو حنيفة؛ لأن الصحابة لم يستتيبوهم، لأنه أكثر فساداً من المشرك.

* **قوله: قال: فقتلنا ثلاث سواحر**، أي: قال ذلك بجالة، فيما رواه أحمد وأبو داود والترمذي.

* **قوله: وصح عن حفصة** رضي الله عنها، أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقُتِلتْ، حفصة هي أم المؤمنين ابنة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، تزوجها النبي ﷺ بعد خنيس ابن حذافة سنة ٢ أو ٣هـ بعد عائشة، وولدت قبل البعثة بخمس سنين، وماتت سنة ٤٥هـ، قوله: وصح، أي: فيما رواه عبدالرزاق ومالك في الموطأ في (باب ما جاء في الغيلة والسحر).

* **قوله: وكذلك صح عن جندب**، أي: جندب بن كعب الأزدي قاتل الساحر المتقدم ذكره.

* **قوله: قال أحمد: (عن ثلاثة من أصحاب رسول الله ﷺ)**، أي: جاء قتل الساحر عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ يعني عمر وحفصة وجندب، وروي عن عثمان وابن عمر وقيس بن سعد وعمر بن عبدالعزيز، وهو المشهور عند أكثر أهل العلم، وعمل به في خلافة عمر.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى: «تفسير آية البقرة»** أي: قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾ أي: استبدل الكفر الذي منه السحر بالإيمان، ماله في الآخرة عند الله من خلاق أي: حظ ولا نصيب.

* **الثانية: «تفسير آية النساء»** أي: قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ فذمهم على إيمانهم بالجبت الذي هو السحر كما قاله عمر.

* **الثالثة: «تفسير الجبت والطاغوت والفرق بينهما»** أي: الجبت السحر والطاغوت الشيطان وقيل غير ذلك وأما الفرق بينهما فهو ـ والله أعلم ـ أن الجبت يتعلق بالعمل المذموم كالسحر، والطاغوت بالعامل أي: الشيطان أو الكاهن أو الساحر وهذا على بعض التفاسير وأما على بعضها فيتداخلان.

* **الرابعة: «أن الطاغوت قد يكون من الجن وقد يكون من الإنس»** أي: إذا قيل إنه الشيطان فهو من الجن وإذا قيل إنه الكاهن فهو من الإنس.

* **الخامسة:** «معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهي» أي: المهلكات

المخصوصات بالنهي لقوله: «**اجتنبوا السبع..إلخ**».

❊ **السادسة**: «**أن الساحر يكفر**» أي: لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾.

❊ **السابعة**: «**أنه يقتل ولا يستتاب**» أي: لأن الصحابة الذين روي عنهم قتله لم ينقل أنهم استتابوه.

❊ **الثامنة**: «**وجود هذا في المسلمين على عهد عمر فكيف بعده**» أي: وجود السحر في عهد عمر فكيف بعده أي: أنه أعظم لقوله ﷺ: «**لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم**» (رواه البخاري).



٢٥ ـ باب بيان شيء من أنواع السحر

قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف عن حيان بن العلاء، حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ قال: «إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت».

قال عوف: العيافة: زجر الطير، والطرق: الخط يخط بالأرض والجبت، قال: الحسن: رنة الشيطان. إسناده جيد ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه، المسند منه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «من اقتبس شعبة من النجوم، فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد» [رواه أبو داود] وإسناده صحيح.

وللنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئاً وكل إليه».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ألا هل أنبئكم ما الغضة؟ هي النميمة، القالة بين الناس» [رواه مسلم]. **ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما، ان رسول الله ﷺ قال: «إن من البيان لسحراً».**

***

(الشرح)

لما ذكر رحمه الله ما جاء في السحر، ذكر في هذا الباب شيئاً من أنواعه.

* **قوله: قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر**، هو المعروف بغندر، ثقة مات سنة ٢٠٦هـ.

* **قوله: حدثنا عوف عن حيان بن العلاء،** هو عوف ابن أبي جميلة، المعروف بعوف الأعرابي، مات سنة ١٤٦هـ، وله ٨٦ سنة، وحيان بن العلاء، ويقال: أبو العلاء البصري مقبول.

* **قوله: حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه،** قطن بفتحتين أبو سهل البصري صدوق، وأبوه قبيصة بفتح أوله ابن مخارق البصري، وفد على النبي ﷺ ونزل البصرة.

* **قوله: أنه سمع النبي ﷺ قال: إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت، قال عوف: العيافة زجر الطير والطرق الخط يخط بالأرض،** قالوا عاف يعيف عيفة إذا زجر وحدس وظن، والاعتبار في ذلك غالباً بأسمائها كما يتفاءل بالعقاب على العقاب، وبالغراب على الغربة، وبالهدهد على الهدى، والفرق بينها وبين الطيرة أن الطيرة هي التشاؤم بها، وأما العيافة: فهي التفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها، وذلك من الجبت.

* **قوله: والطرق الخط يخط بالأرض،** أي: من الجبت ايضاً، يخطه الرمالون وغيرهم ويدعون به علم المغيبات، وأما ما رواه مسلم وغيره مرفوعاً، عن معاوية بن الحكم أنه قال لرسول الله ﷺ ومنا رجال يخطون، فقال: كان نبي من الأنبياء يخط، فمن وافق خطه فذاك.

* فقال النووي وغيره: من وافق خطه فهو مباح له، لكن لا طريق لنا إلى العلم باليقين بالموافقة، فلا يباح بل يصير من أنواع الكهانة، لمشاركته لها في المعنى.. اهـ.

* قال المصنف: وخط ذلك النبي عدم لا يوجد من يعرفه. فبهذا يعلم أن الطرق والخط من الجبت والكهانة.

* **قوله: (والجبت قال الحسن: رنة الشيطان) إسناده جيد،** فسر رحمه الله الجبت ببعض أفراده. **قال المصنف:** (عادة السلف يفسرون اللفظ العام ببعض أفراده، وهذا كثير في كلامهم جداً) ا..هـ.

والرنين هو الصوت، فالمعنى صوت توجعاً وتغيظاً، وذكر عن ابن عباس: (لما فتح رسول الله ﷺ مكة رن إبليس واجتمعت إليه جنوده)، والحسن هو ابن أبي الحسن البصري المشهور، واسم أبيه يسار الأنصاري، ثقة فقيه فاضل مات سنة ١١٠هـ، وقد جاوز ٩٠ سنة.

* **قوله** رحمه الله: **ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه المسند منه،** أي: رواه أبو داود بالتفسير المذكور بدون قول الحسن رحمه الله.

* **قوله** رحمه الله: **وعن ابن عباس** رضي الله عنهما **قال: قال رسول الله** ﷺ: «**من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر**»، اقتبس أخذ وحصل وعلم، وقبست العلم واقتبسته إذا علمته، والقبس الشعلة من النار، واقتباسها أخذه منها، والشعبة الطائفة والقطعة، ومنه: «**الحياء شعبة من الإيمان**»، أي: جزء منه، وإنما شبه ﷺ علم النجوم بعلم السحر؛ لأن علم النجوم المحرم من السحر، لقوله ﷺ: «**من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر**».

* **قوله: زاد ما زاد، رواه أبو داود بإسناد صحيح،** أي: كلما زاد المقتبس من

تعلم النجوم زاد اقتباسه من شعب السحر، لما يعتقدونه من النجوم من معرفة الحوادث التي لم تقع، وربما تقع في مستقبل الزمان، مثل إخبارهم بوقت هبوب الرياح، ومجيء المطر، وظهور الحر والبرد، وتغير الأسعار ونحو ذلك، ويزعمون أنهم يدركون معرفتها بسير الكواكب، واجتماعها وافتراقها وهذا باطل ومن الباطل كما أن تأثير السحر باطل، بل هو مما استأثر الله به.

* قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾، وقال الرسول عليه الصلاة والسلام: «**ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله**»، وغير ذلك مما استأثر الله بعلمه، وأما ما يدرك بطريق المشاهدة من علم النجوم الذي يعرف به الزوال وجهة القبلة ونحو ذلك، فغير داخل فيما نهى عنه، قال تعالى: ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

* **قوله** رحمه الله: **وللنسائي من حديث أبي هريرة** رضي الله عنه**، عن النبي** ﷺ، والنسائي هو الإمام الحافظ أحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن، صاحب السنن الكبرى والمجتبى وغيرهما، وكان إليه المنتهى في العلم بعلل الحديث، مات بفلسطين سنة ٣٠٣ هـ وله ٨٨ سنة.

* **قوله: من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر،** العقدة هي ما تعقده السحرة، ويقال لها عزيمة أيضاً، وذلك أن الساحر إذا أراد عمل السحر عقد خيطاً، ونفث على كل عقدة، حتى ينعقد ما يريدونه من السحر، ولا يكون إلا بإذن الله تعالى القدري الشرعي، قال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾، ولهذا

أمر الله بالاستعاذة من شرهم في قوله: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلۡعُقَدِ ﴾ يعني السواحر اللاتي يفعلن ذلك، والنفث هو النفخ من الريق، وهو دون التفل.

* **قوله: ومن سحر فقد أشرك،** وهذا نص بأن الساحر مشرك، وقد حكى الحافظ عن بعضهم أنه لا يتأتى إلا مع الشرك.

* **قوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: **ومن تعلق شيئاً وكل إليه، أي:** من تعلق قلبه بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر فقد أشرك، ووكله الله إلى ذلك الشيء وخلى بينه وبينه.

* **قوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: **وعن ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أن رسول الله** ﷺ **قال: «ألا هل أنبئكم ما العضه،** (ألا) أداة تنبيه (أنبئكم) أخبركم و (العضه) بفتح فسكون، وفي كتب الغريب بكسر ففتح، والعضاهة الكذب والنمّ والسحر، وكل هذا من البهت والفحش، وهذا يدل على تحريمه.

* **قوله: «هي النميمة القالة بين الناس» رواه مسلم،** معنى النميمة: النمام الذي يتحدث مع القوم فينم عليهم، فيكشف ما يكره كشفه، فيسعى به ليوقع فتنه بينهم أو وحشة، وقال: هنا القالة بين الناس: وهي كثرة القول، لإيقاع الخصومة بما يحكي بعضهم لبعض وفي الحديث: (ففشت القالة بين الناس)، والنميمة: تشبه السحر لما فيها من الإفساد بين الناس، وأنها تؤثر وتعمل ما يعمله الساحر أو أكثر، والنمام ليس بكافر كالساحر، وإنما يؤثر عمله ما يؤثره السحر، فيعطى حكمه. إلا فيما اختص به من الكفر، وبه يظهر مطابقة الحديث للترجمة، واتفق أهل العلم على تحريم الغيبة والنميمة في غير النصيحة الواجبة، وأنها من كبائر الذنوب.

* **قوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: **ولهما عن ابن عمر أن رسول الله** ﷺ **قال: «إن من البيان لسحراً»،** وأورد البخاري وغيره سبب قول النبي ﷺ ذلك، أنه قدم رجلان من المشرق فخطبا فعجب الناس لبيانهما، فقال رسول الله ﷺ: «**إن من البيان لسحراً**»، أو «**إن بعض البيان لسحر**»، والبيان البلاغة والفصاحة، والسحر إظهار الباطل في صورة الحق، والمراد البيان الذي فيه تمويه على السامع وتلبيس، شبهه بالسحر لفساده، وأما البيان الذي يوضح الحق ويقرره ويبطل الباطل ويبينه فهذا ممدوح.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى: «أن العيافة والطرق والطيرة من الجبت»** أي: هذه من السحر كما تقدم عن عمر أنه قال: «الجبت السحر».

* **الثانية: «تفسير العيافة والطرق»** أي: العيافة زجر الطير والطرق الخط يخط بالأرض كما يفعله الكهان وغيرهم للاستدلال على المغيبات.

* **الثالثة: «أن علم النجوم نوع من السحر»** أي: لقوله: «من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر».

* **الرابعة: «العقد مع النفث من ذلك»** أي: من السحر لقوله: «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر».

* **الخامسة: «أن النميمة من ذلك»** أي: من السحر لكون النمام يفرق بين الناس كالساحر الذي يفرق بينهم لا أنها مثله في الكفر والقتل.

❋ **السادسة**: «**أن من ذلك بعض الفصاحة**» أي: لقوله: «إن من البيان لسحراً» أي: إذا كان الرجل فصيحاً فجعل الحق في قالب الباطل والباطل في قالب الحق وموه على الناس حتى قبلوا كلامه بسبب فصاحته صار ذلك نوعاً من السحر أما إذا كان البيان في توضيح الحق ورد الباطل فهو ممدوح.



٢٦ ـ باب ما جاء في الكهان ونحوهم

روى مسلم في صحيحه، عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من أتى عرَّافاً فسأله عن شيء فصدقه، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من أتى كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ» (رواه أبو داود).

وللأربعة، والحاكم وقال: صحيح على شرطهما، عن أبي هريرة: «من أتى عرَّافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ». ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود موقوفاً.

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعاً: «ليس منا من تَطير أو تُطير له أو تَكهن أو تُكهن له أو سَحر أو سُحر له، ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ» رواه البراز بإسناد جيد، ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله: «ومن أتى..» الخ.

قال البغوي: العرَّاف: الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك وقيل: هو الكاهن والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل وقيل: الذي يخبر عما في الضمير.

وقال أبو العباس ابن تيمية: العرَّاف: اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق.

وقال ابن عباس ـ في قوم يكتبون (أبا جاد) وينظرون في النجوم ـ: ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق.

***

(الشرح)

أي: ما جاء في الكهان من التغليظ الأكيد، والوعيد الشديد، وما جاء في نحوهم كالعرَّافين والمنجمين والرمالين، فإنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما ذكر السحر وأنواعه ذكر الكهان ونحوهم؛ لمشابهتهم للسحرة، والكهان هم الذين يتعاطون الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدّعون معرفة الأسرار، ويأخذون عن مسترق السمع.

* **قوله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي** ﷺ، هي حفصة بنت عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ذكره أبو مسعود الثقفي في مسندها.

* **قوله: عن النبي ﷺ قال: «من أتى عرَّافاً فسأله عن شيء فصدقه بما يقول، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً»**، وفي بعض روايات الصحيح: **«من أتى عرَّافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»**، فليس فيما روى مسلم (فصدقه بما يقول)، فظاهر الحديث أن الوعيد مرتب على مجيئه، سواء صدقه أو شك في خبره؛ لأن إتيان الكهان منهي عنه، كما في الحديث في صحيح مسلم عن معاوية بن الحكم (فلا تأتهم).

* **قوله: لم تقبل له صلاة أربعين يوماً**، أي: لا ثواب له فيها، لاقترانها بالمعصية، وإن كانت مجزئة بسقوط الفرض عنه في الدنيا، فلا تلزمه الإعادة، وإذا كانت هذه حال السائل فحال المسؤول أسوأ وأشر وأعظم إثماً.

* **قوله: وعن أبي هريرة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **عن النبي ﷺ قال: «من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ». رواه أبو داود، وللأربعة والحاكم وقال: صحيح**

على شرطهما، عن النبي ﷺ: «من أتى عرَّافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»، المراد بما أنزل: الكتاب والسُنَّة، والأحاديث التي فيها الكفر مقيدة بتصديق الكاهن، وهل الكفر في هذا الموضع كفر دون كفر؟ فلا ينقل عن الملة أو يتوقف فيه، كما هو في أشهر الروايتين عن الإمام أحمد.

* **قوله: ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفاً**، أي: مثل حديث أبي هريرة موقوفاً على ابن مسعود، وأبو يعلى هو الإمام الحافظ أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي، صاحب التصانيف كالمسند وغيره، روى عن يحيى بن معين وغيره، مات سنة ٣٠٧هـ، ومثل هذا له حكم الرفع.

* **قوله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وعن عمران بن حصين مرفوعاً: «ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سَحَرَ أو سُحر له**، تطير أي: فعل الطيرة، أو تطير له أي: قبل قول المتطير له، وتابعه، وهكذا الكهانة، كالذي يأتي الكاهن ويصدقه ويتابعه، وكذا من سحر أو سحر له، أي: عمل السحر أو عمل الساحر له، فكل من تلقى هذه الأمور أو عملت له عالماً راضياً بذلك فقد تعرض لهذا الوعيد الذي جاء في هذا الحديث، وأحاديث الوعيد تمر كما جاءت، لأنه أبلغ في الزجر، مع أن من عمل شيئاً مع هذه الأشياء عملاً يخرجه من الملة فهو كافر، كعمل السحر، وادعاءِ علم الغيب بالكهانة ونحو ذلك.

* **قوله: رواه البزار بإسناد جيد،** ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله: (ومن أتى) إلى آخره، البزار هو الإمام الحافظ المشهور أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري، صاحب المسند الكبير

سماه البحر الزاخر، صدوق روى عن ابن بشار وابن المثنى وخلق، أصله من البصرة ومات في الرملة سنة ٢٩٢هـ.

* **قوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: **قال البغوي**، البغوي هو منسوب إلى بغ مدينة بين هراة ومرو، واسمه الحسين بن مسعود، عالم خراسان وصاحب التصانيف كالتهذيب وشرح السنة والمصابيح والتفسير، مات سنة ٥١٦هـ.

* **قوله: (العرَّاف الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك)**، ظاهر كلامه أن العرَّاف هو الذي يخبر عن الواقع كالسرقة وسارقها والضالة ومكانها وغير ذلك بأسباب ومقدمات، وخيالات شيطانية، وربما تنزلت عليه الشياطين، لقوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾، وسمي عرَّافاً لادّعائه المعرفة.

* **قوله: وقيل: هو الكاهن، والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل وقيل: الذي يخبر عما في الضمير**، أي: يأخذ عن مسترق السمع ونحو ذلك.

* **قال ابن تيمية**: (العرَّاف، كالحازر الذي يدعي علم الغيب، وقال الإمام أحمد: (العرَّافة طرف من السحر، والساحر أخبث)، وقال ابن القيم: (من اشتهر بإحسان الزجر عندهم سموه عائفاً وعرَّافاً).

* **قوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: **قال أبو العباس ابن تيمية، العرّاف: اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم، ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق**، فهؤلاء أدخلهم شيخ الإسلام في اسم العرَّاف، فالذي يدعي معرفة شيئاً من المغيبات، فهو إما داخل في

اسم الكاهن، وإما مشارك له في المعنى فيلحق به، و إصابة المخبر ببعض الأمور الغائبة في بعض الأحيان يكون بالكشف، ومنه ما هو من الشياطين، ويكون بالفأل والزجر والطيرة والضرب بالحصى والخط في الأرض والتنجيم والكهانة والسحر، ونحو ذلك من علوم الجاهلية أعداء الرسل، وكل هذه الأمور يسمى صاحبها كاهنا وعرافا، ومن أتاهم فصدقهم بما يقولون لحقه الوعيد.

* **قوله: وقال ابن عباس في قوم يكتبون أبا جاد،** أي: كتابة أبي جاد وتعلمها لمن يدعي بها علم الغيب هو الذي جاء فيه الوعيد، فيقطعون حروف أبجد هوز حطي إلى آخر ذلك.

* **قوله: وينظرون في النجوم**: أي: ويعتقدون أن لها تأثيراً، يزعمون أنهم يدركون بذلك علم الغيب.

* **قوله: (ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق)**، وهذا الأثر رواه الطبراني عن ابن عباس مرفوعاً، ولفظه: (رب معلم حروف أبي جاد، دارس في النجوم، ليس له عند الله خلاق يوم القيامة). ففي هذا عدم الاغترار بما يؤتاه أهل الباطل من معارفهم وعلومهم، والحذر من كل علم لا تعلم صحته من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى: «لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن»** أي: لكونه يتعاطى علم الغيب والقرآن ينهى عن ذلك.

❋ **الثانية**: «**التصريح بأنه كفر**» أي: إذا ادعى أنه يعلم به الغيب فهو كفر ينقل عن الملة وإذا لم يدع ذلك فهل هو كفر أو يتوقف فيه فلا يقال ينقل عن الملة ولا يقال لا ينقل عن الملة كما قاله في الشرح عن أحمد.

❋ **الثالثة**: «**ذكر من تكهن له**» أي: قبل قول الكاهن.

❋ **الرابعة**: «**ذكر من تطير له**» أي: قبل قول التطير.

❋ **الخامسة**: «**ذكر من سحر له**» أي: قبل قول الساحر.

❋ **السادسة**: «**ذكر من تعلم أبا جاد**» أي: المسمى علم الحرف والمراد تعلمه للاستدلال به على المغيبات كما يفعله الكهان أما تعلمه للتهجي وحساب الجمل فغير داخل في النهي كما ذكره في الشرح.

❋ **السابعة**: «**ذكر الفرق بين الكاهن والعرَّاف**» أي: أن الكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل والعرَّاف الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها وقيل إنهما بمعنى واحد.



٢٧ ـ باب ما جاء في النشرة

عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل عن النشرة فقال: «هي من عمل الشيطان» رواه أحمد بسند جيد. وأبو داود، وقال: سئل أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كله.

وفي «البخاري» عن قتادة: قلت لابن المسيب: رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته، أيحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم ينه عنه. أ.هـ.

وروى عن الحسن أنه قال: لا يحل السحر إلا ساحر.

قال ابن القيم: النشرة: حل السحر عن المسحور، وهي نوعان:

إحداهما: حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب، ويبطل عمله عن المسحور.

والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة، فهذا جائز.

***

(الشرح)

* **النشرة**: ضرب من العلاج والرقى، يعالج به من يظن أن به سحراً أو مسّاً من الجن، ومعنى النشرة: أن يحل ويكشف ويزال عنه، ما خامره من الداء.

* **قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: عن جابر أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل عن النشرة؟ فقال: «هي من عمل الشيطان»**، أي: النشرة المعهودة التي كان أهل الجاهلية يصنعونها، هي من عمل الشيطان أو بواسطته؛ لأنهم ينشرون عن المسحور بأسحار واستخدامات

شيطانية، فهذه حرام.

* **وقوله: رواه أحمد بسند جيد وأبو داود**، وحسنه الحافظ.

* **قوله: وقال: سئل أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كله**، أي: ابن مسعود يكره النشرة التي هي من عمل الشيطان، كما يكره تعليق التمائم مطلقاً، فدل هذا على أن أحمد يذهب إلى ما ذهب إليه ابن مسعود، من تحريم هذا كله لأن الكراهة عند المتقدمين من السلف تدل على التحريم.

* **قال** رَحِمَهُ اللَّهُ: **وللبخاري عن قتادة**، أي: روى البخاري في صحيحه معلقاً، عن قتاده هو ابن دعامة السدوسي البصري، ثقة فقيه من أحفظ التابعين، ولد سنة ٦١هـ، مات سنة ١١٧هـ.

* **قوله: قلت لابن المسيب: رجل به طب**، أي: سحر، فكنوا عن السحر بالطب تفاؤلاً، كما يقال للديغ: سليم.

* **قوله: أو يؤخذ عن امرأته**، أي: يحبس عن امرأته ولا يصل إلى جماعها، وهي رقية بسحر تحبس بها السواحر أزواجهن عن غيرهن من النساء.

* **قوله: أيحل عنه أو ينشر؟**، أي: نَشر عنه إذا رقاه، كأنك تُفرّق عنه العلة إذا نشّرته.

* **قوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: **قال: لا بأس به إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم ينه عنه. انتهى**، قول ابن المسيب هذا يحمل على نوع من النشرة لا محذور فيه، كالرقى

بأسماء الله وكلامه، لأنه لا يجوز أن يُفتى بجواز الذهاب إلى الساحر الكافر المأمور بقتله، ليحل السحر بسحر.

* قوله: وروي عن الحسن أنه قال: «لا يحل السحر إلا ساحر، أي: ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر، ولهذا لا يجوز حل السحر بسحر ويحرم الذهاب إلى الساحر.

*** قوله: قال ابن القيم: النشرة حل السحر عن المسحور، وهي نوعان:**

أحدهما: حَلٌّ بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب فيبطل عمله عن المسحور.

والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والدعوات والأدوية المباحة فهذا جائز.

* ومما جاء في النشرة المباحة ما رواه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ليث بن أبي سليم قال: بلغني أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن الله، تقرأ في إناء فيه ماء ثم يصب على رأس المسحور: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [سورة يونس: ٨١ ـ ٨٢]، وقوله: ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ الأربع الآيات سورة الأعراف، * وقوله: ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩].

* وكذلك ما جاء في النشرة المباحة ما قال الحافظ ابن حجر في الفتح: وذكر ابن بطال أن في كتاب وهب بن منبه إنه يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدقه بين حجرين، ثم يضربه بالماء، ويقرأ فيه آية الكرسي والقواقل، ثم يحسو منه ثلاث

حسوات، ثم يغتسل به يذهب عنه كل ما به، وهو جيد للرجل إذا حبس عن أهله، فالنوع الثاني الذي ذكر ابن القيم يشير إلى نحو هذا، وعليه يحمل قول من أجاز النشرة من العلماء، إحسان ظن بهم، أمّا ما كان بالسحر فيحرم.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى**: «**النهي عن النشرة**» أي: لحديث جابر قال: سئل النبي ﷺ عن النشرة فقال: «هي من عمل الشيطان».

* **الثانية**: «**الفرق بين المنهي عنه والمرخص فيه مما يزيل الإشكال**» أي: كما دل عليه كلام العلامة ابن القيم رحمه الله فالأول: ما كان بسحر، والثاني: ما كان بدعوات ورقى وأدوية مباحة.



٢٨ ـ باب ما جاء في التطير

وقول الله تعالى: ﴿أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ١٣١). وقوله: ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ (يس: ١٩).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن الرسول ﷺ قال: (لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر) أخرجاه. زاد مسلم: (ولا نوء، ولا غول).

ولهما عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل)، قالوا: وما الفأل؟ قال: (الكلمة الطيبة).

ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة[1] بن عامر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: «أحسنها الفأل، ولا ترد مسلماً فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولاحول ولاقوة إلا بك».

وله من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعاً: «الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا[2]، ولكن الله يذهبه بالتوكل» رواه أبو داود، والترمذي وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعود.

ولأحمد من حديث ابن عمرو: «من ردته الطيرة عن حاجة فقد أشرك»، قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال:«أن تقول: اللهم لاخير إلا خيرك، ولاطير إلا طيرك، ولا إله غيرك».

وله من حديث الفضل بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك».

***

(١) الصحيح: عُروة.

(٢) عند مسلم فقط.

(الشرح)

* والتطير التشاؤم بالشيء بما يقع من المرئيات أو المسموعات في قلوب أهل الشرك والعقائد الضعيفة، وأصل التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء والعطاس والنجوم وغير ذلك، فكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم، فنفاه الشرع وأبطله، وأخبر أنه لا تأثير له في جلب نفع أو دفع ضر، وإنما هو خواطر وحدوس لا تأثير لها، قال المدائني: «سألت رؤبة ابن العجاج ما السانح؟ قال: ما ولاك ميامنه، قلت: فما البارح؟ قال: ما ولاك مياسره، والذي يجيء من خلفك فهو القاعد والقعيد» أ..هـ.

ولم تكن العرب قاطبة تعتقد هذا وتقول به، بل قد جاء عن بعضهم إنكاره ومنه:

وما أنا ممن يزجر الطير همه

أطار غراب أم تعرض ثعلب

ولا السانحات البارحات عشية

أَمَرَّ سليم القرن أم مَرّ أعضب

وغير ذلك مما هو مشهور عنهم، وفي الصحيح عن النبي ﷺ لما سئل عن التطير قال: «**ذلك شيء يجده أحدكم فلا يصدنه**»، وقال: «**إذا تطيرت فلا ترجع**».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾، ردّاً لمقالة آل فرعون الكاذبة الباطلة، حيث قال الله تعالى عنهم: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ﴾ أي: الخصب والرخاء والسعة والعافية،: ﴿قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ أي: نحن الجديرون

والحقيقون به، ونحن أهله: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ بلاء وقحط: ﴿يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ فيقولون: هذا بسبب موسى وأصحابه أصابنا بشؤمهم كما يقول المتطير لمن يتطير به، فأخبر سبحانه أن طائرهم عنده، فقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾، أي: ليس شؤمهم إلا عند الله، أي: من قبله وحكمه الكوني القدري.

قال ابن عباس: (طائرهم: ما قضي عليهم وقدِّر لهم).

* وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يدرون، فإن موسى ماجاء إلا بالخير والبركة.

* وقوله تعالى: ﴿ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾، وهذه الآية أيضاً رد على من كذّب الرسل، فأصيبوا بالبلاء، فزعموا بزعمهم الباطل أن سبب البلاء جاء من قبل الرسل وبسببهم، فقالوا: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، فقالت لهم الرسل: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ أي: ما أصابكم بسبب أفعالكم وكفركم وذلك بقضاء الله وقدره وحكمته وعدله، ومناسبة الآيتين للترجمة أن التطير من عمل الجاهلية المشركين، وقد نهى رسول الله ﷺ عن التطير، وأخبر أنه شرك.

* **قوله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وعن أبي هريرة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **أن رسول الله** ﷺ **قال: «لا عدوى ولا طيرة»**، قوله: (لا عدوى) نفي للعدوى على الوجه الذي يعتقده أهل الجاهلية من إضافة الفعل إلى غير الله، وأن الأمور تتعدى بطبعها، وإلا فقد يجعل الله بمشيئته وتقديره مخالطة الصحيح من به شيء من الأمراض سبباً لحدوث ذلك، ولهذا قال: (فر من المجذوم)، والعدوى هي ما يتجاوز من واحد إلى آخر.

وكانوا في الجاهلية يظنون أن المرض بنفسه وطبعه يتعدى، فنفى ﷺ بقوله: (لا عدوى) فأخبر عليه الصلاة والسلام أن الله هو الذي يمرض وينزل الداء، مع ما أرشد إليه ﷺ بقوله: «**وفر من المجذوم كما تفر من الأسد**»، وقال: «لا يُورِد ممرض على مصح»، وقال في الطاعون: «من سمع به في أرض فلا يقدم عليه»، وهذا كما تقدم ذكر الجمع بين هذه الأحاديث وبين نفي العدوى.

* **وقوله: «لا عدوى ولا طيرة»**، يدل على أن المراد النفي والإبطال لهذه الأمور التي كانت الجاهلية تعانيها، والنفي في هذا أبلغ من النهي؛ لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره، والنهي إنما يدل على المنع منه، ولما قيل له عليه الصلاة والسلام: (ومنا أناس يتطيرون قال: «**ذلك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم**»)، ففي هذا أن تشاؤمه بالطير إنما هو في نفسه وعقيدته، لا في المتطير به، وفي المصباح: (كانت العرب إذا أرادت المضي لمهم مرت بمجامع الطير وأثارتها لتستفيد هل تمضي أو ترجع؟ فنهى الشارع عن ذلك، وقال: «**لا هامة ولا طيرة**»، وقال: «**أقروا الطير في وكناتها**» أي: على مجاثمها، وأما قوله عليه الصلاة والسلام: «**إن كان الشؤم في شيء ففي الدار والمرأة والفرس ونحوه**»، والمراد لمن يتشاءم بها وأما إخباره بالشؤم فليس فيه إثبات الطيرة التي نفاها الله، وإنما غايته أن الله سبحانه قد يخلق منها أعياناً مشؤومة على من قاربها وساكنها، وأعيانا مباركة لا يلحق من قاربها منها شؤم ولا شر، وكل ذلك بقضاء الله وقدره، كما خلق المسك وضده، فهذا لون والطيرة الشركية لون آخر، ومن توكل على الله ولم يتشاءم ولم يتطير لم تكن مشؤومة عليه لحديث أنس: «**الطيرة على من تطير**»).

* **قوله: ولا هامة ولا صَفَر، أخرجاه**، الهامة هي البومة، كانت العرب تعتقد فيها إذا وقعت على بيت ونحوه، وهذه من ضلال الجاهلية، وقد جاء في السُنَّة نفي ذلك.

* **قوله: (ولا صَفَر)** وهو أن العرب كانوا يتشاءمون في شهر صفر، ويقولون: إنه شهر مشؤوم، فأبطل ﷺ ذلك، والتشاؤم بشهر صفر من جنس الطيرة المنهي عنها، وقيل: صفر حية في البطن، وهي دود تصيب الماشية والناس، وكانت أعدى من الجرب عند العرب، ويجوز أن يكونا مرادين معاً، وأن الصفرين جميعاً باطلة.

* **قوله: زاد مسلم: «ولا نوء ولا غول»**، النوء واحد الأنواء يزعمون أنهم يمطرون به، والغول بالضم وهي جنس من الشياطين في الفلاة، تتراءى للناس وتتلون تلوناً في صور شتى، فتضلهم عن الطريق فتهلكهم، فنفاه النبي ﷺ وأبطله، و ليس المراد نفي وجود الغول، فالمراد نفي ما تزعمه العرب من تصرفه في نفسه أو أنها لا تستطيع أن تضل أحداً مع ذكر الله، لما روي بالحديث: «**إذا تغولت الغيلان، فبادروا بالأذان**»، أي: ادفعوا شرها بذكر الله، فدل أنه لم يرد بنفيها عدمها.

* **قوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: **ولهما عن أنس قال: قال رسول الله** ﷺ: «**لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل**»، الفأل مهموز فيما يسوء ويسر، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء، وإنما أعجبه الفأل لأنه حسن ظن بالله، والتشاؤم سوء ظن بالله، وكذا الطيرة فيها سوء ظن بالله، وتوقع للبلاء، ومثال التفاؤل أن يكون الرجل مريضاً فيسمع من يقول: يا سالم، فيقع في ظنه أنه يبرأ من مرضه ويجد ضالته، وتفرح نفسه من غير

اعتماد عليه، وإنما هو حسن ظن بالله، وإن أوجب مضياً أورداً صار من الطيرة.

ولما طلع سهيل بن عمرو عام الحديبية قال رسول الله ﷺ: «**سهل أمركم**»، فهذا من الفأل والتفاؤل.

❊ **قوله: قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة**، أي: إن الإعجاب بالفأل ومحبته ليس من الشرك، بل ذلك إبانة عن مقتضى الطبيعة، وموجب الفطرة الإنسانية التي تميل إلى ما يوافقها ويلائمها، فدل على أن الفأل والتفاؤل ليس من الطيرة المنهي عنها.

❊ **قوله: ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر**، صوابه عن عروة بن عامر، كما رواه أحمد وأبو داود وغيرهما، وهو مكي اختلف في صحبته، وقال المزي: (لا صحبة له تصح).

❊ **قوله: قال: (ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: أحسنها الفأل)**، أخبر أن الفأل من الطيرة، وهو خيرها، فأبطل الطيرة، ونهى عنها، وأخبر أن الفأل خير منها، بقوله أحسنها الفأل، ففصل بين الفأل والطيرة؛ لما بينهما من الامتياز والتضاد ونفع أحدهما ومضرة الآخر، لأن التفاؤل حسن الظن بالله، والتطير بخلاف ذلك.

❊ **قوله: ولا ترد مسلماً**، أي: لا ترد المسلم عن شيء قصده لإيمانه وتوكله على الله أنه لا نافع ولا ضار إلا الله، والمفهوم أنها ترد المشرك الذي يعتقدها.

❊ **قوله: فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا**

يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك، أي: أن هذا الدعاء استعانة به سبحانه على فعل التوكل وعدم الالتفات إلى الطيرة التي قد تكون سبباً لوقوع المكروه عقوبة لفاعلها، ومعاملة له بنقيض قصده، وهذا الدعاء إنما يصدر عن حقيقة التوكل الذي هو أقوى الأسباب في جلب الخيرات ودفع المكروهات.

* **وقوله** رحمه الله: **وعن ابن مسعود مرفوعاً: «الطيرة شرك الطيرة شرك»**، هذا الحديث رواه أبو دواد وهذا صريح في تحريم الطيرة، وأنها من الشرك؛ لما فيها من تعلق القلب على غير الله، ولو لم يكن فيها إلا سوء الظن بالله، وإنما كانت من الشرك؛ لاعتقادهم أن الطيرة تجلب لهم نفعا أو تدفع عنهم ضرّاً.

* **قوله: وما منا إلا**..، أي: وما منا أحد إلا ويعتريه ويخطر له ويقع في قلبه شيء من الطيرة، فحذف اعتمادا على فهم السامع.

* **قوله: ولكن الله يذهبه بالتوكل، رواه أبو داود والترمذي وصححه**، أي: بتوكلنا عليه، واعتمادنا عليه وعدم الالتفات إلى ذلك، وروى الطبراني وغيره من حديث حارثة: «**ثلاث لازمة أمتي: الطيرة والحسد وسوء الظن**»، قيل: وما يذهبهن؟ قال: «**إذا حسدت فاستغفر الله، وإذا ظننت فلا تحقق، وإذا تطيرت فامض**». وهذا الحديث يدل على أن الواقع في القلوب مع كراهته لا يضر، بل يذهبه الله بالتوكل.

* **قوله: وجعل آخره من قول ابن مسعود**، أي: قوله: وما منا إلا إلى آخره ولكن الله يذهبه بالتوكل، نقله الترمذي عن سليمان بن حرب، ووافقه على ذلك

أهل العلم وهو المتعين أي: أنه من قول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فإنه ﷺ معصوم من الشرك بالإجماع.

* **قوله: ولأحمد من حديث ابن عمرو**، هو عبدالله بن عمرو بن العاص، كان اسمه العاص فسماه النبي ﷺ عبدالله، اختلف في وفاته وموضعها، فقيل: مات بالطائف ليالي الحرّة سنة ٦٣هـ، وقيل غير ذلك.

* **قوله: من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك**، أي: لكونه لم يخلص توكله على الله بالتفاته إلى ما سواه.

* **قوله: قالوا: وما كفارة ذلك يا رسول الله؟ قال: أن يقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك**، أي: أن العبد إذا قال ذلك وأعرض عما وقع في قلبه، ولم يلتفت إليه كفر الله عنه ما وقع في قلبه ابتداء، لزواله من قلبه بهذا الدعاء المتضمن للاعتماد على الله وحده، والإعراض عما سواه، ففيه أن الطيرة لا تضر من كرهها، ومضى في طريقه، وأما من استرسل مع الشيطان في ذلك فقد يعاقب بالوقوع فيما يكره.

* **قوله: وله من حديث الفضل ابن عباس**، أي: روى أحمد من حديث الفضل ابن عباس بن عبدالمطلب ابن عم رسول الله ﷺ، كان أكبر أولاد العباس، وبه يكنى، مات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة ١٣هـ، وله ٢٢ سنة.

* **قوله: (إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك)**، هذا حد الطيرة المنهي عنها وهو ما يمنع العبد من المضي في حاجته، فمن مضى أو امتنع بسببها فقد أشرك، وما لا فلا.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* الأولى: التنبيه على قوله: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ **مع قوله:** ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾ «أي ما أصابهم من شؤم فهو بقدر الله بسبب ذنوبهم، وقوله: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾ أي: حظكم وما نابكم من شر معكم بذنوبكم، ذكره في الشرح.

* **الثانية:** «**نفي العدوى**» أي: انتقال المرض من بدن إلى آخر بطبعه بدون قدر الله.

* **الثالثة:** «**نفي الطيرة**» أي: أنها لا تنفع ولا تضر وهي التشاؤم بالطيور وأصواتها وممارها.

* **الرابعة:** «**نفي الهامة**» أي: أنها لا تنفع ولا تضر والمراد بها البومة.

* **الخامسة:** «**نفي الصفر**» أي: أنه لا ينفع ولا يضر والمراد شهر صفر وقيل غيره.

* **السادسة:** «**أن الفأل ليس من ذلك بل مستحب**» أي: ليس من الطيرة المذمومة.

* **السابعة:** «**تفسير الفأل**» أي: هو الكلمة الطيبة أي: كمن له ضائع فيسمع من يقول: «يا واجد» فيتفاءل بذلك.

* **الثامنة: «أن الواقع في القلوب من ذلك مع كراهته لا يضر بل يذهبه الله بالتوكل**» أي: لقوله: «وما منا إلا» أي: وما منا إلا ويقع في قلبه شيء من ذلك ولكن الله يذهبه بالتوكل فإذا وقع في قلبه شيء من ذلك فمضى ولم يلتفت إليه لم يضره ذلك.

❊ **التاسعة**: «**ذكر ما يقول من وجده**» أي: من وجد شيئاً من الطيرة فليقل: «اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك».

❊ **العاشرة**: «**التصريح بأن الطيرة شرك**» أي: لما يقع في القلب من اعتقاد النفع والضر بسببها.

❊ **الحادية عشرة**: «**تفسير الطيرة المذمومة**» أي: هي ما أمضى العبد أو رده أي: حمله على المضي بعدما عزم على عدمه أو رده عنه بعدما عزم عليه.



٢٩ ـ باب ما جاء في التنجيم

قال البخاري في «صحيحه»: قال قتادة: خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء ورجوماً للشياطين، وعلامات يُهتدى بها. فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلَّف ما لا علم له به.. انتهى.

وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه، «ذكره حرب عنهما»، ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق.

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر» .. (رواه أحمد وابن حبان في صحيحه).

***

(الشرح)

* وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، كالمطر والربيع والمحل وغير ذلك. وعلم النجوم.

المنهي عنه هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي لم تقع وستقع، **وعلم التنجيم على ثلاثة أقسام:**

أحدها: القول بأن الكواكب فاعلة مختارة، وأن الحوادث مركبة على تأثيرها، فهذا كفر بالإجماع.

الثاني: الاستدلال على الحوادث بمسير الكواكب واجتماعها وافتراقها، فلا

شك في تحريمه، وتقدم أنه من الشرك، وإن قالوا: إن ذلك بتقدير الله ومشيئته، فإن ذلك من علم الغيب الذي استأثر الله به.

والثالث: ما ذكره المصنف في تعلم المنازل للتسيير لا التأثير، كما في قوله تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ وهذا النوع جائز.

* **قوله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **قال البخاري في صحيحه: قال قتادة: «خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء**، أي: كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ أي: زينا السماء الدنيا التي هي أدنى سماء إليكم من غيرها بمصابيح، ومن هذه المصابيح الكواكب والنجوم.

* **قوله: ورجوماً للشياطين**، أي: الثاني من الحكمة في خلق النجوم أن الله جعلها يرمى بها الشياطين، ومسترق السمع، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ﴾.

* **قوله: وعلامات يهتدي بها**، أي: أن الله خلق هذه النجوم أيضاً يستدل بها على الجهات والبلدان، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾.

* **قوله: فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه**، أي: فمن ادّعى بها علم الغيب، بأن زعم أن فيها سعداً ونحساً ونحو ذلك، فقد أخطأ، وأضاع نصيبه أي: حظه من الدين ومن كل خير.

* **قوله: وتكلف ما لا علم له به. انتهى**، أي: أشغل نفسه بما يضره ولا ينفعه، وليس مأموراً به، وهذا الأثر أخرجه البخاري في صحيحه تعليقاً، وقول قتادة

رَحِمَهُ اللَّهُ يدل على أن علم التنجيم هذا قد حدث في عصره، فأنكر على من اعتقده وتعلق به، وهذا العلم مما ينافي التوحيد ويوقع في الشرك؛ لأنه ينسب الحوادث إلى غير من أحدثها وهو الله تعالى بمشيئته وإرادته، كما قال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾.

* **وقوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: **وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه،** تعلم منازل الشمس والقمر للاستدلال بذلك على القبلة وأوقات الصلوات، لا بأس به لكنهم كرهوه لئلا يتوصل إلى الممنوع من علم النجوم.

* **قوله: ذكره حرب عنهما،** أي: عن قتادة وابن عيينة، وحرب هو ابن إسماعيل بن خلف أبو محمد الكرماني الفقيه، من جلة أصحاب أحمد، وله كتاب المسائل التي سأل عنها أحمد وغيره، مات سنة ٢٨٠هـ.

* **قوله: ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق،** أي: رخّصَا في تعلم ذلك، لأن فيه مصلحة ومنفعة دينية، كعلم الأوقات والطرقات، ودنيوية كقطع الأشجار وجذ الثمار، وروى ابن المنذر عن مجاهد أنه كان لا يرى بأسا أن يتعلم الرجل من النجوم ما يهتدي به. قال ابن رجب: والمأذون في تعلمه علم التسيير لا علم التأثير، فإنه باطل محرم قليله وكثيره.

* **قوله: وعن أبي موسى** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يعني الأشعري واسمه عبدالله بن قيس، صحابي جليل، قدم المدينة مع جعفر، واستعمله النبي ﷺ على بعض اليمن، وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ استعمله على البصرة، ثم عثمان على الكوفة، مات بمكة سنة ٥٠هـ، وقيل غير ذلك.

* **قوله: قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يدخلون الجنة،** هذا من أحاديث الوعيد نقرها ونمرها كما جاءت، ولا نتأولها تأويلات تخرجها عن مقصود رسول الله ﷺ، وهذا أبلغ في الزجر، وأردع عن الجرائم، ولا شك أن كل عمل دون الشرك والكفر المخرج من الملة فهو تحت مشيئة الله.

* **قوله: مدمن الخمر،** أي: المداوم على شربها حتى مات ولم يتب.

* **قوله: وقاطع الرحم،** أي: القرابة بكونه لا يقوم بواجبها، كما قال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴾.

* **قوله: ومصدق بالسحر،** وهذا وجه مطابقة الحديث للترجمة، وليس المراد أن يعتقد أنه حق، لكن إذا صدق ساحرا بما يخبر به ففيه الوعيد المتقدم، وكل هذه الثلاثة المذكورة في الحديث من الكبائر.

* **قوله: رواه أحمد وابن حبان في صحيحه،** وكذلك رواه الطبراني والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي.

❖ فيه مسائل وإيضاحها:

* **الأولى: «الحكمة في خلق النجوم»** أي: زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها.

* **الثانية: «الرد على من زعم غير ذلك»** أي: أنه أخطأ وأضاع نصيبه وكلف ما

لا علم له به لأنه ادعى شيئاً لم يدل عليه الدليل بل قد نفاه.

* **الثالثة**: «**ذكر الخلاف في تعلم المنازل**» أي: بعضهم منع منه وبعضهم رخص فيه. قال ابن رجب: «الممنوع منه علم التأثير والمأذون فيه علم التسيير» كما بسطه في الشرح.

* **الرابعة**: «**الوعيد فيمن صدق بشيء من السحر ولو عرف أنه باطل**» أي: لقوله: «ومصدق بالسحر» وهذا هو الشاهد من الحديث لأن علم النجوم نوع من السحر كما تقدم.



٣٠ - باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

وقول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ (الواقعة: ٨٢).

عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «أربعة في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركوهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة» وقال: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب» (رواه مسلم).

ولهما عن زيد بن خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: (هل تدرون ماذا قال ربكم؟)، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: (قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب). ولهما من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بمعناه وفيه قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا، فأنزل الله هذه الآيات: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ (الواقعة: ٧٥).. **إلى قوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾** (الواقعة: ٨٢).

***

(الشرح)

* أي: من نسبة السقيا ومجيء المطر إلى الأنواء، والنوء هو الطالع سمي نوءاً؛ لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء مقابله الطالع بالمشرق، وقيل: ناء سقط

وغاب، ولا تخالف بين القولين، وكانت العرب في الجاهلية تزعم أن سقوط المنزلة وطلوع رقيبها يكون مطر وينسبونه إلى النجم الساقط، ويقولون: مطرنا بنوء كذا، والمصنف رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر في هذا الباب ما جاء من النهي عن ذلك والوعيد الشديد، والتغليظ الأكيد.

* **قوله: وقول الله تعالى:** ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾، روى أحمد والترمذي عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ يقول: شكركم: ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ تقولون: مُطرنا بنوء كذا وكذا.

* **قوله: وعن أبي مالك الأشعري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هو الحارث بن الحارث الشامي صحابي، يكنى أبا طالب وليس بأبي مالك الأشعري، متقدم الوفاة.

* **قوله: أن رسول الله ﷺ قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن:** أي: أخبر أن بعض أمر الجاهلية لا يتركه الناس كلهم، ذما لمن لم يتركه، وهذا يقتضي أن ما كان من أمر الجاهلية وفعلهم فهو مذموم في دين الإسلام، إلا ما دل الدليل على حسنه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ وهذا يقتضي المنع من مشابهتهم في الجملة.

* **قوله: الفخر بالأحساب،** أي: التشرف بالآباء والتعاظم بعدّ مناقبهم ومآثرهم وفضائلهم، وذلك من الجهل؛ إذ لا شرف إلا بالتقوى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ﴾، وفي الحديث الذي رواه أبو داود: «**إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء، إنما هو**

مؤمن تقي، أو فاجر شقي، الناس بنو آدم وآدم من تراب»، ولا ريب أن فخر الإنسان بعمله منهي عنه، فكيف الافتخار بعمل غيره.

* **قوله: والطعن في الأنساب،** أي: التنقص والعيب، قدحاً لا لبيان المطلوب شرعاً، ولما عيَّر أبو ذر رجلاً بأمه قال الرسول ﷺ: «**إنك امرؤ فيك جاهلية**» [متفق عليه]، الطعن في الأنساب من عمل الجاهلية المذموم، وقد يكون في المسلم شيء من هذه الخصال الجاهلية، وهي العملية لا الاعتقادية.

* **قوله: والاستسقاء بالنجوم،** أي: نسبة مجيء المطر إلى النجوم، كقوله مطرنا بنوء كذا أو بنجم كذا، فإن اعتقد أن النجم له تأثير في إنزال المطر فهذا شرك أكبر، وهو الذي يعتقده أهل الجاهلية، وإن نسب إنزال المطر إلى النجم، مع اعتقاد أن الله هو الفاعل، فهذا محرم لأنه من أمر الجاهلية، خلاف ما لو قال: مطرنا في نوء كذا، يعني في شهر كذا وزمن كذا، إخبار بوقت نزول المطر فهذا لا بأس به.

* **قوله: والنياحة،** وهي رفع الصوت بالندب على الميت، لأن ذلك ينافي الصبر الواجب، وهي من الكبائر لشدة الوعيد والعقوبة، وأما البكاء من غير نياحة ولا ندب وشق جيب، فلا بأس به لأنه رحمة بالميت، فيستحب ولا ينافي الرضى بقضاء الله.

* **قوله: وقال: (النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة)،** أي: توقف يوم الحساب والجزاء.

* **قوله: وعليها سربال من قطران،** قال ابن عباس: (القطران هو النحاس المذاب) أ..هـ، السرابيل: هي الثياب والقمص، ومعنى ذلك أن الثياب يلطخن

بالقطران، ليكون أشد لحر النار والتصاقها بأجسادهن أعظم، اعاذنا الله منها.

* **قوله: ودرع من جرب، رواه مسلم،** الدرع ثوب ينسج من حديد يلبس بالحرب، والجرب داء يحدث تحت الجلد، رواه مسلم أي: الحديث في صحيح مسلم.

* **قوله: ولهما عن زيد بن خالد الجهني،** لهما أي: البخاري ومسلم، أي: المدني صحابي مشهور شهد الحديبية، وكان معه لواء جهينة يوم الفتح، مات سنة ٦٨هـ، وله ٨٥ سنة، وقيل غير ذلك.

* **قوله: قال: «صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية،** صلى لنا أي: صلى بنا، والحديبية قرية على مرحلة من مكة، كان بها الصلح سنة ٦ من الهجرة.

* **قوله: على إثر سماء كانت من الليل،** أي: مطر كان في تلك الليلة، صلى بهم عقب ذلك.

* **قوله: فلما انصرف أقبل على الناس،** أي: لما التفت إليهم من صلاته، وأقبل على المأمومين.

* **قوله: قال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟،** لفظ استفهام، ومعناه التنبيه، وهذا من الأحاديث القدسية.

* **قوله: قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب،** أي: أن من نسب إنزال المطر إلى الله، واعتقد أنه أنزله بفضله ورحمته فذلك مؤمن بالله

كافر بالكواكب وذلك أنه لا يجوز لأحد أن يضيف أفعال الله إلى غيره، والفضل والرحمة صفتان لله، على ما يليق بجلاله وعظمته.

* **قوله: وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب،** أي: من أضاف إنزال المطر إلى النوء واعتقد ذلك منه، فذلك كفر، لأنه شرك بالربوبية، وإن لم يعتقد أن للنوء تأثيراً بإنزال المطر، ولكنه نسبه إليه فهو من الشرك الأصغر، لأنه نسب نعمة الله إلى غيره، ولأن الله لم يجعل النوء سبباً لإنزال المطر فيه، ففيه التفطن للإيمان في هذا الموضع وإخلاص ذلك لله.

* **قوله** رَحِمَهُ اللهُ: **ولهما من حديث ابن عباس معناه، وفيه: «قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا، فأنزل الله هذه الآية،** ولفظه عن ابن عباس قال: مطر الناس على عهد رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ: «**أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر**»، قالوا هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا، قال: فنزلت هذه الآية ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ إلى قوله: ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ .

* **قوله:** ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ إلى قوله: ﴿تُكَذِّبُونَ﴾، أي: هذا قسم من الله سبحانه، يقسم بما شاء من خلقه، وقوله النجوم الأكثرون على أن المراد نجوم السماء، وقال ابن عباس: يعني نجوم القرآن، أي: وإن هذا القسم الذي أقسمت به لقسم عظيم، لو تعلمون عظمته لعظَّمتم المقسم به، ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ أي: إنه وحي الله وتنزيله وكلامه، لا كما يقوله الكفار: إنه سحر أو كهانة أو شعر، قوله: ﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ معظم محفوظ موقر، وقيل: هو اللوح المحفوظ، وصحح

ابن القيم أنه الكتاب الذي بأيدي الملائكة، كما في قوله تعالى: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾، قوله: ﴿لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ يعني: الملائكة، وقال جماعة: ﴿لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ من الجنابة والحدث، وقيل: أي: الملائكة والمراد بالقرآن هو المصحف؛ وفي حديث عمرو ابن حزم: «أن لا يمس القرآن إلا طاهر» [رواه مالك]، وقوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لأن هذا القرآن منزل من رب العالمين: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾، وقوله: ﴿أَفَبِهَٰذَا الْحَدِيثِ﴾، الذي ذكرت نعوته: ﴿أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ أي: متهاونون به.

وعن ابن عباس وغيره مكذبون، وقوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ أي: شكركم هو التكذيب، وأكثر الروايات أنها نزلت بالقائلين بنوء كذا وكذا.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى: «تفسير آية الواقعة»** أي: قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ أي: تجعلون شكركم على هذه النعمة أنكم تكذبون تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا.

* **الثانية: «ذكر الأربع التي من أمر الجاهلية»** أي: الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالأنواء والنياحة على الميت.

* **الثالثة: «ذكر الكفر في بعضها»** أي: مثل الاستسقاء بالأنواء.

* **الرابعة: «أن من الكفر ما لا يخرج من الملة»** أي: مثل الطعن في النسب والنياحة.

* **الخامسة: قوله: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر»** بسبب نزول النعمة» أي: لما نزلت النعمة، منهم من آمن لما أضافها إلى فضل الله ورحمته ومنهم من كفر لما أضافها إلى النوء.

* **السادسة: «التفطن للإيمان في هذا الموضع»** أي: هو إضافة النعمة إلى الله والاعتراف بذلك.

* **السابعة: «التفطن للكفر في هذا الموضع»** أي: هو إضافة النعمة إلى غير الله لكونه إنكارا لها وإشراكا في الربوبية.

* **الثامنة: التفطن لقوله: «لقد صدق نوء كذا وكذا»** أي: لما نزل المطر قال بعضهم ذلك فأضاف المطر إليه فنزلت: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ﴾ الآية.

* **التاسعة: «إخراج العالم للمتعلم المسألة بالاستفهام عنها لقوله: «أتدرون ماذا قال ربكم»** أي: ليكون أوقع في النفس وأعظم تنبيها لها.

* **العاشرة: «وعيد النائحة»** أي: لقوله: «إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب» والنياحة رفع الصوت بالبكاء على الميت.



٣١ ـ باب قول الله تعالى

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ الآية.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ الآية.. وقوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ ..الآية.

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين).. (أخرجاه).

ولهما عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله رسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار)، وفي رواية: (لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى ...) إلى آخره.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك. وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً.. (رواه بن جرير)، وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وتقطعت بهم الأسباب﴾ ، قال: المودة.

***

(الشرح)

* ترجم المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ بهذه الآية وذلك أن المحبة تنقسم إلى **قسمين**:

القسم الأول: محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع وكمال الطاعة، وإيثاره على غيره، فهذه من خصائص الله ولا يجوز صرفها لغير الله تعالى، ومن صرفها لغيره فقد أشرك مع الله غيره، ولذا ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الباب في كتاب التوحيد، لأنه من اتخذ ندّاً يسوى محبته بمحبة الله تعالى، فقد أشرك الشرك الأكبر، كما ذكر الله تعالى ذلك عن المشركين بقوله: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾.

القسم الثاني: المحبة المشتركة التي ليست من خصائص الله، **وهي ثلاثة أنواع**:

١ ـ طبيعية كمحبة الجائع للطعام، ومحبة إجلال وإعظام،

٢ ـ ومحبة إشفاق كمحبة الولد لوالده والوالد لولده،

٣ ـ ومحبة أنس وإلف كمحبة الشريك، فهذه الثلاثة لا يؤاخذ بها العبد، ولا يكون وجودها شركاً في محبة الله.

* **وقول الله تعالى**: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ ﴾ **إلى قوله**: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ **الآية**، هذه الآية فيها توعد لمن آثر هذه الأصناف و بعضها على حب الله ورسوله، وفعل ما أوجب الله عليه من الأعمال التي يحبها ويرضاها،

كالهجرة والجهاد ونحو ذلك، والمراد بالحب هنا الحب الاختياري، لا ميل الطبع؛ فإنه أمر جبلي لا يمكن تركه، ولا يؤاخذ العبد عليه، ولا يكلف بالامتناع عنه.

* **قوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: **عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»**، أخرجاه، قوله: (لا يؤمن) أي: لا يحصل له كمال الإيمان الواجب، حتى يكون الرسول ﷺ أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين، ومحبته تقتضي طاعته واتباع ما أمر به وتقديم قوله على ما سواه.

* **قوله: ولهما عنه**: أي: وللبخاري ومسلم عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* **قوله: قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان»**، أي: ثلاث خصال من وجدن فيه تامة وجَدَ حلاوة الإيمان، وهي حلاوة يجدها أهل الإيمان في قلوبهم، أعلى من حلاوة المطعوم الحلو في الفم، فيستلذ الطاعات ويتحمل المشقات في رضى الله.

* **قوله: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**، أي: أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين، وتثنيه الضمير هنا والله اعلم لتلازم المحبتين، فلا تصح واحدة بدون الأخرى.

* **قوله: وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله**، أي: لأن من لازم محبة الله محبةُ أهلِ طاعته، كمحبة أنبيائه ورسله والصالحين من عباده، وحقيقة الحب في الله أن لا ينقص بالجفاء ولا يزيد بالبر، لأنه يحبه لأجل طاعة الله، وطاعة رسوله.

* **قوله: وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار**، وفي رواية: «**لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى...**» إلى آخره، ومعنى ذلك أن كراهة عوده في الكفر بعد أن من الله عليه بالإسلام، ككراهة أن يقذف في النار، لما في قلبه من محبة الإسلام وقوة الإيمان، وبهذا تعلم أن حلاوة الإيمان تحصل بهذه الأمور الثلاثة: تكميل هذه المحبة، وتفريغها ودفع ضدها، فتكميلها أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما؛ وتفريغها أن يحب المرء لا يحبه إلا لله، ودفع ضدها أن يكره ضد الإيمان كما يكره أن يقذف في النار.

* **قوله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وعن ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **قال: «من أحب في الله وأبغض في الله»**، أي: أحب أهل الإيمان بالله وطاعته، (وأبغض في الله) أي: أبغض من كفر بالله وأشرك به وعصاه، لارتكابه ما يسخط الله.

* **قوله: ووالى في الله وعادى في الله**، أي: والى بالمحبة والنصرة بحسب القدرة، وعادى من كفر بالله أشرك.

* **قوله: فإنما تنال ولاية الله بذلك**، أي: توليه لعبده، ولأن هذه المراتب الأربع هي ثمرة الإيمان ودعائم الملة.

* **قوله: ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك**، أي: لا يحصل له ذوق الإيمان ولذته وسروره والفرح به، وإن كثرت عبادته، حتى يحب في الله ويبغض في الله، ويعادي في الله ويوالي في الله.

* **قوله: وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا**، أي: أكثر الناس الحب للدنيا والمؤاخاة لأجلها.

* قوله: وذلك لا يجدي على أهله شيئاً، أي: لا ينفعهم بل يضرهم، كما قال تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ .

* قوله: رواه ابن جرير، وأخرج ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم الجملة الأولى منه فقط.

*** قوله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وقال ابن عباس في قوله:** ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴾ **قال: المودة،** أي: الوصل التي كانت بينهم في الدنيا، يتواصلون بها ويتحابون بها، تقطعت بهم، وخانتهم أحوج ما كانوا إليها، وصارت عداوةً يوم القيامة، وتبرأ بعضهم من بعض، ولعن بعضهم بعضاً، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ ﴾ .. الآية.

❖ فيه مسائل وإيضاحها:

* **الأولى:** «**تفسير آية البقرة**» أي: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ أمثالاً ونظراء يحبونهم كحب الله محبة تعظيم وخضوع.

* **الثانية:** «**تفسير آية براءة**» أي: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ ﴾ انتظروا ما يحل بكم من عقابه.

* **الثالثة:** «**وجوب محبته** ﷺ **على النفس والأهل والمال**» أي: لقوله: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**».

* **الرابعة:** «**نفي الإيمان لا يدل على الخروج من الإيمان**» أي: إن قوله: «**لا يؤمن أحدكم**» لا يدل على أنه كافر ولكن يؤخذ منه أنه قد ترك واجبا عليه وتعرض

للوعيد بحسبه.

* الخامسة: «**أن للإيمان حلاوة قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها**» أي: لقوله في الحديث: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان**».

* السادسة: «**أعمال القلب الأربع التي لا تنال ولاية الله إلا بها ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا بها**» أي: الحب في الله والبغض في الله والموالاة في الله والمعاداة في الله.

* **الثامنة: تفسير**: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ أي: «المودة والوصل التي كانت بينهم في الدنيا لغير الله خانتهم أحوج ما كانوا إليها».

* **التاسعة**: «**أن من المشركين من يحب الله حباً شديداً**» أي: لقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ أي: من حب أصحاب الأنداد لله على أحد الأقوال أو لقوله: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ فيكون قد أثبت لهم محبة الله ولكنها مشوبة بالشرك.

* **العاشرة**: «**الوعيد على من كان الثمانية أحب إليه من دينه**» أي: لقوله: ﴿فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ .

* **الحادية عشرة**: «**أن من اتخذ ندا تساوي محبته محبة الله فهو الشرك الأكبر**» أي: لقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ مما هو دال على أنه كفر ولأن هذه المحبة عبادة لا تصلح إلا لله فإذا صرفت إلى غيره صارت شركاً أكبر.



٣٢ ـ باب قول الله تعالى:

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ﴾ (التوبة: ١٨)، وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ﴾ (العنكبوت: ١٠).

عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً: (إن من ضعف اليقين: أن ترضى الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على مالم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره).

وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من التمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس) (رواه ابن حبان في صحيحه).

***

(الشرح)

* في هذه الترجمة التنبيه على وجوب إخلاص الخوف لله، لأن الخوف من الله أجل مقامات الدين وأشرفها وأفضلها، وأجمع أنواع العبادة التي يجب إخلاصها لله تعالى، كما قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾، وقال: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾، وكلما قوي إيمان العبد زال خوف أولياء الشيطان من قلبه، وكلما ضعف إيمانه قوي

خوفه منهم، **والخوف على أربعة أقسام:**

* **الأول: خوف السر**، وهو أن يخاف من غير الله من وثن أو طاغوت أو غير ذلك أن يصيبه بما يكره، كما هو الواقع من عباد القبور ونحوها، يخافونها ويخوفون بها أهل التوحيد، وهذا الخوف من الشرك الأكبر المنافي للتوحيد.

* **الثاني: خوف محرّم وهو أن يترك ما يجب عليه من جهاد وأمر بمعروف ونهي عن منكر لغير عذر خوفاً من بعض الناس**، ومن العذر أن يناله ضرر في بدنه أو ماله فهذا محرم، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾.

* **الثالث: الخوف الطبيعي، وهو الخوف من عدو أو سبع أو غير ذلك، فهذا** لا يذم، كقوله: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾.

* **الرابع: الخوف من الله، ووعيده الذي توعد به العصاة**، كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾، وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾.

* وقوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ ونحو ذلك، وهذا من أفضل الأعمال القلبية، لأنه أعلى مراتب الإيمان.

* **قوله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وقوله:** ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾، الشاهد من قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾، أي: أخلصوا لله الخشية، أي: المخافة والهيبة التي ينبني عليها أساس العبادة، والتي هي مخ عبودية القلب، ولا تصلح إلا لله وحده.

* **قوله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **وقوله:** ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ الآية، والشاهد من الآية أن الخوف من الناس بتخويفهم بأن ينالوه بما يكره بسبب إيمانه بالله من جملة الخوف المنهي عنه.

* **قوله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وعن أبي سعيد مرفوعاً: «إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله**، والمعنى أن من استجلب رضى المخلوقين، بسخط الله، وآثر رضاهم على رضى الله، وبهذا الاعتبار يدخل في نوع من الشرك لأنه آثر رضى المخلوق على رضى الخالق، ومن قوي إيمانه آثر رضى الخالق على رضي المخلوق.

* **قوله: وأن تحمدهم على رزق الله**، أي: شكرهم على ما وصل إليك تحمدهم عليه، وتنسى الله عَزَّوَجَلَّ فإن المتفضل في الحقيقة هو الله الذي إذا أراد أمراً قيض له أسباباً، ولا ينافي هذا الحديث: «**من لا يشكر الناس لا يشكر الله**»؛ لأن شكرهم إنما هو بالدعاء لهم، لكون الله ساقه على أيديهم، فتدعو لهم أو تكافئهم لحديث: «**من صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه**».

* **قوله: وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله**، أي: تذمهم على ما لم يقدر لك على أيديهم، فإنه لو قدر لك يحصل لك ذلك، ولو كرهوا.

* **قوله: إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره، كما في قوله تعالى:** ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾، والله سبحانه هو المتفرد بالعطاء والمنع، والله سبحانه هو الذي يرزق بسبب وبلا سبب ومن حيث لا يحتسب، فالعبد يفوض أمره إلى الله، ويعتمد عليه

في أمر دينه ودنياه، ويسلم قلبه إليه.

* **قوله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وعن عائشة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا **أن رسول الله** ﷺ **قال: «من التمس رضى الله بسخط الناس، رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس». رواه ابن حبان في صحيحه،** وكذلك رواه أبو نعيم في الحلية والبيهقي، وأعله بمحمد بن مروان السدي، وقال: ضعيف، وفيه أيضاً عطية العوفي ذكره الذهبي في الضعفاء والمتروكين.

* وروى الترمذي أن رجلاً من أهل المدينة، قال: كتب معاوية إلى عائشة أن اكتبي لي كتاباً، توصيني فيه ولا تكثري عليَّ، فكتبت إليه: سلام عليك أما بعد: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من التمس رضى الله بسخط الناس، كفاه الله مؤونة الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله، لم يغنوا عنه من الله شيئاً**» هذا لفظ مرفوع ففي هذا الحديث بيان عقوبة من خاف الناس وأثر رضاهم على رضى الله.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى: «تفسير آية آل عمران»** أي: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾، والمعنى يخوفكم بأوليائه.

* **الثانية: «تفسير آية براءة»** أي: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ الآية. والشاهد قوله: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ فأثنى على من أفرده بالخشية فدل على أنها عبادة.

* **الثالثة**: «**تفسير آية العنكبوت**» أي: قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ ففيها ذم لمن ترك الواجب عليه خوفاً من فتنة المخلوق.

* **الرابعة**: «**أن اليقين يضعف ويقوى**» أي: لقوله: «إن من ضعف اليقين» إلخ، فمنطوقه يدل على ضعفه ومفهومه يدل على قوته.

* **الخامسة**: «**علامة ضعفه ومن ذلك هذه الثلاث**» أي: أن ترضي الناس بسخط الله وتحمدهم على رزق الله وتذمهم على ما لم يؤتك الله.

* **السادسة**: «**أن إخلاص الخوف لله من الفرائض**» أي: لقوله: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ فجعله شرطاً في الإيمان فدل على انتفاء الإيمان عند انتفائه لأن المشروط ينتفي عند انتفاء شرطه.

* **السابعة**: «**ذكر ثواب من فعله**» أي: هو حصول إيمان فاعله ولكونه سبباً لرضى الله عن صاحبه.

* **الثامنة**: «**ذكر عقاب من تركه**» أي: هو انتفاء الإيمان عنه وسخط الله عليه كما في حديث عائشة.



٣٣ ـ باب قول الله تعالى:
﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾

﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (المائدة: ٢٣)، وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (الأنفال: ٢)، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: ٦٤)، وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق: ٣).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (حسبنا الله ونعم الوكيل) قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل عمران: ١٧٣) (رواه البخاري والنسائي).

***

(الشرح)

* التوكل من عمل القلب، بخلاف التوكيل فهو من عمل الجوارح، ولذا فإن التوكل من أجمع أنواع العبادة، وأعلى مقامات التوحيد، وأعظمها وأجلها؛ لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة، فالتوكل فريضة يجب إخلاصها لله.

* **وقوله:** ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾، أي: وعلى الله فتوكلوا لا على غيره، وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾، أي: كما في قوله: ﴿إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾ فدل على انتفاء الإيمان والإسلام بانتفائه.

* **قوله** رحمه الله: **وقوله تعالى:** ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾،

قال ابن عباس رضي الله عنهما: المنافقون لا يدخل في قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه، ولا يؤمنون بشيء من آياته، ولا يتوكلون على الله، ولا يصلون إذا غابوا، ولا يؤدون زكاة أموالهم، ولذا فإن المؤمنين ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: خافت، وقوله: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ دلت على زيادة الإيمان ونقصانه، ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي: لا يرجون غيره بل يعتمدون عليه، ويفوضون أمورهم إليه.

* **قوله** رحمه الله: **وقوله:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: أن الله وحده كافيك وكافي أتباعك، فلا تحتاجون معه إلى أحد، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، فالرغبة والتوكل والحسب ونحو ذلك لله وحده، والشاهد من الآية أن الله جل وعلا لما كان هو الكافي لعبده وحده، وجب أن لا يتوكل إلا عليه.

* **قوله** رحمه الله: **وقوله:** ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾، أي: كافيه، وإذا كان الله سبحانه كافياً عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه فلا مطمع لأحد فيه، وفي هذا دليل على فضل التوكل وأنه أعظم الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار، والتنبيه بالقيام بالأسباب مع التوكل، فلذا لا يجعل العبد توكله عجزاً، ولا عجزه توكلاً، بل يجعل توكله من الأسباب التي لا يتم المقصود إلا بها.

قوله رحمه الله: **وعن ابن عباس** رضي الله عنهما **قال:** ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾، ومعنى ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ أي: كافينا فلا نتوكل إلا عليه، قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾.

* **وقوله: قالها إبراهيم** عليه السلام**، حين ألقي في النار،** أي: أن إبراهيم الخليل عليه

الصلاة والسلام، وذلك لما دعا قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فأبوا، فكسَّر أصنامهم، فجمعوا له حطبا، وأضرموا له ناراً، ورموه بالمنجنيق، وفي رواية: (كان آخر قول إبراهيم حين ألقي في النار: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾)، قال الله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾.

* **قوله: وقالها محمد ﷺ حين قال له الناس: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾** [**رواه البخاري والنسائي**]، وكان ذلك بعد منصرف قريش والأحزاب من أحد، وذلك لما أخبر النبي ﷺ عن الكفار أنهم قد أجمعوا السير إليه وإلى أصحابه، ليستأصلوا بقيتهم، قال النبي ﷺ: ﴿**حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ**﴾، وخرج النبي ﷺ وأصحابه إليهم في سبعين راكباً، فرد الله كيد أبي سفيان، وألقى الرعب في قلبه، فرجع إلى مكة، فهذه الكلمة: هي كلمة التفويض والاعتماد على الله، التي تقال عند الكروب والشدائد، كما أنها توكل على الله، وهي من أعظم الأسباب في حصول الخير ودفع الشر.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى:** «**أن التوكل من الفرائض**» أي: لقوله تعالى: ﴿فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾ فهذا أمر والأمر للوجوب.

* **الثانية:** «**أنه من شروط الإيمان**» أي: لقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فجعله شرطاً في حصول الإيمان.

* **الثالثة:** «**تفسير آية الأنفال**» أي: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الآية، والشاهد قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

* **الرابعة:** «**تفسير الآية في آخرها**» أي: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ الآية، أي: الله كافيك وكافي من اتبعك.

* **الخامسة:** «**تفسير آية الطلاق**» أي: قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ أي: كافيه.

* **السادسة:** «**عظم شأن هذه الكلمة وأنها قول إبراهيم عليه السلام ومحمد ﷺ في الشدائد**» أي: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ ومعناها: هو كافينا ونعم الوكيل هو سبحانه وتعالى.



٣٤ ـ باب قول الله تعالى:

﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾

وقوله: ﴿**قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ**﴾ (الحجر: ٥٦).

عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر، فقال: (**الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله**).

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: (**أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله**) (رواه عبد الرزاق).

***

(الشرح)

* في هذه الآية التنبيه على أن المؤمن يسير إلى الله بين الخوف والرجاء، فلا يغلب جانب الرجاء فيأمن مكر الله، ولا يغلب جانب الخوف فييأس من روح الله، لأن هذا ينافي كمال التوحيد، فعلى المؤمن أن يكون في سيره إلى الله بين الخوف من الله ورجائه، لأنه لا يجوز لمن خاف الله أن يقنط من رحمته بل يكون خائفاً راجياً، لقوله تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾.

* **قوله** رَحِمَهُ اللهُ: **وقوله:** ﴿**وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ**﴾، القنوط استبعاد الفرَج، ولا ينبغي لمن خاف الله أن يقنط من رحمته، لأن ذلك ينافي كمال التوحيد، بل يكون خائفاً راجياً، ويحسن الظن بربه، ولا يقنط من رحمة الله بظنه أن

الله لا يغفر له إما بكونه إذا تاب لا يقبل توبته، واما أن يقول: نفسه لا تطاوعه على التوبة فهو ييأس من توبة نفسه.

* **قوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: **وعن ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **أن رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**سئل عن الكبائر فقال: الإشراك بالله، واليأس من روح الله**، نعم اليأس من روح الله قطع الرجاء والأمل من الله فيما يرومه ويقصده ويخافه ويرجوه إساءة ظن بالله وجهل بسعة رحمته وجوده ومغفرته.

* **قوله: والأمن من مكر الله**، أي: من استدراجه للعبد أو سلبه ما أعطاه من الإيمان، وذلك جهل بالله وبقدرته، وثقة بالنفس وعجب بها، وهذا الحديث قال ابن كثير: (في إسناده نظر والأشبه أن يكون موقوفاً).

* **قوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: **وعن ابن مسعود قال: (أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله)**، قال أبو السعادات: (القنوط هو أشد اليأس، وفيه التنبيه على الرجاء والخوف، فإذا خاف فلا يقنط، ولا ييأس بل يرجو رحمة الله، فينبغي له عند استكمال العافية والنعم أن يرجح جانب الخوف؛ فإنه إذا غلب الرجاء الخوف فسد القلب، وعند المصائب والموت يغلب جانب الرجاء، ويحسن الظن بالله عَزَّ وَجَلَّ).

* **قوله: رواه عبد الرزاق**، هو عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميرى، ولد سنة ١٢٦هـ، ومات ببغداد سنة ٢١١هـ.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى**: «**تفسير آية الأعراف**» أي: قوله تعالى: ﴿**أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ**﴾ الآية، والمعنى أن الله ذكر حال أهل القرى المكذبين للرسل وبين أن الذي حملهم على ذلك كونهم أمنوا مكر الله.

* **الثانية**: «**تفسير آية الحجر**» أي: قوله تعالى: ﴿**وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ**﴾ ففيها ذم القنوط والحث على الرجاء والأولى فيها ذم **الأمن والحث على الخوف**.

* **الثالثة**: «**شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله**» أي: أنه من الكبائر.

* **الرابعة**: «**شدة الوعيد في القنوط**» أي: لكونه من الكبائر.



٣٥ ـ باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله

وقول الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ (التغابن: ١١).

قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت).

ولهما عن ابن مسعود مرفوعاً: (ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية).

وعن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة).

وقال النبي ﷺ: (إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضي، ومن سخط فله السخط) (حسنه الترمذي).

***

(الشرح)

* مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد وجوب الصبر على الأقدار، وتحريم ضده لأنه ينقص كمال التوحيد، وقال علي: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ثم رفع صوته وقال: إلا إنه لا إيمان لمن لا صبر له، وفي الحديث: «**والصبر ضياء**» [رواه مسلم]، ولهما: «**ما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر**»، **والصبر**

المحمود: هو ما كان لله، وبالله، ومع الله، **وهو ثلاثة أقسام**:

١ ـ صبر على ما أمر الله به.

٢ ـ وصبر عما نهى الله عنه.

٣ ـ وصبر على ما قدَّره الله من المصائب.

* **قوله** رحمه الله: **وقول الله تعالى**: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾، أي: من أصابته مصيبة فعلم أنها من قدر الله فصبر واحتسب، واستسلم لقضاء الله، هدى الله قلبه، وعوضه عما فاته من الدنيا هدى في قلبه ويقيناً صادقاً، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه، أو خيراً منه.

* **قوله** رحمه الله: **قال علقمة: (هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم)**، هذا الأثر رواه الأعمش عن ابن ظبيان قال: كنا عند علقمة، فقرئ عليه هذه الآية: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ إلى آخرها، فقال ذلك، وهذا سياق ابن جرير، وعلقمة: هو ابن قيس بن عبدالله بن علقمة النخعي الكوفي، ولد في حياة النبي ﷺ، وسمع من أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم، وهو من كبار التابعين وعلمائهم وثقاتهم، مات بعد الستين وله ٩٠ سنة.

* **قوله** رحمه الله: **وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة** رضي الله عنه **أن رسول الله** ﷺ **قال: «اثنتان في الناس هما بهم كفر»**، «هما» أي: خصلتان للناس أي: فيهم، قائمتان بهم، وهما من أعمال الجاهلية.

* **قوله: كفر**، أطلق الكفر على من قامت به خصلة من هاتين الخصلتين، لكن

ليس من قامت به شعبة من شعب الكفر يصيركافراً الكفر المطلق، حتى يقوم به حقيقة الكفر، وفرق بين الكفر المخرج من الملة، كما في قوله ﷺ: «**ليس بين العبد وبين الكفر والشرك إلا ترك الصلاة**»، وبين الكفر المنكر في الإثبات فذلك يقتضي التشديد والتهويل والزجر.

* **قوله في الحديث: الطعن فى النسب،** أي: عيبه، فلا يجوز الطعن في الأنساب.

* **قوله: والنياحة على الميت،** أي: رفع الصوت بالندب والتوجع والتفجع؛ لما فيه من التسخط على قدر الله المنافي للصبر، والشاهد من هذا الحديث تحريم النياحة لمنافاتها لكمال التوحيد.

* **قوله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **ولهما عن ابن مسعود مرفوعاً: «ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب»**، هذا من نصوص الوعيد، التي تمر كما جاءت؛ ليكون أوقع في النفوس، لأنه أبلغ في الزجر، وخص الخدّ لكونه في الغالب، وإلا فضرب بقية الوجه مثله، والجيوب وهو الذي يدخل فيه الرأس على الثياب، وشقها تمزيقها جزعاً على الميت، وذلك من أمور الجاهلية.

* **قوله: «ودعى بدعوى الجاهلية»**، هو ندب الميت والدعاء بالويل والثبور، وأما البكاء على وجه الرحمة والرأفة ونحو ذلك فحسن، ولما مات إبراهيم قال ﷺ: «**تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي الرب، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون**».

* **قوله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **وعن أنس أن رسول الله** ﷺ **قال: «إذا أراد الله بعبده الخير عجل**

له العقوبة في الدنيا»، أي: لأن المصائب تكفر الذنوب، وتدعو إلى الصبر، فيثاب عليها، وتقتضي الإنابة إلى الله والذل له، والإعراض عن خلقه.

* **قوله: وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة**، أي: لا يجازى بذنبه في الدنيا، بل يؤخر عنه العقوبة، حتى يجيء في الآخرة، فيستوفي ما يستحقه من العذاب، ورواه الترمذي وحسنه والحاكم والطبراني.

* **قوله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وقال النبي** ﷺ: «**إن عظم الجزاء مع عظم البلاء**، أي: من كان ابتلاؤه أشد كان ثوابه أعظم، فإذا صبر واحتسب فإنه حينئذ يثاب على ما تولد منها. ورجح ابن القيم أن ثوابها تكفير الخطايا فقط، إلا إذا كانت سبباً لعمل صالح كالصبر والرضى والتوبة والاستغفار فإنه حينئذ يثاب على ما تولد منها.

* **قوله: وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم**، كما جاء في حديث سعد: أي: الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة».

* **قوله: فمن رضي فله الرضي**، أي: من رضي بما قضاه الله وقدره عليه، فله الرضى من الله جزاء وفاقاً.

* **قوله: ومن سخط فله السخط، حسنه الترمذي**، أي: كره ولم يرض، والرضى يسن ولا يجب، بخلاف الصبر، وإنما جاء الثناء على أصحابه، والله أعلم.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

❊ **الأولى:** «**تفسير آية التغابن**» أي: قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ﴾ والمعنى من أصابته مصيبة فعلم أنها من عند الله فرضي وسلم هدى الله قلبه.

❊ **الثانية:** «**أن هذا من الإيمان بالله**» أي: من علم أنها من قدر الله فصبر واحتسب فقد آمن بالله.

❊ **الثالثة:** «**الطعن في النسب**» أي: النهي عنه.

❊ **الرابعة:** «**شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية**» أي: لقوله: «ليس منا» إلخ، وذلك لمنافاتها للصبر على ما قدره الله وهو واجب.

❊ **الخامسة:** «**علامة إرادة الله بعبده الخير**» أي: أنه يعجل له العقوبة في الدنيا.

❊ **السادسة:** «**إرادة الله به الشر**» أي: أنه يمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة.

❊ **السابعة:** «**علامة حب الله للعبد**» أي: إذا ابتلاه دل على محبته.

❊ **الثامنة:** «**تحريم السخط**» أي: لقوله: «ومن سخط فله السخط».

❊ **التاسعة:** «**ثواب الرضا بالبلاء**» أي: لقوله: «فمن رضي فله الرضا».



٣٦ـ باب ما جاء في الرياء

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ (الكهف: ١١٠).

عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: (قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه) (رواه مسلم).

وعن أبي سعيد مرفوعاً: (ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟) قالوا: بلى يا رسول الله! قال: (الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي، فيزيّن صلاته، لما يرى من نظر رجل) (رواه أحمد).

***

(الشرح)

* **الرياء**: هو إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدونه عليها، والفرق بينه وبين السمعة، أن الرياء لما يرى من العمل كالصلاة والصدقة، والسمعة لما يسمع كالقراءة والوعظ والذكر، وهذه الترجمة للتحذير من الشرك في النية، وأن الرياء شرك أصغر.

* **قوله** رحمه الله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ الآية، أي ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ فليس لي من الربوبية ولا من الإلهية شيء، بل ذلك لله وحده لا شريك له، قوله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ أي: يخاف المصير إليه، ويأمل لقاء الله يوم القيامة، قوله: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ وهو ما كان موافقا لشرع الله، مقصوداً

به وجهه، قوله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ أي: لا يرائي بعمله.

* **قوله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وعن أبي هريرة مرفوعاً: «قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك»**، أي: أنا أغنى عن المشاركة، وذلك أنه لما كان المرائي قاصداً بعمله الله تعالى وغيره، فيكون قد جعل لله شريكاً، والله سبحانه هو الغني على الإطلاق، فلا يقبل العمل الذي جعل له شريك.

* **قوله: من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه، رواه مسلم**، أي: من قصد بعمله غيري من المخلوقين تركته وشركه، أي: لم أقبله، بل أتركه فعمل المرائي باطل لا ثواب له، ويأثم به.

* **واعلم أن العمل لغير الله أقسام:**

١ ـ فتارةً يكون رياء محضاً في كل أعماله كحال المنافقين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وهذا العمل حابط، وصاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة.

٢ ـ وتارة يكون العمل لله ويشاركه الرياء، فإن شاركه من أصله فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه، وإن كان أصله لله ثم طرأ عليه نية الرياء، فإن كان خاطراً ثم دفعه فلا يضره، وإن استرسل معه فهل يحبط عمله أو لا؟ فيجازى على أصل نيته، فيه خلاف، رجح أحمد وغيره لا يبطل بذلك، وأنه يجازى بنيته الأولى.

٣ ـ إذا عمل العمل لله خالصاً، ثم ألقى الله الثناء الحسن في قلوب المؤمنين، ففرح بفضل الله ورحمته واستبشر بذلك لم يضره، لحديث أبي ذر عن النبي ﷺ أنه سئل عن الرجل

يعمل العمل من الخير يحمده الناس عليه، فقال: «**تلك عاجل بشرى المؤمن**» (رواه مسلم).

* **قوله** رَحِمَهُ اللهُ: **وعن أبي سعيد مرفوعاً: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟»**، أي: أشد خوف خافه ﷺ على أصحابه أكثر مما خافه عليهم من فتنة المسيح الدجال؛ وذلك بخفائه وقوة الداعي إليه، وعسر التخلص منه، لما يزينه الشيطان والنفس الأمارة في قلب صاحبه.

* **قوله: قالوا: بلى يا رسول الله؛ قال: الشرك الخفي**، لأنه عمل قلب لا يعلمه إلا الله، ولأن صاحبه يظهر أن عمله لله، وقد قصد به غيره، وروى **شداد بن أوس** وهو: الصحابي الجليل، شداد بن أوس بن ثابت الخزرجي الأنصاري، كان من فضلاء الصحابة علماً وعملاً، قال عبادة بن الصامت: كان شداد ممن أوتي العلم والحلم، وهو ابن أخي حسان بن ثابت الأنصاري، شهد أبوه بدراً واستشهد بأُحد، توفي بفلسطين ودُفن ببيت المقدس سنة ثمان وخمسين، وكان عمره خمساً وتسعين سنة.

وروى الذهبي عن ابن سعد عن خالد بن معدان قال: لن يبق بالشام أحد كان أوثق ولا أفقه ولا أرضى من عبادة بن الصامت وشداد بن أوس. قال: (كنا نعد الرياء على عهد رسول الله ﷺ الشرك الأصغر) [رواه ابن جرير وغيره، وصححه الحاكم].

* **قوله: يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل، رواه أحمد، ورواه ابن ماجه وابن أبي حاتم**، وفي هذا الحديث شفقة النبي ﷺ على أمته ونصحه لهم، وأن الرياء أخوف على الصالحين من فتنة الدجال، وإذا كان يخافه على سادات الأولياء مع قوة إيمانهم وعلمهم، فغيرهم ممن هو دونهم بأضعاف أولى بالخوف من الشرك أكبره وأصغره.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى:** «**تفسير آية الكهف**» أي: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ أي: أن العمل لا يقبل إلا إذا كان صالحاً موافقاً للشرع وخالصا لله ليس له فيه شرك، والرياء ينافي الإخلاص.

* **الثانية:** «**الأمر العظيم في رد العمل الصالح إذا دخله شيء لغير الله**» أي: لفقده شرطه المصحح له وهو الإخلاص.

* **الثالثة:** «**ذكر السبب الموجب لذلك وهو كمال الغنى**» أي: لقوله: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك».

* **الرابعة:** «**أن من الأسباب أن الله تعالى خير الشركاء**» أي: فلا يقبل العمل الذي يشرك به غيره.

* **الخامسة:** «**خوفه ﷺ على أصحابه من الرياء**» أي: لقوله: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال**».

* **السادسة:** «**أنه فسر ذلك بأن يصلي المرء لله لكن يزينها لما يرى من نظر رجل إليه**» أي: كما ذكره في آخر الحديث وسماه خفيّاً لكون صاحبه يظهر للناس شيئاً وقد أخفى خلافه.



٣٧ ـ باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

وقول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ﴾ (هود: ١٥).

وفي الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع).

***

(الشرح)

* هذه الترجمة أعظم من الباب الذي قبله، لأن مريد الدنيا قد تغلب إرادته تلك على كثير من عمله، وأما الرياء فقد يعرض له في عمل دون عمل، ولا يسترسل معه، ولذا ذكر المصنف رَحِمَهُ اللهُ أنه من الشرك، لأن العمل لأجل الدنيا شرك، ينافي كمال التوحيد الواجب، ويحبط الأعمال.

* **وقوله: وقوله تعالى:** ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ الآيتين، قال ابن عباس: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي: ثوابها، ﴿وَزِينَتَهَا ﴾ أي: مالها، ﴿نُوَفِّ ﴾ أي: نوفر لهم ثواب ﴿أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ بالصحة والسرور في المال والأهل والولد، ﴿ وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾: لا ينقصون، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ

﴿فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ﴾ لأنهم لم يعملوا إلا للحياة الدنيا وزينتها، ﴿وَحَبِطَ﴾ : في الآخرة، ﴿مَا صَنَعُواْ﴾ فيها، فلم يكن لهم ثواب؛ لأنهم لم يريدوا به وجه الله، إنما أرادوا به الدنيا، وقد وفي إليهم ما أرادوا، ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ أي: كان عملهم في نفسه باطلاً، والعمل الباطل لا ثواب له.

* وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ الآيتين، نعم في هاتين الآيتين أنواع مما يفعله الناس، وقد يخفى عليهم فمن ذلك العمل الصالح الذي يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله، من صلاة وصدقة وصلة وإحسان وترك ظلم ونحو ذلك، لكن لا يريد به ثواب الآخرة، إنما يريد أن يجازيه الله بحفظ ماله وتنميته أو حفظ أهله وعياله، أو إدامة النعمة عليهم، ولا هم له في طلب الجنة والهرب من النار، فهذا قد يعطى ثواب عمله في الدنيا، وليس له في الآخرة من نصيب، وهذا النوع ذكره ابن عباس، أي: أن هذا النوع هو فيمن يعمل عملاً صالحاً ويقصد به وجهه الله تعالى:

النوع الأول: أن يكون مخلصاً لله لكنه يريد ثواب عمله في الدنيا، ولا يريد الآخرة.

النوع الثاني: وهو الذي ذكر مجاهد في الآية أنها نزلت فيه، وهو أن يعمل أعمالا صالحة ونيّته رئاء الناس، لا طلب ثواب الآخرة.

النوع الثالث: أن يعمل أعمالا صالحة يقصد بها مالا، مثل أن يحج لمال يأخذه، أو يهاجر لدنيا يصيبها.

النوع الرابع: أن يعمل بطاعة الله مخلصاً في ذلك، لكنه على عمل يكفره كفرا يخرجه عن الإسلام، مثل اليهود والنصارى وكثير من الوثنيين من هذه الأمة، إذا أطاعوا الله طاعة خالصة لله يريدون بها ثواب الله، لكنهم على أعمال تخرجهم من الاسلام وتمنع قبول اعمالهم، وهذا النوع أيضا قد ذكر في هذه الآية عن أنس وغيره، وكان السلف يخافون منها.

* **قوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: **في الصحيح عن أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال: قال رسول الله** ﷺ: «**تعس عبد الدينار**، أي: صحيح البخاري في الجهاد بلفظ: «**تعس عبد الدينار والدرهم والخميصة والخميلة**»، وفي رواية: «**والقطيفة**»، قوله: تعس أي: سقط وعثر، والمراد هنا هلك، فتعس دعاء عليه، قوله: «**عبد الدينار**»، وهو طالبه الحريص على جمعه، القائم على حفظه، لا يرضى ولا يغضب ولا يحب ولا يبغض إلا لأجله، والدينار مثقال معروف من الذهب.

* **قوله: تعس عبد الدرهم**، وهو قطعة من الفضة.

* **قوله: تعس عبد الخميصة**، ثوب خز أو صوف معلم.

* **قوله: تعس عبد الخميلة**، بفتح الخاء جمعها خمل، كل ثياب لها خمل أي: هدب، ففي هذا الحديث بدأ بعبد العين ثم بعبد العروض.

* **قوله: إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط**، فصار سخطهم ورضاهم لغير الله، كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾.

* **قوله: تعس وانتكس**، أي: انقلب على رأسه، ففيه الترقي بالدعاء عليه؛ لأنه

إذا تعس انكب على وجهه، وإذا انتكس انقلب على رأسه بعد أن سقط.

* **قوله: وإذا شيك فلا انتقش،** أي: إذا أصابته شوكة فلا يقدر على إخراجها بالمنقاش، وهذه حال من إذا أصابه شر لم يخرج منه، فلا نال المطلوب، ولا خلص من المكروه، وهذه حال من عبد المال، فهو عبد لما يهواه.

* **قوله: طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله،** طوبى اسم شجرة في الجنة، لما روى أحمد من حديث أبي سعيد: قال رجل: يا رسول الله وما طوبى؟ قال: «**شجرة في الجنة، مسيرة مائة سنة، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها**».

* **قوله: آخذ بعنان فرسه في سبيل الله،** نعم لما ذكر في الحديث حال من سخطهُ ورضاهُ في الدنيا ومطامعها بعد ذلك، بين حال عبدالله الصادق، الساعي في مراضي الله، والمبتعد عن مساخطه، ولو كان في ذلك مشقة النصب والتعب، فقال: «**طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله.. إلخ**» أي: ملازمها في جهاد المشركين، يبتغي بذلك وجه الله.

* **قوله: أشعث رأسه،** أشعث صفة لعبد، مجرور بالفتحة؛ لأنه اسم لا ينصرف ورأسه مرفوع على الفاعلية، أي: هو ثائر الشعر، أشغله الجهاد في سبيل الله عن التنعم بالادهان وتسريح الشعر.

* **قوله: مغبرة قدماه،** مغبرة بالجر صفة ثانية لعبد، أي: من الغبار والتراب، بخلاف المترفين المتنعمين.

* **قوله: إن كان في الحراسة كان في الحراسة،** أي: إن كان في حماية الجيش عن

أن يهجم العدو عليهم فهو فيها، غير مقصر ولا غافل.

* **قوله: وإن كان في الساقة كان في الساقة،** أي: وإن كان في آخر الجيش فهو فيها، يقلب نفسه في مصالح الجهاد، رغبة في ثواب الله، وطلبا لمرضاته، ومحبة لطاعته، إن كان في الحراسة استمر فيها، وإن كان في الساقة استمر فيها، وإنما ذكر الحراسة والساقة؛ لأنهما أشد مشقة.

* **قوله: إن استأذن لم يؤذن له،** لأنه لا جاه له عند الأمراء ونحوهم، ولأنه ليس من طلابها، وإنما يطلب ما عند الله.

* **قوله: وإن شفع لم يشفع،** أي: أنه لو يشفع في أمر لم يشفَّع، أي: لم تقبل شفاعته وذلك لتواضعه، وعدم تعرضه بزينة الدنيا، وهذه الأمور ونحوها لا تكون لهوان المؤمن على الله، بل لكرامته، وأن تكون أعماله خالصة لله يرجو بها ما عند الله.

❖ فيه مسائل وإيضاحها:

* **الأولى: «إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة»** أي: كما في الآية وذلك بأن يعمل أعمالاً صالحة يريد بها الدنيا.

* **الثانية: «تفسير آية هود»** أي: قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾ الآية والشاهد منها الوعيد فيمن لا يعمل إلا للدنيا.

* **الثالثة: «تسمية الإنسان المسلم عبد الدينار والدرهم والخميصة»** أي: لقوله: **«تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم»**.

* **الرابعة:** «**تفسير ذلك بأنه إذا أعطي رضي وإن لم يعط سخط**» أي: معنى كونه عبدا لهذه الأشياء أنه إن أعطي منها شيئاً رضي وعمل وإن لم يعط سخط ولم يعمل فرضاه لغير الله وسخطه لغيره.

* **الخامسة: قوله:** «**تعس وانتكس**» أي: عاوده المرض وهو دعاء عليه. وقوله: «وانتكس» أي: عثر وانكب لوجهه، وهذا أيضا دعاء عليه.

* **السادسة: قوله:** «**وإذا شيك فلا انتقش**» أي: إذا أصابته شوكة لم يقدر على أخذها بالمنقاش، وهذا أيضاً دعاء عليه.

* **السابعة:** «**الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات**» أي: لقوله: «**طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه**» إلخ الحديث، لكونه يعمل لله لا لغير ذلك من جاه أو غيره.



٣٨ ـ باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه فقد اتخذهم أرباباً

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله ﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟!

وقال الإمام أحمد: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: ٦٣)، أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

وعن عدي بن حاتم: أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ (التوبة: ٣١). فقلت له: إنا لسنا نعبدهم قال: (أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلّون ما حرم الله، فتحلونه؟) فقلت: بلى. قال: (فتلك: عبادتهم) (رواه أحمد، والترمذي وحسّنه).

***

(الشرح)

* نعم لما كانت الطاعة في تحريم الحرام، وتحليل الحلال من أنواع العبادة، بل هي العبادة، فإنها طاعة لله بامتثال ما أمر به على ألسن رسله، نبه المصنف بهذه الترجمة على وجوب اختصاص الرب تعالى بها.

* **قوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: **وقال ابن عباس: (يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله** ﷺ، **وتقولون: قال أبو بكر وعمر)**، وهذا القول من ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا جواب لمن قال له: إن أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، لا يريان التمتع بالعمرة إلى الحج، ويريان إفراد الحج أفضل، وكان ابن عباس يرى أن التمتع بالعمرة إلى الحج واجب؛ لحديث سراقة بن مالك، لما عارضوا الحديث برأي أبي بكر وعمر، قال ابن عباس: (يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء)، وفي كلام ابن عباس ما يدل على أن من بلغه الدليل فلم يأخذ به تقليداً لإمامه فإنه يجب الإنكار عليه؛ لأن من خالف الكتاب والسُنَّة يجب الرد عليه.

* قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: وقال الإمام أحمد: **(عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته،** أي: إذا صح إسناد الحديث، فهو دليل على صحة الحديث، فيجب الأخذ به وترك ما عارضه من الرأي.

* **قوله: يذهبون إلى رأي سفيان،** هو الثوري الثقة الفقيه، كان له أصحاب يأخذون عنه، ومذهبه مشهور، يذكره العلماء في الكتب التي يذكر فيها مذاهب الأئمة، فقول الإمام أحمد إنكار منه لمن ترك الأخذ بالحديث الصحيح، وذهب إلى آراء العلماء فإن الواجب على من يعرف الحديث وصحته، أن يقدمه على غيره كما أن العلماء رحمهم الله نهوا عن تقليدهم إذا استبانت السُنَّة، لعلمهم أن من العلم شيئاً لم يعلموه، وقد يبلغ غيرهم، بل قال الشافعي: (إذا صح الحديث بما يخالف قولي فاضربوا بقولي الحائط)، لكن في كلام أحمد إشارة إلى أن التقليد قبل بلوغ الحجة لا يذم، وإنما ينكر على من بلغته الحجة وخالفها لقول إمام من الأئمة.

ثم قال أحمد: والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، أي: فليحذر الذين يلوذون عن أمره ويدبرون معرضين، ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ في الدنيا، ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .

* **قوله: أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك؛** لأن من ترك الحديث عن الرسول ﷺ، فإن هذا من شرك الأهواء، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾.

* **قوله: لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك،** أي: أن الإنسان الذي تصح عنده سنة رسول الله ﷺ، ثم يردها ويقدم الرأي، أنه فعل ما يكون سبباً لزيغ القلب، وذلك هو الهلاك في الدنيا والآخرة.

* **قوله** رحمه الله: **عن عدي بن حاتم** رضي الله عنه، هو الطائي المشهور بالسخاء والكرم، قدم عدي رضي الله عنه على النبي ﷺ في شعبان سنة ٩هـ، فأسلم وثبت في الردة، وحضر فتوح العراق، وحروب علي، وعاش مائة وعشرين سنة، ومات سنة ٦٨هـ.

* قوله: (**أنه سمع رسول الله ﷺ يقرأ هذه الآية:** ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ الآية. **فقلت: إنا لسنا نعبدهم، قال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟ ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟ فقلت: بلى. قال: فتلك عبادتهم**)، رواه أحمد والترمذي وحسنه، نعم هؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم من دون الله حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وعكسه، يكونون على وجهين:

أحدهما: أنهم يعلمون أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل، اتباعا لرؤسائهم مع علمهم بأنهم خالفوا دين الرسول ﷺ فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركا، وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون.

الثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال، وتحليل الحرام ثابتاً، لكنهم أطاعوهم في معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى**: «**تفسير آية النور**» أي: قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ والشاهد منها الوعيد على من ترك قوله ﷺ وخالف أمره.

* **الثانية**: «**تفسير آية براءة**» أي: قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ والشاهد منها أن الله أخبر أنهم اتخذوا أرباباً وشركاء بطاعتهم فيما يخالف الشرع.

* **الثالثة**: «**التنبيه على معنى العبادة التي أنكرها عدي**» أي: أنكر أنهم يركعون لهم ويسجدون ويدعونهم لظنه أن العبادة خاصة بمثل هذا فأخبره أن طاعتهم في ذلك عبادة لهم وإشراك مع الله وهذا مع الاعتقاد كما فصل ذلك الشيخ تقي الدين.

❊ **الرابعة**: «**تمثيل ابن عباس بأبي بكر وعمر وتمثيل أحمد بسفيان**» أي: أن ابن عباس ذكر الوعيد على من ترك قول الله ورسوله ﷺ لقول أبي بكر وعمر وأحمد ذكر ذلك لمن تركه لقول سفيان الثوري ومرادهما التمثيل لا التخصيص بذلك.

❊ **الخامسة**: «**تغير الأحوال إلى هذه الغاية حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال وتسمى الولاية وعبادة الأحبار هي العلم والفقه ثم تغيرت الحال إلى أن عبد من دون الله من ليس من الصالحين وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين**» أي: أن الأمر صار أعظم مما ذكر ابن عباس وأحمد حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان ـ يعنى العباد ـ وهو الأخذ بقولهم مطلقاً هو أفضل الأعمال ولو خالف قول الله ورسوله ويسمونها الولاية وعبادة الأحبار وهم العلماء وهو الأخذ بقولهم مطلقا ولو خالف قول الله ورسوله هو أفضل الأعمال ويسمون ذلك العلم والفقه ثم ازداد الأمر شناعة إلى أن أخذ بقول أناس غير صالحين وهذا أقبح من الأول. وعبد بالمعنى الثاني ـ وهو الاقتداء بالعلماء وعبادتهم ـ من هو من الجاهلين أي: أخذ بأقوال أناس جاهلين وقدمت على الشرع وسميت علما وفقها وهذا أقبح من تقديم قول من هو من العلماء على الشرع وإن كان جميع ذلك قبيحاً. فالمعنى الأول من جهة الولاية والثاني من جهة العلم والفقه.



٣٩ ـ باب قول الله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ ﴾

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾.

وقوله: ﴿وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا﴾.

وقوله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾.

وقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾.. الآيات.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) قال النووي: حديث صحيح، رويناه في كتاب «الحجة» بإسناد صحيح.

وقال الشعبي: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة؛ فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد ـ لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة ـ وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود ـ لعلمه أنهم يأخذون الرشوة ـ فاتفقا أن يأتيا كاهناً في جهينة فيتحاكما إليه، فنزلت: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ ... ﴾ الآية.

وقيل: نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى النبي ﷺ، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلى عمر، فذكر له أحدهما القصة، فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ: أكذلك؟ قال: نعم، فضربه بالسيف فقتله.

***

(الشرح)

* في هذه الآية التنبيه على ما تضمنه التوحيد واستلزمه، من تحكيم الرسول ﷺ في موارد النزاع؛ إذ هذا هو مقتضى الشهادة ولازمها، فمن عرفها لابد له من الانقياد لحكم الله، والتسليم لأمره الذي جاء على يد رسوله ﷺ، فمن شهد أن لا إله إلا الله، ثم عدل إلى تحكيم غير الرسول ﷺ في موارد النزاع، فقد كذب الشهادة، وجعل لله شريكاً في الطاعة، وخالف ما جاء به الرسول ﷺ فيما أمر الله به، بقوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

* **قال** رحمه الله: **وقول الله تعالى**: ﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ في هذه الآية: أن التحاكم إلى الطاغوت مما يأمر به الشيطان ويزينه لمن أطاعه، ففيها أربعة أمور: (الأول): أنه من إرادة الشيطان، (الثاني): أنه ضلال، (الثالث): تأكيده بالمصدر، (الرابع): وصفه بالبُعد عن طريق الحق والهدى.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ الآيات، ومناسبة الآية للترجمة أن التحاكم إلى غير الله، وسُنَّة رسول الله من أعمال المنافقين.

* وقوله: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾، وجه مطابقة الآية للترجمة أن التحاكم إلى غير الله ورسوله من أعظم ما يفسد في الأرض من المعاصي، فلا صلاح لها إلا بتحكيم كتاب الله وسُنَّة رسوله.

* **وقوله: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾** الآية، أي: أنه سبحانه ينكر على من خرج عن حكم الله، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الجهالات والضلالات.

* **وقوله: عن عبدالله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به»، الهوى:** ميل النفس إلى مشتهيات الطبع، ومعنى هذا الحديث أن العبد لا يكون مؤمناً كامل الإيمان حتى يكون ما تهواه نفسه وتحبه وتميل إليه تبعا لما جاء به الرسول ﷺ، وهذه صفة أهل الإيمان الخلص، وأما إن كان بخلاف ذلك أو في بعض أحواله، فإنه ينتفي كمال الإيمان الواجب، كما في الحديث الصحيح: **«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»**.

* **قوله: قال النووي: (حديث صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح)،** هو أبو زكريا يحيى بن شرف الحزامي النووي الشافعي، الإمام المشهور، صاحب المصنفات المفيدة، ولد بنوى قرية من قرى دمشق سنة ٦٣١هـ، وتوفي سنة ٦٧٦هـ.

ومعنى الحديث صحيح، وشاهده بالقرآن كثير، كقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ الآية، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾، وقوله: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾، وقوله: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾.

* **وقوله: وقال الشعبي،** والشعبي: هو عامر بن شراحيل الكوفي، عالم زمانه.

* **قوله: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد، عرف أنه لا يأخذ الرشوة**، والرشوة هي الجُعل يعطيه أحد الخصمين القاضي ليحكم له، والمنافق هو الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر.

* **وقوله: وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود، لعلمه أنهم يأخذون الرشوة**، اليهود هم من أهل الكتاب، والمنافق رضي أن يتحاكم إلى اليهود لأنهم يأخذون الرشوة، وفي هذه المسألة دليل على أن اليهود، يعلمون أن نبينا محمداً ﷺ يحكم بالحق، وعلى الحق، لكنه لا يكفي فلا يكونوا من المسلمين حتى يعملوا وينقادوا فيتبعوه ﷺ ويؤمنوا به.

* **قوله: فاتفقا على أن يأتيا كاهناً في جهينة، فيتحاكما إليه**، جهينة حي مشهور من قضاعة، والكاهن: طاغوت يتحاكمون إليه، وكلام الشعبي رواه ابن جرير وابن المنذر بنحوه.

* **وقوله: فنزلت:** ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ **الآية، وقيل: (نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى النبي ﷺ، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف)**، وكعب بن الأشرف يهودي من طيئ، وأمه من بني النضير، وكان شديد العداوة للنبي ﷺ والأذى.

* **قوله: ثم ترافعا إلى عمر فذكر له أحدهما القصة، فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ: أكذلك؟ قال: نعم. فضربه بالسيف فقتله**، هذه القصة مشهورة متداولة بين السلف والخلف.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى:** «**تفسير آية النساء وما فيها من الإعانة على فهم الطاغوت**» أي: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ وأما ما فيها من الإعانة على فهم الطاغوت فلأنه صدر الآية بـ«يزعمون» الذي يُقال غالباً على غير المحقق وأخبر أنه من إرادة الشيطان وأنه ضلال وأكده بالمصدر ووصفه بالبعد.

* **الثانية:** «تفسير آية البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية» أي: ومن الفساد فيها التحاكم إلى الطاغوت.

* **الثالثة:** «**تفسير آية الأعراف** ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾» أي: ومن الفساد فيها التحاكم إلى الطاغوت.

* **الرابعة:** «**تفسير:** ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾» أي: هذا إنكار من الله عَزَّوَجَلَّ على من طلب التحاكم إلى غير الشرع.

* **الخامسة:** «**ما قال الشعبي في سبب نزول الآية الأولى**» أي: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ الآية، أي: بسبب التحاكم إلى الكاهن أو غيره.

* **السادسة:** «**تفسير الإيمان الصادق والكاذب**» أي: الصادق ما كان هوى صاحبه تبعا لما جاء به رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والكاذب بخلافه.

* **السابعة:** «**قصة عمر مع المنافق**» أي: أنه قتله لما لم يرض بالتحاكم إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❋ **الثامنة: «كون الإيمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعا لما جاء به رسول الله ﷺ»** أي: كما دل عليه الحديث المذكور وقوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾.



٤٠ ـ باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات

وقول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ ... الآية

وفي صحيح البخاري قال علي رضي الله عنه: (حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟).

وروى عبدالرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه رأى رجلاً انتفض ـ لما سمع حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصفات، استنكاراً لذلك ـ فقال: (ما فرق هؤلاء؟ يجدون رقة عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه).. انتهى.

ولما سمعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر: (الرحمن) أنكروا ذلك. فأنزل الله فيهم: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾.

***

(الشرح)

* اعلم أنه لما كان التوحيد لا يحصل إلا بالإيمان بالله وأسمائه وصفاته، لأن أنواع التوحيد الثلاثة متلازمة، ومن أقر بتوحيد الربوبية والألوهية وجحد أسماءه وصفاته، لم يكن موحداً، ولم يعمل بتوحيد الربوبية والألوهية.

* **قوله رحمه الله: وقول الله تعالى:** ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الآية، وهذه الآية تدل على أن الله جعل من جحد اسماً من أسمائه كفراً، والرحمن اسم من أسماء الله وصفة من صفاته.

* **قوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: **وفي صحيح البخاري قال علي: (حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله)؟**، أراد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يحدث الناس بما ينفعهم بأصل دينهم وأحكامه، من بيان الحلال والحرام الذي كلفوا به علماً وعملاً، دون ما يشغل عن ذلك، أو يؤدي إلى رد الحق وعدم قبوله، فيفضي إلى التكذيب، وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ما أنت بمحدث قوماً حديثا لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة) رواه مسلم، وهذا الأثر قاله علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين كثر القُصّاص في خلافته، وصاروا يذكرون أحاديث لا تعرف.

* **قوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: **وروى عبد الرزاق عن معمر**، أي: معمر ابن راشد، أبو عروة ابن أبي عمرو الأزدي البصري ثم اليماني، أحد الأعلام، مات سنة ١٥٣هـ.

* **قوله: عن ابن طاوس**، هو أبو محمد عبدالله بن طاوس اليماني الفقيه ابن الفقيه، قال معمر: كان من أعلم الناس بالعربية، مات سنة ١٣١هـ، وأبوه طاوس ابن كيسان.

* **قوله: عن أبيه عن ابن عباس أنه «رأى رجلاً انتفض لما سمع حديثاً عن النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **في الصفات استنكاراً لذلك**، كأنه اضطرب وارتعد، لما سمع حديثا في الصفات؛ لجهله بذلك».

* **قوله: فقال: ما فَرَق هؤلاء؟**، بفتح الفاء والراء وضم القاف مخففه، و (ما) استفهامية، أي: أنه يشير إلى أناس ممن يحضر مجلسه من عامة الناس، إذا سمعوا شيئاً من محكم القرآن حصل معهم فَرَق، أي: خوف، وإذا سمعوا شيئاً من أحاديث

الصفات انتفضوا كالمنكرين للمعنى، فلم يحصل منهم الإيمان الواجب، والمراد من قوله هذا الإنكار عليهم؛ فإن الواجب على العبد التسليم والإذعان والإيمان بما صح عن الله ورسوله ﷺ، وإن لم يحط به علما، ولهذا قال الشافعي: (آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله وما جاء عن رسول الله، على مراد رسول الله ﷺ).

* **قوله: يجدون رقة عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه،** أي: يهلكون عندما يشتبه عليهم فهمه ومعرفته، والهلاك يقال لمن ارتكب أمراً عظيماً.

* قوله: ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر الرحمن أنكروا ذلك، فأنزل الله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾، قال قتادة وغيره من السلف: لما صالح النبي ﷺ قريشاً كتب (بسم الله الرحمن الرحيم) فقالوا: أما الرحمن فلا نعرفه.

* وقال مجاهد وغيره: قالوا: لا نكتب الرحمن، ولا ندري ما الرحمن؟ ولا نكتب إلا باسمك اللهم، فنزلت الآية.

❖ فيه مسائل وإيضاحها:

* **الأولى: «عدم الإيمان بجحد شيء من الأسماء والصفات»** أي: لقوله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ لما قالوا ما نعرف الرحمن، وجحد الصفة كجحد الاسم.

* **الثانية: «تفسير آية الرعد»** أي: قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ يعني قريشا لما جحدوا اسم الرحمن نزلت فيهم الآية.

❊ **الثالثة**: «**ترك التحديث بما لا يفهم السامع**» أي: لقول علي: «حدثوا الناس بما يعرفون».

❊ **الرابعة**: «**ذكر العلة أنه يفضي إلى تكذيب الله ورسوله ولو لم يتعمد المنكر**» أي: أنه نهى عن ذلك لئلا يكذب الله ورسوله ولو لم يتعمد المكذب المنكر للحق ولكنه يفهمه على غير وجهه.

❊ **الخامسة**: «**كلام ابن عباس لمن استنكر شيئاً من ذلك وأنه أهلكه**» أي: قوله: «ما فَرَق هؤلاء يجدون رقة عند محكمه» إلخ. وقوله: «وأنه أهلكه» يعني لقوله: «ويهلكون عند متشابهه» وهذا ينافي الإيمان لأنه لا يتم إلا بإثبات الجميع.



٤١ ـ باب قول الله تعالى:

﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ .. الآية

قال مجاهد ما معناه: هو قول الرجل: هذا مالي، ورثته عن آبائي.

وقال عون بن عبد الله: يقولون: لولا فلان لم يكن كذا.

وقال ابن قتيبة: يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا.

وقال أبو العباس ـ بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه: (إن الله تعالى قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر..) الحديث، وقد تقدم ـ وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره، ويشرك به.

قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيبة، والملاح حاذقاً، ونحو ذلك مما هو جارٍ على ألسنة كثير.

***

(الشرح)

* اعلم أن نسبة النعم إلى غير الله؛ باب من أبواب الشرك، وذلك أنهم يضيفونها إلى غيره سبحانه، ويشركون معه غيره مع معرفتهم أن الله هو مسديها ومويلها.

* **قوله** رحمه الله: **قال مجاهد ما معناه: هو قول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي،** أي: أن المساكن والأنعام وما يرزقون منها، والسرابيل من الحديد والثياب، يقول الكفار كان هذا لآبائنا وورثناه، وهم يعرفون أنه نعمة من الله ثم ينكرونها.

* **قوله: وقال عون بن عبدالله يقولون: لولا فلان لم يكن كذا:** هو ابن عتبة بن مسعود الهذلي، توفي سنة بضع عشرة ومئة.

* **قوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: **وقال ابن قتيبة:** وابن قتيبة: هو أبو محمد عبدالله بن مسلم قاضي دينور، النحوي اللغوي صاحب التصانيف البديعة المشهورة، وتوفي سنة ٢٧٦هـ.

* **قوله: يقولون هذا بشفاعة آلهتنا،** أي: أن الكفار إذا قيل لهم: من رزقكم؟ أقروا بأن الله هو الذي يرزقهم، ثم ينكرونه بقولهم: رزقنا ذلك بشفاعة آلهتنا.

* **قوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: **وقال أبو العباس بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه أن الله قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر» الحديث. وقد تقدم:** أي: في باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء.

* **قوله: (وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به)،** أي: كقوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ وحديث: «**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر**».

* **قوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: **قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيبة والملّاح حاذقاً،** أي: صاحب السفينة ماهر، ومعناه أن الله إذا أجرى السفينة وسلمها، نسبوا ذلك إلى الريح والملّاح، ونسوا الله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾.

* **قوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: **ونحو ذلك مما هو جارٍ على ألسنة كثير،** أي: أن حكم هذه الآية عام فيمن نسب النعم إلى غير الله الذي أنعم بها.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى**: «**تفسير معرفة النعمة وإنكارها**» أي: أنهم يعرفون أن الله هو المنعم بما ذكر في سورة النحل وغيرها ثم ينكرونها بإضافتها إلى غيره.

* **الثانية**: «**معرفة أن هذا جارٍ على ألسنة كثير**» أي: إضافة النعم إلى غير الله.

* **الثالثة**: «**تسمية هذا الكلام إنكارا للنعمة**» أي: لكونه إضافة لها إلى غير المنعم بها وهذا عين الجحد.

* **الرابعة**: «**اجتماع الضدين في القلب**» أي: معرفة النعمة وإنكارها.



٤٢ ـ باب قول الله تعالى:

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ .. الآية

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في الآية: الأنداد: هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل؛ وهو أن تقول: والله، وحياتك يا فلان وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلاناً هذا كله به شرك.. (رواه ابن أبي حاتم).

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) (رواه الترمذي وحسنه، وصححه الحاكم).

وقال ابن مسعود: لأن أحلف بالله كاذباً أحب إليَّ من أن أحلف بغيره صادقاً.

وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: (لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان) (رواه أبو داود بسند صحيح).

وجاء عن إبراهيم النخعي، أنه يكره أن يقول: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك. قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان.

***

(الشرح)

* أي: لا تجعلوا لله شركاء ونظراء، وتصرفون لهم شيئاً من خصائص الله تعالى،

فتقعوا في الشرك الأصغر أو الأكبر، وساق في الباب ما ألحق بالأصغر، فإن من تحقيق التوحيد الاحتراز من الشرك بالله في الألفاظ، وإن لم يقصد المتكلم بها معنى لا يجوز، بل ربما تجري على لسانه من غير قصد، وإن كانت الآية نزلت في الأكبر، فالسلف يحتجون بما نزل في الأكبر على الأصغر، كما فسرها ابن عباس وغيره.

* **قوله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **قال ابن عباس في الآية: الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل،** أي: أنه أخفى من دبيب النمل الأسود على الصفا الأسود في ظلمة الليل الأسود، وهذا يدل على شدة خفائه، وعسر التخلص منه.

* **قوله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وفي حديث ابن عباس وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان وحياتي،** أي: لأنه حلف بغير الله، والحلف بالمخلوق شرك.

* **قوله: وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص،** وهي الكلاب، وهي ما تتخذ لحفظ المواشي وغيرها، واللصوص: السراق.

* **وقوله: ولولا البط في الدار لأتى اللصوص،** البط: من طير الماء، الأوز، يتخذ في البيوت، فإذا دخلها غير أهلها استنكره وصاح، وكون ذلك من الشرك، لأنه نسبة ذلك إلى غير الله، والله تعالى هو الذي يحفظ عباده، ويكلؤهم بالليل والنهار.

* **وقوله: وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت،** لأن المعطوف بالواو يكون مساوياً للمعطوف عليه.

* **قوله: وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلاناً،** أي: قل لولا الله سبحانه وحده، لا تجعل فيها فلاناً.

* **قوله: هذا كله به شرك. رواه ابن أبي حاتم**، هذا من ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، تنبيه بالأدنى من الشرك على الأعلى.

* **قوله: وعن عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ وصوابه: عن ابن عمر.. نبَّه عليه صاحب تيسير العزيز الحميد ـ **أن رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك)**، ولعل هذا الحديث عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وورد مثل هذا عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وورد (فقد كفر)، وفي رواية: (فقد أشرك)، قال الجمهور: لا يكفر كفراً ينقل عن الملة، لكنه من الشرك الأصغر، كما نص عليه ابن عباس وغيره، أما ما يفعله عباد القبور، وهو ما إذا طلب منهم اليمين بالله أسرعوا، وإذا طلب منهم اليمين بالشيخ أو حياته ونحوه امتنعوا أو امتنع إن كان كاذباً، فهذا شرك أكبر؛ لأنه صار المحلوف به عنده أخوف وأجل وأعظم من الله عَزَّ وَجَلَّ.

* **قوله: رواه الترمذي وحسنه وصححه، الحاكم**، وأقره الذهبي، وأما ما جاء في الحديث كقوله: (أفلح وأبيه)، (أما وأبيك)، فيحتمل أنه كان ذلك قبل النهي عن الحلف بغير الله، ثم ثبت النهي وهو الأصل والمحكم.

* **قوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: **وقال ابن مسعود: لأن أحلف بالله كاذباً أحب إليَّ من أن أحلف بغيره صادقاً**، رواه الطبراني وابن جرير وغيرهما، وذلك أن الحلف بالله كاذبا كبيرة، والحلف بغير الله شرك، وإن كان أصغر فهو أكبر من الكبائر، وإنما رجح ابن مسعود الحلف بالله كاذباً، على الحلف بغيره صادقاً، لأن الحلف بالله توحيد، والحلف بغيره شرك.

* **قوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: **وعن حذيفة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **عن رسول الله** ﷺ **قال «لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان «رواه أبو داود بسند صحيح، وكذلك رواه أحمد وابن أبي شيبة والنسائي وابن ماجه والبيهقي**، والنهي عن ذلك لأن العطف بالواو يقتضي المساواة؛ وتسوية المخلوق بالخالق في نوع من أنواع العبادة شرك، فإن كان في الأصغر مثل هذا فهو أصغر، وإن كان في الأكبر فهو أكبر، كما في قول الله تعالى عن أصحاب الجحيم: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ بخلاف المعطوف بـ (ثم) فلا محذور فيه لكونه صار تابعاً.

* **قوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: **وجاء عن إبراهيم النخعي أنه يكره أن يقول الرجل: أعوذ بالله وبك. ويجوز أن يقول: بالله ثم بك، قال ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان، نعم** ورواه عبدالرزاق وابن أبي الدنيا، وهذا النهي في الحي الحاضر الذي له قدرة وسبب، فإنه يجوز في حقه ثم، وأما الأموات فلا يقال في حقهم شيء من ذلك، فإنه لا يجوز التعلق عليهم بشيء ما، بوجه من الوجوه، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ هَـٰذَآ أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾، ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴾.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى**: «**تفسير آية البقرة في الأنداد**» أي: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ وهذا من اتخاذ الأنداد في الشرك الأصغر.

* **الثانية**: «**أن الصحابة رضي الله عنهم يفسرون الآية النازلة في الشرك الأكبر أنها تعم الأصغر**» أي: لأن هذه الآية نزلت في قريش وهم يشركون الشرك الأكبر فاستدل بها ابن عباس على ما ذكر من الشرك الأصغر.

* **الثالثة**: «**أن الحلف بغير الله شرك**» أي: لقوله: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**».

* **الرابعة**: «**أنه إذا حلف بغير الله صادقاً فهو أكبر من اليمين الغموس**» أي: لأن الحلف بغير الله شرك أصغر واليمين الغموس كبيرة والشرك وإن كان أصغر فهو أكبر من الكبائر.

* **الخامسة**: «**الفرق بين الواو وثم في اللفظ**» أي: ما كان بالواو لا يجوز لأنها تقتضي التسوية والتشريك وما كان بثم فيجوز لأنها للتراخي فلا تقتضي تسوية ولا تشريكاً.



٤٣ ـ باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله ﷺ قال: (لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصدق، ومن حلف له بالله فليرض. ومن لم يرض فليس من الله)، (رواه ابن ماجه بسند حسن).

***

(الشرح)

* أي: ما جاء فيه من الوعيد، لأنه لم يقنع بالحلف بالله وهو يدل على قلة تعظيمه لعظمة الله، فإن القلب الممتلئ بمعرفة عظمة الله وجلاله لا يفعل ذلك.

* **قوله: عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «لا تحلفوا بآبائكم»**، ففي هذا دليل عن النهي بالحلف بالآباء، ولا مفهوم له، فقد تقدم النهي عن الحلف بغير الله مطلقاً، وأنه من الشرك.

* **قوله: من حلف بالله فليصدق**، أي: يجب عليه أن يصدق، ولو لم يحلف بالله، فكيف إذا حلف بالله؟

* **قوله: «ومن حُلف له بالله فليرض، ومن لم يرض فليس من الله»**. رواه ابن ماجه بإسناد حسن، أي: هذا وعيد شديد لمن لم يرض، أما إذا لم يكن له بحكم الشريعة على خصمه إلا اليمين: فأحلف فلا ريب أنه يجب عليه الرضى، وأما إذا كان مما يجري بين الناس مما قد يقع في الاعتذارات من بعضهم لبعض ونحو ذلك،

فهذا هي حق المسلم على المسلم، أن يقبل منه إذا حلف له معتذراً أو متبرياً من تهمه، وهو من محاسن الأخلاق ومكارمها، وكمال العقل وقوة الدين.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى**: «**النهي عن الحلف بالآباء**» أي: لقوله: «لا تحلفوا بآبائكم».

* **الثانية**: «**الأمر للمحلوف له بالله أن يرضى**» أي: إذا لم يظهر له كذب الحالف تعظيماً للمحلوف به ورضا بالحكم الشرعي الذي جعل له اليمين على خصمه إذا كان عند حاكم من حكام المسلمين.

* **الثالثة**: «**وعيد من لم يرض**» أي: لقوله: «ومن لم يرض فليس من الله».



٤٤ ـ باب قول: ما شاء الله وشئت

عن قتيلة، أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تشركون، تقولون ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: (ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت) (رواه النسائي وصححه).

وله أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، فقال: (أ جعلتني لله نداً؟ ما شاء الله وحده).

ولابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمها قال: رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود، فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله، قالوا: وإنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته. قال: (هل أخبرت بها أحداً؟)، قلت: نعم. قال: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (أما بعد؛ فإن طفيلاً رأى رؤيا، أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها. فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده).

***

(الشرح)

* أي: أنه من الشرك؛ لما فيه من التسوية بين الخالق والمخلوق في المشيئة.

* **قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن قتيلة «أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تشركون تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت». رواه النسائي وصححه،**
هذا الحديث عن قتيلة بنت صيفي الأنصارية، صحابية، لها هذا الحديث في سنن النسائي، وهذا الحديث يدل على أن التسوية بين الخالق والمخلوق في المشيئة من ألفاظ الشرك، لأن النبي ﷺ أقر اليهودي على جعل ذلك من الشرك بقوله انكم تشركون فنهى النبي ﷺ عن قول ما شاء الله وشئت، وأرشد إلى أن يقولوا ما شاء الله ثم شئت، ونهى النبي ﷺ عن الحلف بالكعبة التي حجها فرض، وهذا يوضح أن النهي عن الشرك بالله عام، لا يصلح منه شيء، لا لملك مقرب ولا نبي مرسل، ولا الكعبة التي هي بيت الله في أرضه.

* **قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وله أيضاً عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا «أن رجلاً قال: للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت. قال: أجعلتني لله ندّاً؟ بل ما شاء الله وحده،** ففي ذلك دليل على أن من سوى العبد بالله ولو في الشرك الأصغر فقد جعله نداً لله؛ لقوله: «**أجعلتني لله ندا؟**» أي: شريكاً، استفهام إنكار، أي: ليس لك أن تسويني بالله، هذا مع أن الله قد أثبت للعبد مشيئة، فكيف وأشد من ذلك وأعظم من قال في قصيدته المسماة (بالبردة):

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك

عند حلول الحادث العمم

إلى آخر ما ذكر أي: البوصيري في قصيدته، لا شك أن هذا أشد وأشنع، من قول

ما شاء الله وشئت، بل القصيدة فيها ألفاظ من الشرك الأكبر، وقد جعل عياذه ولياذه بغير الله.

* **قوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: **ولابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمها**، الطفيل: هو ابن عبدالله بن الحارث الأزدي، صحابي له هذا الحديث قال البغوي: لا اعلم له غيره، قدم أبوه عبدالله مكة قبل الإسلام، فحالف أبا بكر، وتوفي عن أم رومان، فخلف عليها أبو بكر، فولدت له عبدالرحمن وعائشة.

* **قال: «رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله**، أي: نعم القوم أنتم، لولا ما أنتم عليه من الشرك والمسبة لله بنسبة الولد إليه.

* **قالوا: وإنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد**، عارضوه بشيء مما في المسلمين من الشرك الأصغر، أي: إنكم نعم القوم أنتم لولا ما فيكم من هذا الشرك، وهو قولهم ما شاء الله وشاء محمد، وكذلك جرى له مع نفر من النصارى، ففي ذلك معرفة اليهود والنصارى للشرك وإن كان أصغر، وهم مع ذلك يشركون بالله الشرك الأكبر.

* **قوله: ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته، فقال: هل أخبرت بها أحداً؟ قلت: نعم، قال: فحمد الله وأثنى عليه**، في هذا أنه

جرى له مع نفر من النصارى، كما جرى له مع اليهود، وفي هذا سُنَّة تقديم حمد الله والثناء عليه في الخطب ونحوه.

* **قوله: ثم قال: أما بعد فإن طفيلا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده،** أي: أنه يمنعني الحياء، لأنه يكره أن يقولوا ما شاء الله وشاء محمد، ولكنه يستحي أن ينهاهم، لأن لم يؤمر بذلك، كما جاء في رواية أحمد والطبراني: «إنكم كنتم تقولون كلمة كان يمنعني الحياء منكم أن أنهاكم عنها»، لكن لما علم أنها من الشرك في الرؤيا الصالحة، خطبهم ونهى عن ذلك نهياً بليغاً.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى:** «**معرفة اليهود بالشرك الأصغر**» أي: لقوله: «إنكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت».. إلخ.

* **الثانية:** «**فهم الإنسان إذا كان له هوى**» أي: أن اليهود والنصارى لما كان لهم هوى على المسلمين فهموا ما يعيبونهم به وهو قولهم: «تقولون ما شاء الله وشاء محمد».

* **الثالثة: قوله ﷺ: «أجعلتني لله نداً» فكيف بمن قال: «ما لي من ألوذ به سواك» والبيتين بعده،** أي: إذا كان هذا قد جعله لله ندا بقوله: ما شاء الله وشئت، فكيف بقول البوصيري في البردة: يا أكرم الخلق.. إلخ ما ذكر، فهذا أعظم شركاً

ومحادة لله ورسوله.

❊ **الرابعة**: «**أن هذا ليس من الشرك الأكبر لقوله: يمنعني كذا وكذا**» أي: قوله: ما شاء الله وشاء محمد، ليس بشرك أكبر لقوله: يمنعني كذا وكذا، يعني الحياء كما ثبت في رواية أحمد والبيهقي بإسناد صحيح ولو كن شركاً أكبر لبادرهم بالإنكار عليهم والنهي عنه.

❊ **الخامسة**: «**أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي**» أي: لقوله: «إن طفيلاً رأى رؤيا».

❊ **السادسة**: «**أنها قد تكون سبباً لشرع بعض الأحكام**»، أي: إذا كان ذلك في وقت التشريع كما في هذا الحديث أما بعد ذلك فلا.



٤٥ ـ باب من سب الدهر فقد آذى الله

وقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾.

في الصحيح عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: (قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر، أقلب الليل والنهار)، وفي رواية: (لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر).

***

(الشرح)

* ومناسبة هذا الباب للكتاب، هي أن سب الدهر يتضمن الشرك، لأنه اعتقد أن الدهر فاعل مع الله فهو مشرك، وإن اعتقد أن الله وحده هو الذي فعل ذلك، فقد سب من فعله تعالى الله وتقدس.

* **قوله: وقول الله تعالى:** ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ **الآية**، أي: أن المشركين من العرب والفلاسفة بتكذيبهم بالبعث بعد الموت، قالوا: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ يموت قوم ويعيش آخرون، وما ثم معاد ولا قيامة، ولهذا قالوا: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ أي: ما يفنينا إلا ممر الليالي والأيام، فيسبون الدهر، ومناسبة الآية للترجمة، أن من سب الدهر فقد شاركهم في سبه، وإن لم يشاركهم في الاعتقاد.

* **قوله: وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر أقلب الليل والنهار»**، اعلم إن العرب كانت في جاهليتها من شأنها ذم الدهر، أي: سبه عند النوازل، فكانوا إذا أصابهم

شدة أو بلاء أو ملامة قالوا: أصابتهم قوارع الدهر، وأبادهم الدهر، فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ويسبونه، وإنما فاعل ذلك هو الله، فنهى الله عن سب الدهر بهذا الاعتبار، ويبين ذلك قوله في رواية: (بيدي الأمر أقلب الليل والنهار)، وتقليبه تصرفه تعالى فيه بما يحبه الناس ويكرهونه.

* **قوله في الحديث: وفي رواية: «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر»**، يعني أن ما يجري فيه من خير وشر إنما هو بإرادة الله وتدبيره، بعلمٍ منه تعالى وحكمة، فالواجب حمده في الحالتين، وحسن الظن به سبحانه، والرجوع إليه بالتوبة والإنابة، قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، وسبُّ الدهر متضمن للشرك، فإنما سبه لظنه أنه يضر وينفع، وأنه مع ذلك ظالم، وهذا محرم لا يجوز لنهيه تعالى عن سب الدهر.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى: «النهي عن سب الدهر»** أي: لقوله: «لا تسبوا الدهر».

* **الثانية: «تسميته أذى لله»** أي: لقوله: «يؤذيني ابن آدم يسب الدهر».

* **الثالثة: التأمل في قوله: «فإن الله هو الدهر»** أي: مصرف الدهر لقوله: «أدبر الليل والنهار».

* **الرابعة: «أنه قد يكون سباً ولو لم يقصده»** أي: لكونه جعل ذلك سباً بمجرد القول ولم يفرق بين من قصد ومن لم يقصد.



٤٦ ـ باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه

في الصحيح عن أبي هريرة ﵁، عن النبي ﷺ قال: (إن أخنع اسم عند الله: رجل تسمى ملك الأملاك، لا مالك إلا الله).

قال سفيان: مثل (شاهان شاه).

وفي رواية: (أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه). قوله (أخنع) يعني أوضع.

***

(الشرح)

* أي: سلطان السلاطين، وسيد السادات، وهذا النهي من أجل صيانة وحماية التوحيد.

* **قوله** ﵀: **في الصحيح عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك، لا مالك إلا الله»**، قوله أخنع يعني أوضع، لأنه تسمى ملك الأملاك، ولا مالك أعظم ولا أكبر من الله، فهو مالك الملك، وأزمة الملوك بيده، فالذي تسمى بذلك وارتقى إلى ما ليس له بأهل، فصار أحقر اسم عند الله يوم القيامة.

* **قوله: قال سفيان: مثل شاهان شاه**، أي: قال ذلك سفيان ﵀، عن النهي عن ذلك مستدلاً بالحديث فلا ينحصر بملك الأملاك، بل كل ما أدى إلى هذا المعنى هو داخل في الحديث.

* **قوله** رحمه الله: **وفي رواية: (أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه)، قوله: (أخنع) يعني أوضع،** أي: هذا هو معنى أخنع، والخانع الذليل فيفيد ما تقدم في معنى أغيظ أنه يكون حقيراً بغيضاً عند الله، والحديث رواه مسلم.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى: «النهي عن التسمي بملك الأملاك»** أي: لقوله: «إن أخنع اسم».. إلخ.

* **الثانية: «أن ما في معناه مثله كما قال سفيان»** أي: ما كان في معنى ملك الأملاك فهو مثله في النهي عنه كما مثل سفيان بن عيينة أحد الرواة بـ «شاهان شاه» وهو عبارة عن ملك الملوك عند العجم.

* **الثالثة: «التفطن للتغليظ في هذا ونحوه مع القطع بأن القلب لم يقصده»** أي: أن التغليظ المذكور لمن تسمى بذلك ولو لم يقصد حقيقته لكون النهي مطلقا من غير فرق بين القاصد وغيره.

* **الرابعة: «التفطن أن هذا لأجل الله سبحانه»** أي: أن هذا النهي لأجل الله سبحانه أن يسمى غيره بشيء لا يليق إلا به جل وعلا.



٤٧ ـ باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبي شريح: أنه كان يكنى أبا الحكم؛ فقال له النبي ﷺ: (إن الله هو الحكم، وإليه الحكم)، فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني، فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين فقال: (ما أحسن هذا فما لك من الولد؟) قلت: شريح، ومسلم، وعبدالله. قال: (فمن أكبرهم؟)، قلت: شريح، قال: (فأنت أبو شريح) (رواه أبو داود وغيره).

***

(الشرح)

* اعلم أن تغيير الاسم من أجل تحقيق التوحيد واحترام أسماء الله تعالى وتعظيمها واجب.

* **قوله** رحمه الله: **عن أبي شريح، أنه كان يكنى أبا الحكم،** أبو شريح هو هانئ بن يزيد الكندي، أسلم يوم الفتح، قال ابن سعد مات بالمدينة سنة ٦٨هـ، وقوله: (والأكنية) ما صدر بأم أو أب، وقد تكون بالأوصاف كأبي المعالي، أو بما يلابسه كأبي هريرة، وأما اللقب فهو ما أشعر بمدح كـ (زين العابدين) ونحوه، أو ذم كأنف الناقة ونحوه.

* **قوله: أبا الحكم،** الحكم اسم من أسماء الله تعالى، وهذه الصفة لا تجوز إلا لله، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾.

*** قوله في الحديث: فقال النبي ﷺ: إن الله هو الحكم، وإليه الحكم،** فالحكم إلى الله، هو الحكم إلى كتابه وكذا الرد إليه هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول هو الرد إليه في حياته وإلى سنته بعد وفاته، ففي هذا الحديث دليل على المنع من التسمي بأسماء الله تعالى المختصة به.

*** قوله: فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين، فقال: ما أحسن هذا،** لما صار أبو شريح صاحب إنصاف وتحر للعدل بينهم، والإرضاء لهم من الجانبين استحسنه ﷺ، لأن مدار صلحه على الرضا لا على الإلزام، ولا على أحكام الكهان وأهل الكتاب، ولا إلى أوضاع الجاهلية، التي فيها الخروج عن حكم الله ورسوله، قال تعالى: ﴿ **أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ** ﴾، وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ وهذا الحكم محرم لا يجوز، لأنه حكم بين الخصمين برأيه وهواه، أو يحكم بالقوانين اليونانية الوضعية، وهذا لا يجوز، أما أبو شريح فإنه يتحرى الإنصاف والعدل ولا يحكم ولا يلزم، بل يصلح ومدار صلحه على الرضى بالعدل والإنصاف.

*** قوله: فما لك من الولد؟ قلت: شريح ومسلم وعبدالله، قال فمن أكبرهم؟ قلت: شريح. قال فأنت أبو شريح. رواه أبو داود وغيره،** فيه دليل على أن السُنَّة أن يكنى الإنسان بأكبر أبنائه، فإن لم يكن له أبناء فيكنى بأكبر بناته، وكذلك المرأة، وأما تغيير الرسول ﷺ لكنيته؛ فلأن الحكم اسم من أسماء الله على الإطلاق لا يجوز التسمي به.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى:** «**احترام أسماء الله وصفاته ولو لم يقصد معناه**» أي: بترك تسمية المخلوق بها ولو لم يقصد معناه الخاص بالله.

* **الثانية:** «**تغيير الاسم لأجل ذلك**» أي: كما غير التكنية بأبي الحكم إلى أبي شريح وقال: «إن الله هو الحكم».

* **الثالثة:** «**اختيار أكبر الأبناء للكنية**» أي: لقوله: «فمن أكبرهم» قال: شريح. قال: «فأنت أبو شريح».



٤٨ ـ باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

وقول الله تعالي: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾.. الآية.

عن ابن عمر، ومحمد بن كعب، وزيد بن أسلم، وقتادة ـ دخل حديث بعضهم في بعض ـ: أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء ـ يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القرّاء ـ فقال له عوف بن مالك: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ. فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره فوجد القرآن قد سبقه. فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله! إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب، نقطع به عنا الطريق. فقال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله ﷺ، وإن الحجارة تنكب رجليه ـ وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب ـ فيقول له رسول الله ﷺ: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ ما يتلفت إليه وما يزيده عليه.

***

(الشرح)

* اعلم أن ذلك منافٍ للتوحيد، وكفر لاستخفافه بالربوبية والرسالة.

* قوله رحمه الله: وقول الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ الآية، أي: ولئن سألت يا محمد هؤلاء الذين تكلموا بكلمة الكفر، ليقولنَّ: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ أي: لم نقصد الاستهزاء والتكذيب، فأخبرهم الله على

لسان رسوله ﷺ أن عذرهم هذا لا يغني عنهم من الله شيئاً، بهذه المقالة التي استهزؤا كما في قوله تعالى: ﴿قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾؛ وقوله: ﴿إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ﴾ أي: مخشى بن حمير الأشجعي، فسمي عبدالرحمن، وسأل الله بأن يقتل شهيداً لا يعلم مكانه، فقتل يوم اليمامة فلم يوجد له أثر، وقوله: ﴿نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ﴾ أي: لا يعفى عن جميعكم، وقوله: ﴿بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ﴾ أي: بهذه المقالة.

* قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة دخل حديث بعضهم في بعض، أي أن لفظ الحديث عنهم، ومحمد بن كعب هو بن سليم بن أسد أبو حمزة القرظي من حلفاء الأوس، وكان أبوه من سبي قريظة، روى عن جماعة من الصحابة، ثقة عالم، توفي سنة ١٢٠هـ، وزيد بن أسلم هو العدوي مولى عمر، المدني، ثقة عالم.

* **قوله: أنه «قال رجل في غزوة تبوك»**، وغزوة تبوك كانت في رجب سنة ٩هـ، أي: جماعة من المنافقين منهم وديعة بن ثابت.

* **قوله: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً**، أي: أوسع، يريد كثرة الأكل، وهذا من افتراء المنافقين، فإن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أقنع الناس، وأحسنهم اقتصاداً في الأكل وغيره.

* **قوله: ولا أكذب ألسنا**، أي: إن المنافقين قالوا ذلك، وكذبوا كما وصفهم الله بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾ والصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ عدول بالإجماع، اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه وحفظه، وهم من الصدق بالمنزلة العالية.

* **قوله: ولا أجبن عند اللقاء، يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء**، يعنون لقاء العدو، وقد كذبوا، بل إن المنافقين هم الجبناء، كما قال تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾، وشجاعة الصحابة رضي الله عنهم مشهورة، وما ظهر منهم من الشجاعة والبطولة لا يعرف له نظير.

* **قوله: فقال له عوف بن مالك: كذبت ولكنك منافق**، أي: فلما سمع قول المنافق بادر بالإنكار بشدة، وقال له كذبت، أي: فيما نسبته إلى الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم.

* **قوله: لأخبرن رسول الله ﷺ، فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره، نعم**، ذكر أفعال الفساق لولاة الأمور ليردعوهم، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا من الغيبة والنميمة، بل من النصيحة لله ورسوله ﷺ وللأئمة المسلمين وعامتهم.

* **قوله: فوجد القرآن قد سبقه**، أي: قد جاء الوحي من الله بما قالوه، ونزل القرآن، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه.

* **قوله: فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق**، أي: أنهم لم يقصدوا حقيقة الاستهزاء، وإنما قصدوا الخوض واللعب، كما يتحدث الركبان، لترويح أنفسهم، وتوسيع صدورهم.

* **قوله: قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله ﷺ، قوله:** نسعة بكسر النون سير مضفور عريض يشد به الرحال، والحقب أيضاً حبل أو سير يشد به الرحال في بطن البعير.

* **قوله: وإن الحجارة لتنكب رجليه**، وقال محمد بن كعب وغيره: وإن رجليه ليسفعان الحجارة، وما يلتفت إليه، وفي رواية ابن إسحاق: فقال وديعة بن ثابت ورسول الله ﷺ واقف على راحلته، فجعل يقول وهو آخذ بحقبها: يا رسول الله: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾.

* **قوله: وهو يقول: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ فيقول له رسول الله ﷺ: ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾، ما يلتفت إليه ولا يزيده عليه**، أي: ما يلتفت رسول الله ﷺ إلى المنافق فيقبل توبته، ولا يزيده على * قوله: ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾، وهذا الأثر رواه ابن جرير.

❖ فيه مسائل وإيضاحها:

* **الأولى: «وهي العظيمة أن من هزل بهذا أنه كافر»** أي: لقوله: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾.

* **الثانية: «أن هذا هو تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائنا من كان»** أي: من استهزأ بالله وآياته ورسوله فقد دلت الآية على أنه كافر على أي: حالة وقع ذلك وبأي فعل كان.

* **الثالثة: «الفرق بين النميمة وبين النصيحة لله ولرسوله»** أي: أن ما ذكره عوف من كلام هؤلاء من النصيحة لا من النميمة لأنها نقل الحديث بين الناس على جهة الإفساد بينهم.

* **الرابعة**: «**الفرق بين العفو الذي يحبه الله وبين الغلظة على أعداء الله**» أي: أنه لم يعف عن هؤلاء لكونهم يستحقون الغلظة وهي المناسبة في حقهم لا العفو الذي يحبه الله لكونه غير مناسب هنا.

* **الخامسة**: «**أن من الاعتذار ما لا ينبغي أن يقبل**» أي: مثل اعتذار هؤلاء، والسبب والله أعلم أنهم غير صادقين في ذلك.



٤٩ ـ باب ما جاء في قول الله تعالى:

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى ...﴾ الآية.

قال مجاهد: هذا بعملي وأنا محقوق به. وقال ابن عباس: يريد من عندي.

وقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ قال قتادة: على علم مني بوجوه المكاسب. وقال آخرون: على علم من الله أني له أهل. وهذا معنى قول مجاهد: أوتيته على شرف.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (إن ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص، وأقرع، وأعمى. فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكاً، فأتى الأبرص، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به، قال: فمسحه، فذهب عنه قذره، وأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو البقر ـ شك إسحاق ـ فأعطي ناقة عشراء، وقال: بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأقرع، فقال أي شيء أحب إليك قال: شعر حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به فمسحه، فذهب عنه، وأعطي شعراً حسناً، فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: البقر، أو الإبل، فأعطي بقرة حاملاً، قال: بارك الله لك فيها. فأتى الأعمى، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إليَّ بصري؛ فأبصر به الناس، فمسحه، فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطي شاة والداً؛ فأنتج هذان وولد هذا، فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم، قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته. فقال: رجل مسكين، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال، بعيراً أتبلغ به في سفري، فقال: الحقوق كثيرة. فقال له: كأني أعرفك،

ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيراً، فأعطاك الله عَزَّوَجَلَّ المال؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر، فقال: إن كنت كاذباً فصيّرك الله إلى ما كنت. قال: وأتى الأقرع في صورته، فقال له مثل ما قال لهذا، وردّ عليه مثل ما ردّ عليه هذا، فقال: إن كنت كاذباً فصيّرك الله إلى ما كنت. وأتى الأعمى في صورته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك بالذي ردّ عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري، فقال: كنت أعمى فردّ الله إليَّ بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله. فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك) (أخرجاه).

***

(الشرح)

* **اعلم**: أن زعم الإنسان استحقاقه ما حصل له من النعم بعد الضراء مناف لكمال التوحيد، لأنه كفر نعمة الله إذ لم ينسبها إليه تعالى.

* **قوله: قال مجاهد: هذا بعملي وأنا محقوق به،** أي: بكسبي وأنا خليق به وجدير به، وقول مجاهد هذا رواه عبد بن حميد وابن جرير بنحوه.

* **وقوله: وقال ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**: يريد من عندي،** يعني قوله: ﴿هَٰذَا لِي﴾ أي: من عندي.

* **وقوله:** ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾ **قال قتادة: على علم مني بوجوه المكاسب، على علم عندي،** على خبر عندي رواه عبد بن حميد وابن المنذر وقال

ابن كثير قال قتادة.

❊ **وقوله: وقال آخرون: على علم من الله أني له أهل،** ذكره السدي والبغوي وابن جرير وغيرهم.

❊ **وقوله: وهذا معنى قول مجاهد: أوتيته على شرف،** أي: على علم من الله أني له أهل، وما ذكروه ليس فيه اختلاف، وإنما من إفراد المعنى، ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ﴾، وقال تعالى: ﴿بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ﴾ أي: إنما أنعم عليه ليختبره فيما أنعم به عليه، أيطيع أم يعصي؟ مع علم الله المتقدم في ذلك، لكن ابتلاه ليظهر ما علمه الله.

❊ **وقوله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وعن أبي هريرة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **أنه سمع رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يقول: «إن ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى»** البرص داء، وهو بياض يظهر في ظاهر البدن، والأقرع هو داء يصيب الإنسان في رأسه، ثم ينتهي بزوال الشعر أو بعضه، والأعمى من فقد بصره، ولا يقع إلا على العينين جميعاً.

❊ قوله: فأراد الله أن يبتليهم، أي: يختبرهم بنعمته كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾.

❊ **قوله: فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص فقال: أي: شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذَّرني الناس به،** ومعنى **قذرني الناس به،** أي كرهوا مخالطتي، ونفروا عني، واستأذوا من رؤيتي، بسبب ما ابتليت به من البرص.

* **قوله: قال: فمسحه فذهب عنه قذره، فأعطي لوناً حسناً، وجلداً حسناً، قال: فأي المال أحب إليك؟**، أي: أنه لما مسحه زال عنه البرص، ثم خيره في أنفس الأموال، ليحصل له أكبر النعم البدنية والمالية إختباراً.

* **قوله: قال: الإبل، أو البقر شك إسحاق**، أي: ابن عبدالله بن أبي طلحة، راوي الحديث.

* **قوله: فأعطي ناقة عُشَرَاء**، وهي: الحامل التي أتى على حملها عشرة أشهر أو ثمانية، وقيل: يقال لها إلى أن تلد.

* **قوله: فقال: بارك الله لك فيها**، أي: دعا له الملك بالبركة، فأجاب الله دعوته.

* **قوله: قال: فأتى الأقرع فقال: أي: شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به**، أي وعابوني به.

* **قوله: فمسحه فذهب عنه، وأعطي شعراً حسناً**، بعد أن كان أقرع يقذره الناس، وقد تقدم.

* **قوله: قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر أو الإبل، فأعطي بقرة حاملا، وقال: بارك الله لك فيها**، أي: دعا له الملك بالبركة، كما دعا لمن قبله، وحاملاً أي: حبلى، ولم يقل حاملة؛ لأن هذا نعت لا يكون إلا للإناث.

* **قوله: قال: فأتى الأعمى فقال: أي: شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري، فأبصر به الناس، فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: أي: المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطي شاة والدا**، أي: ذات ولد، ودعا له بالبركة.

* **قوله: فأنتج هذان وولد هذا،** أي: تولى صاحب الناقة وصاحب البقرة نتاجهما، وولد هذا بتشديد اللام أي: تولى ولادها، فالمولد والناتج والقابلة بمعنى واحد.

* **قوله: فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم،** أي: كان لكل واحد منهم ما يملأ الوادي من الإبل والبقر والغنم.

* **قوله: قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته،** أي: الملك أتى في صورة الأبرص التي كان عليها أولاً تذكيراً له بحالته الأولى.

* **قوله: فقال: رجل مسكين وابن سبيل،** أي: أنى رجل مسكين ومسافر.

* **قوله: قد انقطعت بي الحبال في سفري،** أي: أسباب المعيشة في سفري، وقيل الطريق أراد أن يذكره لحالته، ليتيقظ المخاطب.

* **قوله: فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك،** أي: فلا وصول لي إلى مرادي إلا بالله سبحانه ثم بك، إظهارا لشدة حاجته إليه.

* **قوله: أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن والمال، بعيراً أتبلغ به في سفري،** لأنه سأله بالله الذي أعطاه هذه الأشياء عدد عليه ما أنعم الله به عليه ليكون أرق له، سأله أن يعطيه ما يتبلغ عليه أي: أتوصل عليه إلى مرادي.

* **قوله: فقال: الحقوق كثيرة،** أي: حقوق المستحقين من المال كثيرة، فلا يحصل لك بعير، وهو إنما أراد دفعه، وليس بصادق.

❋ **قوله في الحديث: فقال: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيراً فأعطاك الله عَزَّوَجَلَّ المال**، يذكره المَلَك ما كان عليه من قبل، وما أنعم الله به عليه، ليعترف لله.

❋ **قوله: فقال: إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر**، أي: جحد نعمة الله عليه مع قرب تجددها، فلم يقر لله بنعمة، ولم ينسبها إليه، ولا أدى حقه فيها، قال: ورثت هذا، أي: ورث هذا المال من كبير، ورثه عن كبير آخر في الشرف، وحل عليه السخط، لمبالغته في جحد النعمة وكفر مسديها.

❋ **قوله: فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت**، أي: ردك الله إلى ما كنت عليه سابقا من البرص والفقر.

❋ **قوله: قال: ثم إنه أتى الأقرع في صورته، فقال له مثل ما قال لهذا**، أي: قال للأقرع مثل ما قاله للأبرص، رجل مسكين وابن سبيل، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك الشعر الحسن، والجلد الحسن، بقرة أتبلغ بها في سفري.

❋ **قوله: ورد عليه مثل ما رد عليه هذا**، أي: رد الأقرع كرد الأبرص على هذا السائل بقوله: الحقوق كثيرة، فقال له المَلَك: ألم تكن أقرع يقذرك **الناس، فقيرا فأعطاك الله المال؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر.**

❋ **قوله: فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت**، أي: إلى ما كنت عليه قبل من القرع والفقر.

* **قوله: قال: ثم إنه أتى الأعمى في صورته وهيئته**، أي: المَلَك.

* **قوله: فقال: رجل مسكين وابن سبيل، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك وأعطاك المال شاة أتبلغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري، فخذ ما شئت، ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله** عَزَّوَجَلَّ، أي: لا أشق عليك في رد شيء تأخذه أو تطلبه من مالي.

* **قوله: فقال: أمسك عليك مالك، فإنما ابتليتم، يعني أنت والأقرع والأبرص،** أي: اختبرتم هل تشكرون نعمة ربكم عليكم أم لا؟.

* **قوله: «فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك» أخرجاه**، أي: البخاري ومسلم وهذا لفظه، فالأعمى اعترف بنعمة الله عليه، ونسبها إلى من أنعم عليه بها، وأدى حق الله فيها، فحصل له الرضى من الله بقيامه بشكر النعمة، مما أتى بأركانها الإقرار بها، ونسبتها إلى المنعم، وبذلها فيما يحب، وأما الأقرع والأبرص فإنهما كفرا نعمة الله عليهما، فاستحقا السخط بذلك.

* **قال ابن القيم:** الشكر هو الاعتراف بإنعام المنعم على وجه الخضوع له والذل والمحبة، فمن لم يعرف النعمة لم يشكرها، ومن عرفها ولم يعرف المنعم بها لم يشكرها أيضاً.

* ومن عرف النعمة والمنعم لكن جحدها فقد كفرها، ومن عرفها وعرف المنعم بها وأقر بها، ولكن لم يخضع له، ولم يحبه ولم يرض به وعنه، لم يشكرها أيضاً،

ومن عرفها وعرف المنعم بها، وأقربها وخضع للمنعم بها وأحبه ورضي به وعنه، واستعملها في رضاه وطاعته، فهذا هو الشاكر لها.. اهـ.

❋ وعلى من شكر الله تعالى أن يستحضر الإخلاص لله تعالى، ولا يشكر من أجل أن تبقى له النعمة فقط، بل يرجو ذلك من الله تعالى مع أنه يطلب مرضاة الله تعالى والعمل بما يحبه سبحانه.

❖ فيه مسائل وإيضاحها:

❋ **الأولى**: «**تفسير الآية**» أي: قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا ﴾ الآية.

❋ **الثانية**: «**ما معنى قوله**: ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾» أي هذا بعملي وأنا محقوق به.

❋ **الثالثة**: «**ما معنى قوله**: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾» أي: على علم مني بوجوه المكاسب.

❋ **الرابعة**: «**ما في هذه القصة العجيبة من العبر**» أي: قصة هؤلاء الثلاثة فإن الأولين جحدا نعمة الله فحل عليهما ما حل من سخط الله والثالث اعترف بنعمة الله وشكرها فحصل له رضا الله عَزَّ وَجَلَّ عنه.



٥٠ ـ باب ما جاء في قول الله تعالى:

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ...﴾ الآية.

قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم معبَّد لغير الله؛ كعبد عمر، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطلب.

وعن ابن عباس رَضِوَاللَّهُعَنْهُ في الآية قال: لما تغشاها آدم حملت، فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعاني أو لأجعلن له قرني أيل، فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلن ولأفعلن ـ يخوفهما ـ سَّمياه عبد الحارث، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتاً، ثم حملت، فأتاهما، فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتاً، ثم حملت، فأتاهما، فذكر لهما فأدركهما حب الولد، فسمياه عبد الحارث فذلك قوله تعالى: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ (الأعراف: ١٩٠) (رواه ابن أبي حاتم).

وله بسند صحيح عن قتادة قال: شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته. وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ (الأعراف: ١٨٩)، قال: أشفقا ألا يكون إنساناً، وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما.

***

(الشرح)

* قوله: قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله، أي: أن التسميه بعبد عمر وعبد الكعبة حرام لا تجوز، وابن حزم: هو أبو محمد علي بن أحمد

الأندلسي القرطبي، صاحب التصانيف توفي سنة ٤٥٦هـ.

* **قوله: اتفقوا على تحريم،** أي: لأنه شرك في الربوبية والإلهية، فإن الخلق كلهم عبيد لله، خلقهم لعبادته وتوحيده في ربوبيته وإلهيته.

* **قوله: كعبد عمر وعبد الكعبة وما أشبه ذلك،** أي: لأن أهل الجاهلية يعبدون أولادهم لآلهتهم، كعبد اللات وعبد مناة، ولذا فإن التسمية بذلك لا تجوز.

* **قوله: حاشا عبدالمطلب،** هذا استثناء من العموم، أي: لم يتفقوا على تحريم التسمية به، لأن أصله من عبودية الرق، وذلك أن عمه المطلب بن هاشم، قدم به من أخواله إلى مكة، فرآه أهل مكة وقد تغير لونه بالسفر فحسبوه عبداً للمطلب، فقالوا: هذا عبدالمطلب، وإلا كان اسمه شيبة، وأيضاً يجوز في الإخبار ما لا يجوز في الإنشاء، كما يقال بنو عبد شمس وبنو عبد الدار ونحو ذلك، كما قال رسول ﷺ أنا ابن عبدالمطلب.

* **قوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: **وعن ابن عباس في الآية قال: لما تغشاها آدم حملت فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة، لتطيعاني أو لأجعلن له قرني أَيِّل،** الأيل: ذكر الأوعال، يخوفهما بكونه يجعل للولد قرني وعل.

* **قوله: فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلن ولأفعلن يخوفهما،** أي: إن لم يطيعاه كادهما، وفعل ما ذكر على زعمه.

* **قوله: سمياه عبد الحارث، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتاً،** أي: ابتلاء من الله سبحانه وامتحان.

* **قوله: ثم حملت، فأتاهما، فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه، ثم حملت فأتاهما فذكر لهما، فأدركهما حب الولدفسمياه عبد الحارث، فذلك قوله تعالى: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾.**

* **رواه ابن أبي حاتم،** أي أدركهما: حب سلامة الولد وهذا من الامتحان.

* **قوله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وله بسند صحيح عن قتادة قال: شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته،** أي: أنهما أطاعاه في التسمية، ولم يطيعاه في العبادة.

* **قوله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ قال: أشفقا أن لا يكون إنساناً،** أي: خافا أن لا يكون الولد إنساناً، أو غير تام الخلقة، وكانت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا إذا بشرت بالمولود لم تسأل أذكر هو أم أنثى، بل تسأل عن خلقته، هل هو ولد سوي أم لا؟.

* **قوله: وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما،** أي: ذكر ابن أبي حاتم معنى قول مجاهد عن الحسن البصري وسعيد بن جبير وغيرهما من التابعين، وقال ابن كثير: كأن أصله والله أعلم مأخوذ من أهل الكتاب، وأما نحن فعلى مذهب الحسن في هذا، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، وإنما المراد المشركون من ذريته، ولهذا قال: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ وساق ما رواه غير واحد عن الحسن أن هذا كان في بعض أهل الملل ولم يكن بآدم، وذكر أن الخبر المرفوع لو كان محفوظاً لما عدل عنه هو ولا غيره، فدل على أنه موقوف، ويحتمل أنه من بعض أهل الكتاب.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى:** «**تحريم كل اسم معبد لغير الله**» أي: لما فيه من الإشراك مع الله في الربوبية.

* **الثانية:** «**تفسير الآية**» أي: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا﴾ أي: سالما سويا ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ حيث عبَّداه لغير الله.

* **الثالثة:** «**أن هذا الشرك في مجرد تسمية لم تقصد حقيقتها**» أي: أن التسمية بعبد الحارث إنما هو شرك بمجرد التسمية فقط ولم يقصد حقيقة ما أراده الشيطان من التعبيد له.

* **الرابعة:** «**أن هبة الله للرجل البنت السوية من النعم**» أي: لما أنهما حلفا أن يشكرا الله إذا آتاهما صالحاً، أي: سويّاً لا عيب فيه ولم يفرقا بين كونه ذكراً أو أنثى دل ذلك على أن هبة الله للإنسان البنت السوية من النعم خلافاً لما اشتهر عند العرب من كراهة البنات.

* **الخامسة:** «**ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة**» أي: أن ما جرى بين الأبوين إن صح عنهما مجرد موافقة في التسمية فقط وهذا من شرك الطاعة وهو لا يصل إلى الشرك الأكبر ولم يقصدا حقيقة التعبيد للشيطان الذي هو الشرك الأكبر وهذا من إظهار العذر للأبوين.



٥١ ـ باب ما جاء في قول الله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ ... الآية

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾: يشركون.

وعنه: سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز. وعن الأعمش: يدخلون فيها ما ليس منها.

***

(الشرح)

* اعلم أنه لا يجوز للعبد أن يتوسل بالذوات والجاه، وإنما المشروع أن يتوسل بالأسماء الحسنى والصفات العليا والأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾، والدعاء بها على نوعين: دعاء ثناء وعبادة، ودعاء طلب ومسألة، فيثنى على الله بأسمائه الحسنى، ويسأل بها، فيكون السائل متوسلاً بذلك الاسم، كقول رب اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم، وكذلك يجوز التوسل بالأعمال الصالحة كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾، وكما جاء في الحديث عن عبدِ الله بنِ عمرَ بن الخطابِ رضي الله عنهما، قَالَ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**انطَلَقَ ثَلاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى آوَاهُمُ المَبيتُ إِلى غَارٍ فَدَخلُوهُ، فانْحَدرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الغَارَ، فَقالُوا: إنَّهُ لاَ يُنْجِيكُمْ مِنْ هذِهِ الصَّخْرَةِ إلاَّ أنْ تَدْعُوا اللهَ بصَالِحِ أعْمَالِكُمْ، قَالَ رجلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوانِ شَيْخَانِ كبيرانِ، وكُنْتُ لا أغْبِقُ قَبْلَهُمَا أهْلاً ولاَ مالاً، فَنَأَى**

بِي طَلَب الشَّجَرِ يَوْماً فلم أَرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَينِ، فَكَرِهْتُ أنْ أُوقِظَهُمَا وَأَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلاً أو مالاً، فَلَبَثْتُ ـ والْقَدَحُ عَلَى يَدِي ـ أنتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُما حَتَّى بَرِقَ الفَجْرُ والصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَقَدَميَّ، فاسْتَيْقَظَا فَشَرِبا غَبُوقَهُما، اللَّهُمَّ إنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلِكَ ابتِغَاء وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هذِهِ الصَّخْرَةِ، فانْفَرَجَتْ شَيْئاً لا يَسْتَطيعُونَ الخُروجَ مِنْهُ.

* قَالَ الآخر: اللَّهُمَّ إنَّهُ كانَتْ لِيَ ابْنَةُ عَمّ، كَانَتْ أَحَبَّ النّاسِ إليَّ ـ وفي رواية: كُنْتُ أُحِبُّها كأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النساءَ ـ فأَرَدْتُهَا عَلَى نَفْسِهَا فامْتَنَعَتْ منِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بها سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ فَجَاءتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمئةَ دينَارٍ عَلَى أنْ تُخَلِّيَ بَيْني وَبَيْنَ نَفْسِهَا فَفعَلَتْ، حَتَّى إذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، وفي رواية: فَلَمَّا قَعَدْتُ بَينَ رِجْلَيْهَا ـ قالتْ: اتَّقِ اللهَ وَلاَ تَفُضَّ الخَاتَمَ إلاّ بِحَقِّهِ، فَانصَرَفْتُ عَنْهَا وَهيَ أَحَبُّ النَّاسِ إليَّ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أعْطَيتُها، اللَّهُمَّ إنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلِكَ ابْتِغاءَ وَجْهِكَ فافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فيهِ، فانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ مِنْهَا.

* وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ وأَعْطَيْتُهُمْ أجْرَهُمْ غيرَ رَجُل واحدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهبَ، فَثمَّرْتُ أجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنهُ الأمْوَالُ، فَجَاءنِي بَعدَ حِينٍ، فَقالَ: يَا عبدَالله، أَدِّ إِلَيَّ أجْري، فَقُلْتُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أجْرِكَ: مِنَ الإبلِ وَالبَقَرِ والْغَنَمِ والرَّقيقِ، فقالَ: يَا عبدَ الله، لاَ تَسْتَهْزِىءْ بي! فَقُلْتُ: لاَ أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فاسْتَاقَهُ فَلَمْ يتْرُكْ مِنهُ شَيئاً، اللَّهُمَّ إنْ كُنتُ فَعَلْتُ ذلِكَ ابتِغَاءَ وَجْهِكَ فافْرُجْ عَنَّا مَا نَحنُ فِيهِ، فانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ» (مُتَّفَقٌ عليهِ).

* أما التوسل بذوات الأموات كأن يقول أسألك ياالله بجاه هذا النبي أو بجاه الرجل الصالح فلان، وما شابه ذلك فهذا لا يجوز لأنه بدعة، وأما طلب الدعاء من الأحياء كأن يقول يا فلان، يا أخي، ادعُ الله لي فهذا جائز لأنه طلب من حي حاضر قادر أن يدعو الله له.

* **وقوله:** ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ أي: اتركوهم وأعرضوا عن مجادلتهم: ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ وعيد شديد وتهديد أكيد ﴿يُلْحِدُونَ﴾ الإلحاد فيها: الميل بالإشراك والتعطيل والنكران، فالإلحاد فيها إما بجحدها أو معانيها وتعطيلها أو تحريفها وإخراجها عن الحق.

* **قوله** رحمه الله: **ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس: يشركون،** صوابه عن قتادة كما تقدم.

* **قوله: وعنه: سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز،** رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس، وكذلك أثر الأعمش رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس، وعن مجاهد: اشتقوا اللات من الله، واشتقوا العزى من العزيز.

* **قوله: وعن الأعمش: يدخلون فيها ما ليس منها،** أي: يدخلون في أسماء الله ما لم يسم بها نفسه، ولم يسمه بها رسوله ﷺ كتسمية اللات من الإله ونحوه. والأعمش اسمه سليمان بن مهران أبو محمد الكوفي الفقيه، ثقة حافظ ورع، ولد سنة ٦١هـ، ومات سنة ١٤٧هـ.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

❋ **الأولى:** «**إثبات الأسماء**» أي: لقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ﴾.

❋ **الثانية:** «**كونها حسنى**» أي: لقوله: ﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

❋ **الثالثة:** «**الأمر بدعائه بها**» أي: لقوله: ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾.

❋ **الرابعة:** «**ترك من عارض من الجاهلين الملحدين**» أي: لقوله: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾.

❋ **الخامسة:** «**تفسير الإلحاد فيها**» أي: الميل بها عن الصواب كتسميته بما لم يسم به نفسه واشتقاق أسماء المعبودات من أسمائه وتشبيهه بخلقه وجحد ما وصف وسمى به نفسه وغير ذلك.

❋ **السادسة:** «**وعيد من ألحد**» أي: لقوله: ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.



٥٢ ـ باب لا يقال السلام على الله

في الصحيح عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان، فقال النبي ﷺ: (لا تقولوا السلام على الله، فإن الله هو السلام).

***

(الشرح)

* أي: لما كان قول (السلام) دعاء وطلب جاء النهي عن ذلك أي: أن يقال السلام على الله لأن الله سبحانه هو المدعو والمطلوب منه، فإنه سبحانه هو الغني له ما في السماوات وما في الأرض، وهو السالم من كل تمثيل ونقص، وكل سلامة ورحمة فهي من الله، وهو مالكها ومعطيها، فهو السلام ومنه السلام، لا إله غيره. ولا رب سواه، وأما العبد فهو بحاجة إلى الدعاء له بالسلامة من الشر كله.

* **قوله: في الصحيح عن «ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا إذا كنا مع رسول الله ﷺ في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده السلام على فلان وفلان، أي: يقولون ذلك في التشهد السلام على فلان وفلان،** وفي رواية يعنون من الملائكة وفي رواية على جبريل وميكائيل، وفلان وفلان.

* **قوله: فقال النبي ﷺ: لا تقولوا السلام على الله، فإن الله هو السلام،** وقوله: (فإن الله هو السلام) فيه أن السلام اسم من أسماء الله تعالى وصفة من صفاته

ومعناه أن الله سالم من كل نقص ومن كل تمثيل، فهو الموصوف بكل كمال، المنزه عن كل عيب ونقص، السلام مصدر، وهو من ألفاظ الدعاء، يتضمن الإنشاء والإخبار، فجهة الخبرية فيه لا تناقض الجهة الإنشائية، فتضمن معنيين أحدهما ذكر الله، والثاني طلب السلامة، وهو مقصود المُسَلِّم، إذا قال السلام عليكم عند التحية.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى**: «**تفسير السلام**» أي: أنه السالم من الآفات والنقائص والعيوب أو بمعنى الذي سلم عباده.

* **الثانية**: «**أنه تحية**» أي: لقوله: «**كنا نقول: السلام على الله السلام على فلان**».

* **الثالثة**: «**أنها لا تصلح لله**» أي: لقوله: «**لا تقولوا السلام على الله**».

* **الرابعة**: «**العلة في ذلك**» أي: لأن الله هو السلام فلا حاجة إلى أن يدعى له بذلك.

* **الخامسة**: «**تعليمهم التحية التي تصلح لله**» أي: قوله: «**التحيات لله**» إلخ.



٥٣ ـ باب قول: اللهم اغفر لي إن شئت

في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة، فإن الله لا مكره له).

ولمسلم: (وليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه).

***

(الشرح)

* أي: أن الاستثناء في الدعاء لا يجوز، لأنه يدل على فتور الرغبة، وقلة الاهتمام بالمطلوب، وينبئ عن قلة اكتراثه بذنوبه ورحمة ربه، وذلك مضاد للتوحيد.

* **قوله: في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت؛ ليعزم المسألة،** أي: ليجزم في مسألته، وليحقق رغبته، ويتيقن الإجابة؛ فإنه إذا قال إن شئت دل على فتور الرغبة وقلة الاهتمام بالمطلوب إن حصل وإلا استغنى عنه، ودل على قلة معرفته بذنوبه وبرحمة ربه، كما أنه لا يكون موقنا بالإجابة، ولما روى أحمد: «**فأسألوا وأنتم موقنون بالإجابة، فأن الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل**».

* **قوله: فإن الله لا مكره له،** أي: فإن الله سبحانه لا يعطي عبده شيئاً عن كراهة كما في لفظ مسلم: «**ليعزم على المسألة في الدعاء، فإن الله صانع ما شاء لا مكره له**» فلا فائدة بتقييده بالمشيئة.

* **قوله: ولمسلم «وليعظم الرغبة،** بالتشديد أي: الطلبة وهوالحاجة التي يريد في سؤاله ربه، فإنه سبحانه يعطي العظائم كرماً وجوداً وإحساناً، وليلح في السؤال، فإن الله يحب الملحين في الدعاء.

* **قوله في الحديث: فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه،** يقال: تعاظم زيد هذا الأمر أي: كبر عليه وعسر، أي: ليس شيء عند الله بعظيم، وإن عظم في نفس المخلوق لكمال فضله وجوده، وكرمه سبحانه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

❖ فيه مسائل وإيضاحها:

* **الأولى:** «**النهي عن الاستثناء في الدعاء**» أي: لقوله: «**لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت**».

* **الثانية:** «**بيان العلة**» أي: لأن الله لا مكره له.

* **الثالثة:** «**قوله ليعزم المسألة**» أي: يجزم في سؤاله ربه ولا يعلق ذلك على المشيئة.

* **الرابعة:** «**إعظام الرغبة**» أي: لقوله: «**وليعظم الرغبة**».

* **الخامسة:** «**التعليل لهذا الأمر**» أي: لأن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه.



٥٤ ـ باب لا يقول عَبْدِي وأَمَتِي

في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: (لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضيء ربك، وليقل: سيدي ومولاي، ولا يقل: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي، وغلامي).

***

(الشرح)

* أي: لما في ذلك من إيهام المشاركة في الربوبية.

* **قوله: في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: لا يقل أحدكم أطعم ربك وضئ ربك،** نهى عن ذلك، وإن لم يقصد بذلك التشريك في الربوبية، حسماً لمادة التشريك بين الخالق والمخلوق، وتحقيقاً للتوحيد، وبعداً عن الشرك حتى في اللفظ، وأما قول رب الدار، ورب الدابة لصاحبها فلا بأس.

* **قوله: وليقل: سيدي ومولاي،** لأن مرجع السيادة إلى معنى الرئاسة على ما تحت يده، ولذلك يسمى الزوج سيدا، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾، وقال الرسول ﷺ (إن ابني هذا سيد)، وأما المولى فهو كثير التصرف من وليٍّ مناصر وابن عم وحليف وعتيق، وأصله من ولاية أمره وإصلاحه، فلا يمنع منه أن يوصف به مالك الرقبة.

* **قوله: ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي،** لأنه إدخال مملوكه تحت هذا الاسم

يوهم التشريك؛ لأن حقيقة العبودية إنما يستحقها الله سبحانه وتعالى، ففي إطلاق هاتين الكلمتين عبدي وأمتي على غير الله تشريك في اللفظ، فنهاهم عن ذلك تعظيماً لله وأدباً معه، وبعداً عن الشرك، وتحقيقاً للتوحيد، وقد روى أبو هريرة مرفوعاً: «**لا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، ولا يقول المملوك: رب وربتي، وليقل المالك: فتاي وفتاتي، وليقل المملوك: سيدي وسيدتي، فإنكم المملوكون والرب الله** عَزَّوَجَلَّ» (رواه أبو داود بإسناد صحيح).

* **قوله: وليقل فتاي وفتاتي وغلامي**، لأن قول فتاي وفتاتي وغلامي ليست دالة على الملك كدلالة عبدي وأمتي، وإن كان قد ملكه امتحانا وابتلاء من الله لخلقه، ففي هذا الباب تحقيق التوحيد حتى بالألفاظ.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى**: «**النهي عن قول عبدي وأمتي**» أي: لقوله: «لا يقل أحدكم» لأن العبيد عبيد الله والإماء إماء الله.

* **الثانية**: «**لا يقول العبد ربي ولا يقال له أطعم ربك**» أي: لقوله: «لا يقل أحدكم أطعم ربك» لأن الرب على الإطلاق هو الله وهذا النهي كله من باب الأدب لا من باب التحريم لورود ما يدل على جوازه.

* **الثالثة**: «**تعليم الأول قول فتاي وفتاتي وغلامي**» أي: تعليم الذي نهي عن قول عبدي وأمتي أن يقول فتاي وما ذكر معه.

❋ **الرابعة**: «**تعليم الثاني قول سيدي ومولاي**» أي: تعليم الذي نهي أن يقول أطعم ربك قول سيدي ومولاي.

❋ **الخامسة**: «**التنبيه للمراد وهو تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ**» أي: أن النهي عن هذه الألفاظ من باب تحقيق التوحيد في الألفاظ.



٥٥ - باب لا يرد من سأل بالله

عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: (من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى ترون أنكم قد كافأتموه) (رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح).

***

(الشرح)

* أي: من إعظام الله وإجلاله، أن لا يرد من سأل بالله أو بوجه الله تعالى.

* **قوله** رَحِمَهُ اللهُ: **عن ابن عمر** رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا **قال: قال رسول الله** ﷺ: «**من استعاذ بالله فأعيذوه**، تعظيماً لله وتقرباً إليه بذلك، فإذا قال: أعوذ بالله من شرك، أو شر فلان فامنعوا الشر عنه وكفوا عنه، وكف عنه؛ لتعظيم اسم الله.

* **قوله: ومن سأل بالله فأعطوه**، أي: إذا قال: أسألك بالله أو بوجه الله، كما في حديث ابن عباس: (من سألكم بوجه الله فأعطوه)، رواه أحمد وأبوداود، وفي رواية له: (من سألكم بالله)، ولعل المراد فيما لا مشقة فيه ولا ضرر، لما روى الطبراني عن أبي موسى مرفوعاً: (ملعون من سئل بوجه الله ثم منع سائله، ما لم يسأل هجراً) وهذا الحديث حسَّنه العراقي والألباني، والشاهد منه قوله هجراً أي: شيء لا يليق فإنه لا تلزمه إجابته، ولا يأثم من منعه وبعضهم ضعف هذا الحديث الذي رواه الطبراني كابن منده، وقال: وذلك أنه ثبت عن الرسول ﷺ، أنه سأل بوجه الله واستعاذ بوجه الله، وأمر من سأل بوجه الله أن يُعطى إعظاماً لله، وهيبة

منه أن يرد من سأل به، فتبين أن الذي يجب إعطاؤه، هو ما كان مضطراً إليه فيجب دفع ضرورته، حسب القدرة، فيما لا مشقة فيه ولا ضرر.

* **قوله: ومن دعاكم فأجيبوه،** أي: من دعاكم إلى طعام فأجيبوه، وهذا يدل على تأكيد إجابة الدعوة إلى وليمة العرس وغيرها، وهذا من حقوق المسلمين بعضهم على بعض، ما لم يكن منكراً أو يجر إلى منكر، أو يشاهد منكرا لا يستطيع تغييره.

* **قوله: ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه،** أي: من أحسن إليكم أي: إحسان فكافئوه على إحسانه بمثله أو خيرٍ منه، لأن المكافأة على المعروف من المروءة التي يحبها الله ورسوله، والمكافأة تخلص القلب من رق إحسان الخلق، ولاشك أنك إذا لم تكافئ من صنع إليك معروفاً بقي في قلبك له نوع تأله، فشرع قطع ذلك بالمكافأة ولو كافراً، إذ منة المسلم أسلم من منة الكافر.

* **قوله: فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له، حتى تروا أنكم قد كافأتموه،** أي: فإن لم تقدروا على مكافأته فادعوا له حتى تحصل المكافأة، لأن الدعاء في حق من لم يجد المكافأة، يقوم مقام المكافأة للمعروف، وروى الترمذي وغيره وصححه النسائي وابن حبان عن أسامة مرفوعاً: (من صنع إليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيراً، فقد أبلغ في الثناء).

* **قوله: رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح،** وكذلك رواه أحمد بإسناد صحيح وابن حبان والحاكم، وصححه النووي وغيره.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

❊ **الأولى**: «**إعاذة من استعاذ بالله**» أي: أنه يكف عنه تعظيماً للمستعاذ به وهو الله.

❊ **الثانية**: «**إعطاء من سأل بالله**» أي: تعظيماً للمسؤول به إذا لم يكن على المسؤول ضرر وإلا ففي الحديث: «لا ضرر ولا ضرار».

❊ **الثالثة**: «**إجابة الدعوة**» أي: لقوله: «**ومن دعاكم فأجيبوه**» وهذا إذا لم يكن ثم مانع من الإجابة.

❊ **الرابعة**: «**المكافأة على الصنيعة**» أي: لقوله: «**ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه**».

❊ **الخامسة**: «**أن الدعاء مكافأة لمن لم يقدر إلا عليه**» أي: لقوله: «فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له».

❊ **السادسة**: «**قوله: حتى ترو أنكم قد كافأتموه**» أي: بمعنى تعلموا على رواية من رواه بفتح التاء، وبمعنى تظنوا على رواية من رواه بضمها.



٥٦ ـ باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يسأل بوجه الله إلا الجنة).. (رواه أبوداود).

***

(الشرح)

* أي: لا يجوز ذلك إعظاماً لله وإجلالاً، أن يسأل بوجهه العظيم شيئاً من أمور الدنيا، ما لم يرد به غاية المطالب وهي الجنة، أو الإعانة على أعمال الآخرة الموصلة إلى الجنة.

* **قوله: عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يسأل بوجه الله إلا الجنة)، رواه أبوداود،** روي بالنفي والنهي، وبالبناء للمجهول، وهو الذي في الأصل، وقد جاءت أحاديث في استعاذة النبي ﷺ بنور وجه الله، كحديث دعائه ﷺ في منصرفه من الطائف حين كذبوه: (اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي)، وفي آخره: (أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات)، ولكن هذا مما يقرب إلى الجنة أو يمنع من الأعمال التي تمنع منها خلاف ما يختص بالدنيا مع قطع النظر عن كونه أراد بذلك ما يعينه على عمل الآخرة، وفي هذا الحديث إثبات صفة الوجه لله على ما يليق بجلاله وعظمته، من غير تكييف ولا تمثيل، خلافاً لتأويل الجهمية له بالذات فإنه باطل، إذ لا يسمى ذات الشيء وحقيقته وجهاً.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى**: «**النهي عن أن يسأل بوجهه إلا غاية المطالب**» أي: الجنة وما يقرب إليها ويباعد من النار وذلك تعظيماً لوجه الله.

* **الثانية**: «**إثبات صفة الوجه**» أي: لله على ما يليق بجلاله وعظمته.



٥٧ ـ باب ما جاء في الـ «لـو»

وقول الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا...﴾ **الآية.**

وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ ... ﴾ **الآية.**

في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا؛ ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان).

***

(الشرح)

أي: من الوعيد والنهي عنه، لما فيه من الإشعار بعدم الصبر، والأسى على ما فات مما لا يمكن استدراكه، والممنوع في (لو) التلهف على أمور الدنيا طلباً أو هرباً، لا تمني القربات.

* قوله: وقول الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ الآية، أي: يُسرُّ بعض المنافقين هذه المقالة في أنفسهم يوم أحد، معارضة للقدر، ورد الله عليهم بقوله: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾.

* وقوله: قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ ﴾ الآية، وهذه أيضاً معارضة من المنافقين للقدر، فرد الله عليهم بقوله: ﴿قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ ﴾.

* **قوله: في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «احرص على**

ما ينفعك، هذا الحديث في صحيح مسلم، فأوله: (**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير احرص**)، بالكسر والفتح من باب ضرب وسمع، احرص على ما ينفعك، أي: بذل الجد واستفراغ الوسع في طلب ما ينفعك في معاشك ومعادك، في فعل الأسباب التي تنفع العبد في دنياه وأخراه، مما شرعه الله لعباده أو أباحه لهم.

* **قوله: واستعن بالله**، أي: مع الحرص على فعل الأسباب يطلب العون من الله فيتوكل على الله في تيسير ذلك، والإعانة عليه، كما في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾.

* **قوله: ولا تعجزن،** أي: نهاه عن العجز وأرشده قبل وقوع المقدور إلى ما هو من أعظم أسباب حصوله، وهو الحرص عليه مع الاستعانة بالله.

* **قوله: وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا وكذا. ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل. فإن (لو) تفتح عمل الشيطان،** ومعنى ذلك أي: أن العبد لا يعجز عن مأمور، ولا يجزع من مقدور، بل عليه الحرص على النافع والاستعانة بالله، وفيه النهي عن قول لو، وأنها تفتح عمل الشيطان، لما فيها من التأسف على ما فات، والتحسر والحزن ولوم القدر، فيأثم بذلك، وذلك من عمل الشيطان، وما ذاك لمجرد لفظ (لو)، بل لما قارنها من الأمور القائمة بقلبه، المنافية لكمال الإيمان، الفاتحة لعمل الشيطان، وقد جاءت أحاديث بجواز قول لو وذلك، في ما لا اعتراض فيه على قدر ولا كراهة فيه، لأنه إنما أخبر عن مراده فيما كان يفعل لولا المانع، وكذلك قوله: «**لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي**»، ونحوه فهو إخبار لهم

عما كان يفعل في المستقبل لو حصل، ولا خلاف في جواز ذلك، وإنما ينهى عما هو في معارضة القدر، أو مع اعتقاد أن ذلك المانع لو ارتفع لوقع خلاف المقدور.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى**: «**تفسير الآيتين في آل عمران**» أي: قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾، وهذا قاله بعض المنافقين يوم أحد لخورهم وجبنهم.

* **الثانية**: «**النهي الصريح عن قول «لو» إذا أصابك شيء**» أي: لقوله: «وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت».

* **الثالثة**: «**تعليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان**» أي: أن النهي عن لو لكونه يفتح عمل الشيطان ولا فائدة فيه.

* **الرابعة**: «**الإرشاد إلى الكلام الحسن**» أي: قول: «قدر الله وما شاء فعل».

* **الخامسة**: «**الأمر بالحرص على ما ينفع مع الاستعانة**» أي: كما دل عليه الحديث وهذا عين الكمال فإن لم يحرص أو حرص على ما لا ينفعه أو حرص على ما ينفعه ولم يستعن بالله فاته مقصوده.

* **السادسة**: «**النهي عن ضد ذلك وهو العجز**» أي: ضد الحرص على ما ينفع وهو العجز فكم فوت العبد على نفسه بسبب ذلك مع تمكنه.



٥٨ ـ باب النهي عن سب الريح

عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أمرت به) (صححه الترمذي).

***

(الشرح)

* اعلم أن مسبتها مسبة لله تعالى واعتراض عليه، وهو قدح في التوحيد لأنها إنما تهب عن إيجاد الله لها وأمره إياها.

* **قوله** رحمه الله: **عن أبي بن كعب** رضي الله عنه، هو ابن قيس بن عبيد بن مريد بن معاوية ابن النجار، أبو المنذر الأنصاري، سيد القراء، قال له النبي ﷺ: (ليهنك العلم أبا المنذر)، وقال له: (أمرني ربي أن أقرأ عليك)، قيل: إنه مات في خلافة عمر، وقيل في خلافة عثمان سنة ٣٠ هـ.

* **قوله: أن رسول الله ﷺ قال: لا تسبوا الريح،** أي: لا تشتموها ولا تلعنوها للحوق ضرر فيها، فإنها خلق من خلق الله مقهور مدبر، فلا يجوز سبها فيرجع السبُّ إلى من خلقها وسخرها.

* **قوله: فإذا رأيتم ما تكرهون، فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها، وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها وشر**

ما أمرت به، صححه الترمذي، أي: إذا رأيتم من الريح إما شدة حرها أو بردها أو قوتها، فارجعوا إلى ربكم بالتوحيد، ففيه عبودية الله وحده، والطاعة له، والإيمان به، واستدفاع الشرور به، والتعرض لفضله ونعمته، وهذه حال أهل التوحيد، وفي الصحيح عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت كان النبي ﷺ إذا عصفت الريح قال: «اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به»، وأما ما روي: (اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً) فإنه ليس بصحيح؛ بل قال الطحاوي لا أصل له.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

❊ **الأولى**: «**النهي عن سب الريح**» أي: لقوله: «لا تسبوا الريح».

❊ **الثانية**: «**الإرشاد إلى الكلام النافع إذا رأى الإنسان ما يكره**» أي: يقول: «اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح» إلخ الحديث.

❊ **الثالثة**: «**الإرشاد إلى أنها مأمورة**» أي: لقوله: «ما أمرت به».

❊ **الرابعة**: «**أنها قد تؤمر بخير وقد تؤمر بشر**» أي: لقوله: «نسألك خير ما أمرت به ونعوذ بك من شر ما أمرت به».



٥٩ ـ باب قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ﴾ ..الآية ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ﴾ ..الآية

قال ابن القيم في الآية الأولى: فسّر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وفسر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته، ففسر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله، وأن يظهره الله على الدين كله. وهذا هو الظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح، وإنما كان هذا ظن السوء؛ لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق، فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره أو أنكر أن يكون قدره بحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة، فذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار.

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده.

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتاً على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك: هل أنت سالم؟

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة
وإلا فإني لا أخالك ناجياً

***

(الشرح)

* أي: أن حسن الظن بالله من واجبات التوحيد، وأن سوء الظن بالله يناقض التوحيد، وظنَّ هؤلاء المنافقون أن المشركين لما ظهروا تلك الساعة أنها الفيصلة، وأن الإسلام قد باد وأهله، وهذا شأن أهل الريب والشك إذا حصل أمر من الأمور الفظيعة، تحصل لهم هذه الأمور الشنيعة.

* وقوله: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِۖ﴾، أي: على الذين يتهمون الله في حكمه، ويظنون بالرسول ﷺ وأصحابه أن لا ينصروا على أعدائهم، وأن يقتلوا ويذهبوا بالكلية، عليهم دائرة العذاب: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾.

* **قوله: قال ابن القيم في الآية الأولى**، أي: على ما تضمنته وقعة أحد: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ الآية.

* **قوله: فسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وأن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته،** أي: يذهب ويتلاشى، حتى لا يبقى له أثر، والاضمحلال ذهاب الشيء جملة، أي: هذا التفسير تفسير غير واحد من المفسرين، كقتادة والسدي وغيرهما، ذكره ابن جرير وغيره.

* **قوله: ففسر بإنكار الحكمة،** فإن من أنكر أن ذلك لم يكن لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد والشكر فقد ظن بالله ظن السوء.

* **قوله: وإنكار القدر،** أي: وفسر ظنهم بالله ظن السوء بإنكار القدر **من أنهم**

لو لم يخرجوا ما قتلوا.

* **قوله: وإنكار أن يتم أمر رسوله، وأن يظهره على الدين كله**، أي: هذا من ظن السوء قال تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾.

* **قوله: وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح**، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾.

* **قوله: وإنما كان هذا ظن السوء،لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه**، لأن الذي يليق به سبحانه أن يظهر الحق على الباطل وينصره، قال تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾

* **قوله: وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق**، الذي لا يخلفه وبكلمته التي سبقت لرسله أنه ينصرهم ولا يخذلهم، ولجنده بأنهم هم الغالبون، فمن ظن أنه لا ينصر رسوله ولا يتم أمره ولا يؤيده ويؤيد حزبه، فقد ظن به ظن السوء، فإن حمده وعزته وإلهيته تأبى ذلك، وتأبى أن يذل حزبه وجنده، وأن تكون النصرة للمشركين.

* **قوله: فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق**، أي: اضمحلالاً لا يقوم بعده أبدا فقد ظن به ظن السوء.

* **قوله: أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة، فذلك**: ﴿ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾، أى أن تلك الأسباب المكروهة المفضية إليها

لا يخرج تقديرها عن الحكمة، لإفضائها إلى ما يحب، وإن كانت مكروهة له، فما قدرها سدى، ولا شاءها عبثاً، ولا خلقها باطلاً، بل لحكمة بالغة، وغاية مطلوبة.

* **قوله: وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء، فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم،** لأن كثيراً من الناس يعتقد أنه مبخوس الحق، ناقص الحظ وأنه يستحق فوق ما أعطاه الله.

* **قوله: ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته، وموجب حكمته وحمده ووعده الصادق،** أي: ما يسلم مما تقدم إلا من عرف الله عَزَّوَجَلَّ وأسماءه وصفاته، وموجب حكمته وحمده ووعده الصادق.

* **قوله: فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا،** أي: بما تقدم من الحذر من ظن السوء بالله، ويحرص على مدافعة ذلك من قلبه فيتدبر في معاني أسماء الله وصفاته، وموجب حكمته وحمده ووعد الصادق.

* **قوله: وليتب إلى الله، ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء،** أي: وإن خطر له ذلك فليبادر بالتوبة والاستغفار يدافع ذلك، ويدفع ذلك بحسن الظن بالله، وما له جل وعلا في قضائه وقدره من الحكم التي لا يحصيها إلا هو سبحانه.

* **قوله: ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتا على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا،** أي: فإن البعض يحصل منه اعتراض على القدر سواء فيمن أعطاهم الله ومنَّ عليهم، أو في من قتر عليهم ولم يعلم هذا أن الله سبحانه هو العزيز الحكيم يضع الأشياء مواضعها.

* **قوله: فمستقل ومستكثر،** من الاعتراض على قدر الله وحكمه.

* **قوله: وفتش نفسك هل أنت سالم؟ فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة،** أي: تنجو من أمر عظيم خطره وذنبه.

* **قوله: وإلا فإني لا إخالك ناجياً،** أي: لا أظنك ناجياً من الاعتراض على القدر، وهذا على وجه التحذير والانتباه للنفس وما تكنه، وتفتيش ذلك من أجل إخراجه ومدافعته.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى: «تفسير آية آل عمران»** أي: قوله: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ الآية، أي: خلاف ما ورد به الشرع.

* **الثانية: «تفسير آية الفتح»** أي: قوله تعالى: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ الآية، أي: خلاف ما أخبر به في كتابه وسنة رسوله ﷺ.

* **الثالثة: «الإخبار بأن ذلك أنواع لا تحصر»** أي: ظن السوء بالله أنواع لا تحصر.

* **الرابعة: «أنه لا يسلم من ذلك إلا من عرف الأسماء والصفات وعرف نفسه»** أي: لا يسلم من ظن السوء بربه إلا من عرف أسماء الله وصفاته وأنه المنزه عن السوء، الموصوف بكل خير وكمال، وعرف نفسه وأنها مأوى كل سوء فظن بها ذلك دون ربه العزيز الحكيم.



٦٠ ـ باب ما جاء في منكري القدر

قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: والذي نفس ابن عمر بيده، لو كان لأحدهم مثل أُحُد ذهباً، ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر. ثم استدل بقول النبي ﷺ: (الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره) (رواه مسلم).

وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه: (يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فقال: رب، وماذا أكتب؟ قال: أكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة)، يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من مات على غير هذا فليس مني).

وفي رواية لأحمد: (إن أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال له: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة).

وفي رواية لابن وهب: قال رسول الله ﷺ: (فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار).

وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي قال: أتيت أبي بن كعب، فقلت: في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي، فقال: (لو أنفقت مثل أُحُد ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار). قال: فأتيت عبدالله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وزيدبن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ. (حديث صحيح رواه الحاكم في صحيحه).

(الشرح)

* أي: من الوعيد الشديد، والقدر ما يقدره الله من القضاء، فيجب الإيمان بالقضاء والقدر لأنه من أركان الإيمان الستة، فنؤمن أن الله تعالى خالق كل شيء، وربه ومليكه، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم، قدر أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، ولكن غلاة القدرية ينكرون علمه المتقدم، وكتابته السابقة، ويقولون: الأمر أُنف، وعامة القدرية ينكرون أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فينكرون مشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، وينكرون أن للعباد إرادات وأفعالاً حقيقة وأن الله خالق أفعالهم وإراداتهم.

* قوله: وقال ابن عمر رضي الله عنهما: (**والذي نفس ابن عمر بيده لو كان لأحدهم مثل أحد ذهباً ثم أنفقه في سبيل الله، ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر، ثم استدل بقول النبي** ﷺ: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»**)** (رواه مسلم)، ففي هذا الحديث دليل على أن الايمان بالقدر، من أصول الايمان الستة المذكورة، ومن لم يؤمن بالقدر خيره وشره فقد ترك أصلاً من أصول الدين وجحده.

* **قال المصنف** رحمه الله: **وعن عبادة بن الصامت** رضي الله عنه **أنه قال لابنه: يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان**، نعم إن للإيمان حلاوة وطعماً، من ذاقه تسلى به عن الدنيا وما عليها.

* **قوله: حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله** ﷺ **يقول:** «**إن أول ما خلق الله القلم**، أي: أول شيء خلقه قبل خلق السماوات والأرض، لا قبل خلق العرش، لما ثبت في النصوص الصحيحة أن

العرش خلق أولاً، وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً، فكان أول ما خلق الله القلم فأمره أن يكتب ما هو كائن).

* **قوله: فقال له: اكتب. فقال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة، يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من مات على غير هذا فليس مني)**، ففيه بيان شمول علم الله تعالى وإحاطته بما كان وما يكون في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾، هذا الحديث رواه أحمد والترمذي، وعبادة ابن الصامت راوي الحديث صحابي جليل وابنه الوليد بن عبادة ولد في عهد النبي ﷺ، أنصاري مدني ثقة من كبار التابعين مات بعد السبعين.

* **قوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: **وفي رواية لأحمد: (إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب فجرى في تلك الساعة إلى ما هو كائن إلى يوم القيامة)**، وتمامه: يا بني إن مت ولست على ذلك دخلت النار.

* **قوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: **وفي رواية لابن وهب،** هو عبدالله بن وهب أبو محمد المصري الثقة الفقيه، صاحب مالك، جمع وصنف وحفظ عن أهل الحجاز ومصر وغيرهم ولد سنة ١٢٥هـ، ومات سنة ١٩٧هـ.

* **قوله: قال: قال رسول الله ﷺ: (فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار)**، وهذا وعيد شديد أعاذنا الله من النار.

* **وقوله: وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي،** أي: وفي مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود وابن ماجه عن عبدالله بن فيروز الديلمي نسبة إلى جبل الديلم، أبو بسر بالمهملة ويقال: بالمعجمة، أخو الضحاك، من أبناء الفرس، وفيروز: قاتل

الأسود العنسي، وعبدالله هذا ثقة من كبار التابعين.

* **قوله: قال: أتيت أُبي بن كعب فقلت: «في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي،** أي: يحصل عنده اضطراب، بما وقع في نفسه من القدر، فقال لأبي حدثني بشيء لعل ذلك يزيل ذلك ويُذهب ما أجد، **فقال له أُبي: (لو أنفقت مثل أحد ذهبا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار)،** فقوله هذا فيه وعيد شديد على من لم يؤمن بالقدر،والحجة الواضحة على نفاة القدر من المعتزلة وغيرهم، وأن قولهم واعتقادهم في القدر باطل مخالف لما عليه المتبعون لهدي الرسول ﷺ، من الإيمان بالقدر خيره وشره، وأن جميع الأمور الكائنة خيرها وشرها بقضاء الله وقدره وإرادته، ومشيئته وأمره.

* **قوله: قال: فأتيت عبدالله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ حديث صحيح رواه الحاكم في صحيحه،** وزيد بن ثابت الأنصاري كاتب النبي ﷺ، وأحد فقهاء الصحابة مات سنة ٤٥ هـ، وله ٥٦ سنة.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى: «بيان فرض الإيمان بالقدر»** أي: لقوله: «لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبا ثم أنفقه ما قبل الله منه». إلخ الحديث.

* **الثانية: «بيان كيفية الإيمان به»** أي: أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك.

* **الثالثة**: «**إحباط عمل من لم يؤمن به**» أي: لقوله: «لو أنفقت مثل أحد ذهبا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر».

* **الرابعة**: «**الإخبار بأن أحدا لا يجد طعم الإيمان حتى يؤمن به**» أي: لقوله: «يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تؤمن بالقدر».

* **الخامسة**: «**ذكر أول ما خلق الله**» أي: أنه القلم وهذا على أحد القولين والقول الآخر أنه العرش.

* **السادسة**: «**أنه جرى بالمقادير في تلك الساعة إلى قيام الساعة**» أي: لقوله في الحديث: «فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة».

* **السابعة**: «**براءته ﷺ ممن لم يؤمن به**» أي: لقوله: «من مات على غير هذا فليس مني».

* **الثامنة**: «**عادة السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء**» أي: لقول ابن الديلمي: «وقع في نفسي شيء من القدر فأتيت أبي بن كعب».

* **التاسعة**: «**أن العلماء أجابوه بما يزيل شبهته وذلك أنهم نسبوا الكلام إلى رسول الله ﷺ**» أي: أنه لما سأل أبي بن كعب وابن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت حدثوه عن النبي ﷺ أنه قال: «لو أنفقت مثل أحد ذهبا».. إلخ، ولم يفتوه بالرأي والتكلف.



٦١ ـ باب ما جاء في المصورين

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة). (أخرجاه).

ولهما عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهؤون بخلق الله).

ولهما عن ابن عباس رضي الله عنهما: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم).

ولهما عنه مرفوعاً: (من صوّر صورة في الدنيا كلّف أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ).

ولمسلم عن أبي الهياج قال: قال لي عليّ: (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ألا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته).

***

(الشرح)

* أي: من الوعيد الشديد والتهديد الأكيد، للمضاهاة بخلق الله.

* **قوله رحمه الله:عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي**، أي: إن الإنسان إذا صور الصورة على شكل ما خلقه الله تعالى من إنسان وبهيمة، صار مضاهياً لخلق الله، فصار لا أظلم منه،

وما صوره يعذب به يوم القيامة.

* **قوله: فليخلقوا ذرة**، وهي صغار النمل فيها روح تتصرف بنفسها كهذه الذرة التي خلقها الله، وأنى لهم ذلك؟.

* **قوله: «أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة». أخرجاه**، هذا أيضاً تعجيز لهم، فليخلقوا حبة حنطة فيها طعم تؤكل وتزرع وتنبت، ويوجد فيها ما يوجد في حبة الحنطة، وكذا الشعيرة ونحوها من الحب الذي يخلقه الله، وأنى لهم السبيل إلى ذلك، فإنهم لا قدرة لهم، أي: يخلقوا حبة تنبت إذا زرعت، وما فوق ذلك من خلق حيوان فيه روح، يتصرف بنفسه لا قدرة لهم على ذلك، فإن الله هو المتفرد بذلك لا خالق غيره ولا رب سواه.

* **قوله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **ولهما عن عائشة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا **أن رسول الله** ﷺ **قال: (أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله)**، أي: يشابهون بما يصنعونه ما يصنعه الله، لما في مسلم: (الذين يشبهون بخلق الله)، ولهما من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: (أشد الناس عذاباً المصورون)، فمن صور صورةً لتعبد مع الله أو صورها مضاهاة لخلق الله فهذا كفر، فأما من لم يقصد بها العبادة ولا المضاهاة فهو فاسق صاحب ذنب كبير، فإذا كان هذا من صور صورة على مثال ما خلق الله من حيوان، فكيف بمن سوى المخلوق برب العالمين، وشبهه بخلقه، وصرف له شيئاً من العبادة.

* **قوله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **ولهما عن ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **سمعت رسول الله** ﷺ **يقول: «كل**

مصور في النار»، أي: من صور الصور التي لها روح، بفعله، وهذا من أحاديث الوعيد.

* **قوله: يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم،** أي: تعذبه نفس الصورة بأن يجعل فيها روح، أو يجعل له بكل صورة شخص يعذب به، وهذا من أحاديث الوعيد التي تمر كما جاءت لأنه أبلغ في الزجر، إذا حصل لصانعها فهو حاصل لمستعملها؛ لأنها لا تصنع إلا لتستعمل، ومباشرته تدل أيضاً على رضاه، والنهي عن الصورة على العموم.

* **قوله: ولهما عنه مرفوعاً: (من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ)**، وفي رواية: (**فإن الله يعذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ أبداً**) أي: لا يمكنه ذلك، فيكون معذباً دائما، فالحديث يدل على طول تعذيبه، وإظهار عجزه عما كان تعاطاه، ومبالغة في تحريمه، وبيان قبح فعله، وقد تقدم قوله: (أحيوا ما خلقتم) أي: اجعلوه حيواناً ذا روح كما ضاهيتم به ولا يقدر عليه، فالمراد به الزجر الشديد والوعيد؛ ويستثنى من ذلك تصوير ما لا روح فيه، لقول ابن عباس: (**فإن أبيت فعليك بهذا الشجر**).

* **قال المصنف** رحمه الله: **ولمسلم عن أبي الهياج**، وأبو الهياج اسمه حيان بن حصين الأسدي تابعي ثقة، روى عن علي وعمار.

* **قوله: قال: قال لي علي** رضي الله عنه: «**ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله** صلى الله عليه وسلم **أن لا تدع صورة إلا طمستها**، أي: محوتها، لأحمد: (ولا صورة إلا لطختها)، وفي

الأمر بطمس الصور لما فيها من المضاهاة لخلق الله.

* **قوله: ولا قبراً مشرفاً إلا سويته،** أي: مرتفعاً إلا سويته بالأرض، ويجوز رفعه فوق الأرض شبر، أما البناء عليه وتعليته ورفعه فوق ذلك، أي: فوق الشبر فإنه لا يجوز، لما فيه من الفتنة بأربابها، وتعظيمها وهو أكبر وسائل الشرك وذرائعه.

❖ فيه مسائل وإيضاحها:

* **الأولى:** «**التغليظ الشديد في المصورين**» أي: لقوله: (ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي).. إلخ، وما بعده.

* **الثانية:** «**التنبيه على العلة وهو ترك الأدب مع الله لقوله: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي**» أي: أن المصور على صورة ما خلق الله قد ترك الأدب معه لأنه سبحانه هو الخالق البارئ المصور فلا يليق بغير أن يفعل مثل ذلك.

* **الثالثة:** «**التنبيه على قدرته وعجزهم لقوله: «فليخلقوا ذرة أو حبة أو شعيرة»**» أي: لما تحداهم أن يخلقوا مثل هذا وعجزوا عنه وقدر هو على خلق كل شيء دل ذلك على قدرته وعجزهم.

* **الرابعة:** «**التصريح بأنهم أشد الناس عذابا**» أي: لقوله: (أشد الناس عذاباً الذين يضاهئون بخلق الله) إذا صور ما يعبد من دون الله قاصداً ذلك لأنه يكون كافراً أو أنه من أشد الناس عذاباً كما أشار إليه في فتح الباري.

* **الخامسة: «أن الله يخلق بعدد كل صورة نفسا يعذب بها المصور في جهنم»** أي: لقوله: (يجعل لكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم).

* **السادسة: «أنه يكلف أن ينفخ فيها الروح»** أي: لقوله: (كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ).

* **السابعة: «الأمر بطمسها إذا وجدت»** أي: لقول علي لأبي الهياج: (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع صورة إلا طمستها).



٦٢ - باب ما جاء في كثرة الحلف

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للكسب) (أخرجاه).

عن سلمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: أشيمط زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته، لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه) (رواه الطبراني بسند صحيح).

وفي الصحيح عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً؟ ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن).

وفيه عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته).

قال إبراهيم: كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار.

***

(الشرح)

* أي: من النهي والوعيد.

* **قوله: وقول الله تعالى:** ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾، قال ابن عباس: يريد لا تحلفوا،

وقال ابن جرير: لا تتركوها بغير تكفير، كثرة الحلف يلزم منها كثرة الحنث، مع ما قد يحصل عليه من الاستخفاف بالله، وعدم التعظيم له وغير ذلك مما ينافي كمال التوحيد الواجب.

* **قوله** رحمه الله: **عن أبي هريرة** رضي الله عنه **قال: سمعت رسول الله** صلى الله عليه وسلم **يقول: (الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للكسب). أخرجاه،** قوله: منفقة أي: يروج السلعة والسلعة المتاع المعد للبيع أي: إن الحلف نفاق للسلعة ورواج لها، لكنه ممحقة للكسب أي: ومحو وإذهاب للبركة، وذلك أن الإنسان إذا حلف على سلعة أعطى فيها كذا وكذا أو أنه اشتراها بكذا وكذا، وهو كاذب وإنما حلف طمعاً بالزيادة، فيكون قد عصى الله، ويعاقب بمحق البركة.

* **قوله** رحمه الله: **وعن سلمان** رضي الله عنه، هو أبو عبدالله الفارسي، ويقال له: سلمان الخير، أصله من أصبهان، وفي الصحيح عنه أنه من رام هرمز، توفي سنة ٣٦ هـ، قيل: وله ٣٥٠ سنة.

* **قوله: أن رسول الله** صلى الله عليه وسلم **قال:** «**ثلاثة لا يكلمهم الله،** نفي كلام الله لهؤلاء العصاة وعيد شديد في حقهم، ودليل على أن الله يكلم من أطاعه، وأن الكلام صفة من صفات كماله.

* **قوله: ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم،** أي: لا يثني عليهم، ولا يطهرهم من دنس الذنوب. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ موجع، وهذا زجر عظيم لمن له عقل عن تعاطي هذه الأعمال السيئة.

* **قوله: أُشيمط زان،** وهو الرجل كبير السن الذي شمطه الشيب، وضعف فيه داعي الشهوة، ففعل الزنا دليل على محبة المعصية والفجور، وقلة الخوف من الله وخشيته.

* **قوله: وعائل مستكبر،** أي: فقير ليس له ما يدعوه إلى الكبر؛ فاستكباره مع عدم الداعي إليه يدل على أن الكبر طبيعة له، كامن في قلبه، فعظمت عقوبته، لعدم الداعي إلى هذا الخلق الذميم الذي هو من الكبائر.

* **قوله: ورجل جعل الله بضاعته،** أي: جعل الحلف بالله بضاعته، وسماه بضاعة له لملازمته له، وغلبته عليه، وكل هذه الأعمال تدل على أن صاحبها إن كان موحداً فتوحيده ضعيف، لما ظهر على لسانه وعمله، من تلك المعاصي العظيمة مع قلة الداعي إليها.

* **قوله: لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه. رواه الطبراني بسند صحيح،** وقد جاء في صحيح مسلم من حديث أبي ذر: (ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم). وذكر منهم المنفق سلعته بالحلف الكاذب.

* **قوله: وفي الصحيح عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله** ﷺ: «**خير أمتي قرني،** اختلف في القرن، فقيل: من أربعين إلى مائة، فخير الأمة قرنه عليه الصلاة والسلام، أي: فضيلة ذلك القرن في العلم والإيمان والأعمال الصالحة، لغلبة الخير فيه، وكثرة أهله، وقلة الشر وأهله، واعتزاز الإسلام، وكثرة العلم والعلماء.

* **قوله: ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**، أي: فضل الذين يلونهم على من بعدهم لظهور الإسلام فيهم وكثرة الداعي إليه والراغب فيه، والقائم به، والقرب من نور النبوة، وأما القرن الثالث فهو دون الأولين، لكثرة ظهور البدع فيه، لكن العلماء فيه متوافرون، ردوا البدع وأنكروها.

* **قوله: قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً**، هذا شك من راوي الحديث.

* **قوله: ثم إن بعدكم قوم يشهدون ولا يستشهدون، قوله** قوم بالرفع هكذا في بعض روايات البخاري وغيره، وهي من حيث الإعراب تكون قوماً بالنصب، جوزالعيني رفعه بفعل محذوف تقديره يجيء قوم، يشهدون ولا يستشهدون أي: يتحملون الشهادة من غير تحميل، لما في بعض الألفاظ (**ثم يفشو فيهم الكذب، حتى يشهد الرجل ولا يستشهد**)، ولا تعارض بينه وبين حديث: (**خير الشهداء الذي يأتي بشهادته قبل أن يسألها**)؛ هذا في الذي يأتي بالشهادة عند الحاجه إليها،ولم يعلم بشهادته في ذلك، فهو لأمانته يأتي بشهادته.

* **قوله: ويخونون ولا يؤتمنون**، أي: يخونون من ائتمنهم، ولا يؤتمنون لخيانتهم الظاهرة.

* **قوله: وينذرون ولا يوفون**، أي: لا يوفون ما وجب عليهم بالنذر.

* **قوله: ويظهر فيهم السمن**، وليس المراد مطلق السمن؛ فإنه لا يخلو منه زمان، ولا عيب فيه، إنما المراد التوسع المفرط في المآكل والمشارب، والرغبة في

الدنيا وشهواتها.

* **قوله: وفيه عن ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أن النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، في هذه الرواية** التصريح أن خير القرون ثلاثة من غير شك.

* **قوله: ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته،** فيه التحذير من التسارع في الشهادة واليمين، لأنه يضعف الإيمان، فيخف أمر اليمين والشهادة عنده تحملا وأداء، لقلة خوفه من الله، وعدم مبالاته بذلك.

* **قوله: قال إبراهيم: (كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار)،** إبراهيم هو النخعي، قوله (كانوا يضربوننا) أي السلف الصالح، محافظة منهم على الدين، وتمرين للصغار على طاعة ربهم، ونهيهم عما يضرهم.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأول: «الوصية بحفظ الأيمان» أي: لقوله: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾** ومعناها لا تحلفوا أو لا تحنثوا أو لا تتركوها بغير تكفير.

الثانية: «الإخبار بأن الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة» أي: كما دل عليه حديث أبي هريرة فإنه إذا حلف أخذت منه السلعة ولكن تمحق بركتها وحينئذ لا خير فيها.

* **الثالثة: «الوعيد الشديد فيمن لا يبيع ولا يشتري إلا بيمينه»** أي: أنه من

الثلاثة الذين لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم.

* **الرابعة:** «**التنبيه على أن الذنب يعظم مع قلة الداعي**» أي: لقوله: «أشيمط زان وعائل مستكبر» فإنهما لا داعي لهما إلى المعصية فعظمت عقوبتهما بخلاف الشاب إذا زنى والغني إذا تكبر فإن لهما داعيا إلى ذلك.

* **الخامسة:** «**ذم الذين يحلفون ولا يستحلفون**» أي: لقوله: «تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته».

* **السادسة:** «**ثناؤه ﷺ على القرون الثلاثة أو الأربعة وذكر ما يحدث بعدها**» أي: كما في حديث عمران في الثلاثة وحديث ابن مسعود في الأربعة ثم ذكر ما يحدث بعدها مما يخالف الشرع.

* **السابعة:** «**ذم الذين يشهدون ولا يستشهدون**» أي: لقوله: «يشهدون ولا يستشهدون» وهذا إذا لم يحتج إلى شهادتهم وإلا فقد ورد مدح ذلك.

* **الثامنة:** «**كون السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد**» أي: لئلا يتساهلوا بها كما قال إبراهيم النخعي.



٦٣ ـ باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

وقول الله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ...﴾ الآية.

عن بريدة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، فقال: (اغزوا بسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال ـ أو خلال ـ فآيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم.

قال في فتح المجيد: كذا وقعت الرواية في جميع نسخ مسلم: (ثم ادعهم) بزيادة (ثم)، والصواب إسقاطها: ثمادعهم إلى الإسلام فإن هم أجابوك فاقبل منهم، ثم ادعوهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله تعالى، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فاسألهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم. وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم إن تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه.

وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك. فإنك لا تدري، أتصيب حكم الله فيهم أم لا).. (رواه مسلم).

***

(الشرح)

* أي: من وجوب حفظها والوفاء بها.

وقول الله تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ الآية، أي: أن الله ـ جل وعلا ـ أمر بالوفاء بالعهود والمواثيق، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ تهديد ووعيد.

* **وقوله: عن بريدة** رضي الله عنه، هو ابن حصيب الأسلمي، وهذا الحديث من رواية ابنه سليمان عنه.

* **وقوله: قال: كان رسول الله ﷺ إذا أَمَّرَ أَمِيراً على جيش أو سرية،** الجيش الجنود الذين يزيدون على أربع مائة، والغزاة أو الخيل من المائة إلى الأربع مائة، والسرية هي القطعة من الجيش، سميت سرية لأنها تسري في الليل غالباً، ويخفى ذهابها.

* **قوله: أوصاه بتقوى الله تعالى ومن معه من المسلمين خيراً،** أي: أنه يوصي الأمير بخاصته بتقوى الله، أي: بالتحرز بطاعته من عقوبته، وهي كلمة جامعة

يدخل فيها فعل جميع الطاعات، واجتناب المحرمات، ويوصيه بمن معه من المسلمين أن يفعل معهم خيرا من الرفق بهم، والإحسان إليهم، وخفض الجناح لهم، وترك التعاظم عليهم وغير ذلك.

* **قوله: فقال: اغزوا بسم الله في سبيل الله**، الباء في (بسم الله) هنا للاستعانة بالله، والتوكل عليه، و (في سبيل الله) أي: طاعته كما في الحديث: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ودينه هو الظاهر، فهو في سبيل الله**».

* **قوله: قاتلوا من كفر بالله**، هذا العموم شمل جميع أهل الكفر المحاربين وغيرهم، وقد دلت الأحاديث الأخرى على التخصيص بنهي عن قتل ما له عهد، وعن الرهبان والنسوان ومن لم يبلغ الحلم؛ لأنه لا يكون منهم قتال غالباً، فإن حصل منهم قتال أو تدبير قتلوا.

* **قوله: اغزوا ولا تغلوا، الغلول**: وهو الأخذ من الغنيمة من غير قسمة لها، وقد قال تعالى: ﴿**وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ**﴾.

وقال الرسول ﷺ: «**الغلول عار ونار يوم القيامة**»، والغلول حرام بنهي ﷺ والسلام.

* **قوله: ولا تغدروا، ولا تمثلوا، الغدر**: أي: نقض العهد، والتمثيل التشويه بالقتيل، كجدع أنفه وأذنه ونحو ذلك من العبث به.

* **قوله: ولا تقتلوا وليداً**، الوليد المولود والصبي والعبد، وكذا النساء والرهبان،

لأنهم لا يقاتلون، فإن قاتلوا قتلوا.

* **وقوله: وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خلال أو خصال،** شك من الراوي، ومعناهما واحد، ويفسر أحدهما بالآخر.

* **قوله: فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم،** أي: فإلى أيتهن أجابوك فاقبل منهم، أية منصوب بأجابوا.

* **قوله: ثم ادعهم إلى الإسلام،** هكذا في صحيح مسلم بزيادة: (ثم)، وفي سنن أبي داود إسقاط (ثم)، لأن ذلك هو تفسير الثلاث الخصال لا غيرها، والابتداء بثم يوهم ابتداء بغير الثلاث الخصال المذكورة في الحديث.

* **قوله: فإن أجابوك فاقبل منهم،** أي: فاقبل منهم الإسلام وكف عنهم القتال.

* **قوله: ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، دار المهاجرين** هي المدينة في ذلك الوقت، وكانت الهجرة إليها واجبة على كل من دخل في الإسلام، واستدلوا بهذا على كل من أسلم، وهو في بلد الشرك أن يهاجر إلى بلد الإسلام إذا استطاع.

* **قوله: وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك،** أي: أخبرهم إن تحولوا من دار الشرك إلى دار المدينة.

* **قوله: فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين،** أي: لهم ما لهم من

الفيء والغنيمة ونحو ذلك، وعليهم ما عليهم من الجهاد وغيره.

* **قوله: فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم المسلمين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء**، أي: فإن امتنعوا بعد أن أسلموا من الهجرة، ولم يجاهدوا فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين الساكنين في البادية، فتجري عليهم أحكام الإسلام ولا يعطون من الخمس ولا من الفيء شيئاً، وإنما لهم من الصدقة المأخوذة من أغنيائهم فترد على فقرائهم.

* **قوله: إلا أن يجاهدوا مع المسلمين**، أي: يكون لهم، من الخمس والفيء ونحو ذلك.

* قوله: فإن هم أبوا فاسألهم الجزية، والجزية: هي المال الذي يؤخذ من الكفار، أي من أهل الذمة فقط، وقال بعضهم من كل كافر كتابياً كان أو غيره، واختار شيخ الإسلام ابن تيمية ورجحه ابن القيم وغيره من كل كافر، من الرجال الأحرار البالغين دون غيرهم، ممن كان تحت قهر المسلمين.

* **قوله: فإن هم أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم**، أي: فإن أجابوك إلى الجزية فاقبلها منهم، وكف عن قتالهم.

* **قوله: فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم**، أي: فإن أبوا عن الإسلام وعن الجزية فاستعن بالله وحده، وقاتلهم كما قال تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ

﴿ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾.

* **قوله: وإذا حاصرت أهل حصن،** الحصن: كل مكان محمي محرز لا يوصل إلى داخله، أو لا يقدر عليه لارتفاعه، وحاصرت أهله أي: ضيقت عليهم، وأحطت بهم.

* **قوله: فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم أن تخفروا ذممكم، وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه،** الذمة هنا العهد، وتخفر بضم التاء تنقض، والمعنى أنه ﷺ خاف من نقض من لم يعرف حق الوفاء بالعهد، من بعض الجيش والأعراب، كان أهون من نقض عهد الله وعهد نبيه.

* **قوله: وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا، رواه مسلم،** أي: وهذا أيضاً والله أعلم للتنزيه والاحتياط، وفيه أن المصيب في مسائل الاجتهاد واحد، فمن وافق حكم الله فهو المصيب.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى:** «**الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسلمين**» أي: أن ذمة المسلمين أهون وخطرها أقل.

* **الثانية:** «**الإرشاد إلى أقل الأمرين خطراً**» أي: أنه لما أرشدهم إلى إنزالهم على

ذمته وذمة أصحابه دون ذمة الله وذمة نبيه خوفاً من خفر ذلك مع أن الأول لا يجوز خفره لكنه أخف، كان ذلك دليلاً على الإرشاد إلى أقل الأمرين خطراً.

❊ **الثالثة قوله:** «**اغزوا باسم الله**» أي: مستعينين بالله.

❊ **الرابعة قوله:** «**قاتلوا من كفر بالله**» أي: امتنع من الإيمان بالله.

❊ **الخامسة قوله:** «**استعن بالله وقاتلهم**» أي: لكونه لا طاقة له بقتالهم إلا بإعانة الله.

❊ **السادسة:** «**الفرق بين حكم الله وحكم العلماء**» أي: حكم الله أعظم من حكم العلماء ولذلك لا ينزل عليه من طلبه إلا مع العلم به.

❊ **السابعة:** «**في كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري أيوافق حكم الله أم لا**» أي: لقوله: «وإذا حاصرت أهل حصن».. إلخ.



٦٤ ـ باب ما جاء في الإقسام على الله

عن جندب بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله عَزَّ وَجَلَّ: من ذا الذي يتألى عليَّ أن لا اغفر لفلان؟ إني قد غفرت له وأحبطت عملك) (رواه مسلم).

وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجل عابد.

قال أبو هريرة: تكلم بكلمة أَوْبَقَتْ دنياه وآخرته.

***

(الشرح)

واعلم إن الإقسام على الله إذا كان على جهة التألي على الله، فإنه محرم فينقص التوحيد، وأما إن كان على جهة حسن الظن بالله، فقد جاء في الحديث، ويدل على جوازه كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره**».

* **قوله: عن جندب بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان،** هذا الرجل تألى على الله، لما اعتقد أن له عند الله من الكرامة والحظ والمكانة، وقطع أن الله لا يغفر لهذا الرجل.

* **قوله: فقال الله عَزَّ وَجَلَّ من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان،** التألي بتشديد الياء اليمين، كما يقال: آلى يؤلي إيلاء، وتألى يتألى بالياء، وهذا استفهام إنكار، ففيه تحريم الإدلال على الله، ووجوب التأدب مع الله في الأقوال والأفعال، وأن حق العبد أن

يعامل نفسه بأحكام العبودية، ويعامل ربه بما يجب له من أحكام الإلهية والربوبية.

* **وقوله في الحديث: إني قد غفرت له وأحبطت عملك**، رواه مسلم، أي: أنه عومل بنقيض قصد هذا المتألي، وغفر لرجل بسببه، ففيه أن الرجل قد يغفر له بسبب هو من أكره الأمور إليه.

* **قوله: وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجل عابد**، أي: لما روى أبوداود وغيره عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (كان رجلان في بني إسرائيل متآخيين، فكان أحدهما يذنب والآخر مجتهد في العبادة، فكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على الذنب، فيقول: أقصر، فوجده يوما على ذنب، فقال: له أقصر. فقال خلني وربي، أبعثت علي رقيبا؟ فقال: والله لا يغفر الله لك، ولا يدخلك الجنة. فقبضت أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالماً، أو كنت على ما في يدي قادراً؟ فقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار).

* **قوله: قال أبو هريرة: (تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته)**، أي: فيما رواه البغوي وغيره عن عكرمة، قال: دخلت مسجد المدينة، فناداني شيخ قال: يا يماني تعال، وما أعرفه، قال: لا تقولن لرجل: والله لا يغفر الله لك أبدا، ولا يدخلك الجنة، قلت: ومن أنت يرحمك الله؟ قال: أبو هريرة، فقلت: إن هذه كلمة يقولها أحدنا لبعض أهله إذا غضب، أو لزوجته، أو لخادمه، فقال: فإني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: إن رجلين كانا في بني إسرائيل متحابين، أحدهما مجتهد في العبادة، والآخر كأنه يقول مذنب، فجعل يقول أقصر عما أنت فيه، قال: فيقول: خلني وربي، أبعثت علي رقيبا؟ قال: فوالله لا يغفر الله لك، ولا يدخلك الجنة أبدا، قال:

فبعث الله إليهما ملكا فقبض أرواحهما، فاجتمعا عنده، فقال للمذنب: ادخل الجنة برحمتي. وقال للآخر: أتستطيع أن تحظر على عبدي رحمتي؟ قال: لا يا رب قال: اذهبوا به إلى النار. قال أبو هريرة: (والذي نفسي بيده تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته)، ومعنى (أوبقت) أهلكت، وهذه الأحاديث تدل على خطر اللسان، وتفيد التحرز من الكلام، والله اعلم.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى**: «**التحذير من التألي على الله**» أي: الحلف عليه.

* **الثانية**: «**كون النار أقرب إلى أحدنا من شراك نعله**» أي: لكون هذا الرجل ذهب به إليها بمجرد هذه الكلمة.

* **الثالثة**: «**أن الجنة مثل ذلك**» أي: لكون هذا المذنب بمجرد ما قيل له قال الله له: «ادخل الجنة برحمتي».

* **الرابعة**: «**فيه شاهد لقوله: (إن الرجل ليتكلم بالكلمة) إلخ**» أي: أنه استوجب النار بسبب الكلمة التي قال وهي قوله: «**والله لا يغفر الله لفلان**».

* **الخامسة**: «**أن الرجل قد يغفر له بسبب هو من أكره الأمور إليه**» أي: أن هذا المذنب كان يكره أن يقال له: «والله لا يغفر الله لك» فغفر له بسببها.



٦٥ ـ باب لا يستشفع بالله على خلقه

عن جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء أعرابي إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله: نهكت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك وبك على الله، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (سبحان الله! سبحان الله!) فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه؛ ثم قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ويحك، أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه) .. وذكر الحديث. (رواه أبوداود).

***

(الشرح)

* **الاستشفاع**: طلب الشفاعة، فلا يجوز للعبد أن يطلب من الله الشفاعة إلى أحد من خلقه بل إن ذلك حرام، لأنه هضم للربوبية وقدح في توحيد العبد.

* **قوله: عن جبير بن مطعم** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هو ابن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي، كان من أكابر قريش، أسلم قبل الفتح ومات سنة ٥٧هـ.

* **قوله: قال:** «**جاء أعرابي إلى رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فقال: يا رسول الله نهكت الأنفس،** أي: ضعفت وضنت وجهدت.

* **قوله: وجاع العيال، وهلكت الأموال،** أي: جهدت الأنفس، وجاع من يعول، ونهكت الأموال، أي: نقصت وقلت.

* **قوله: فاستسق لنا ربك،** أي: اسأله أن يسقينا.

* **قوله: فإنا نستشفع بالله عليك،** وهذا لا يجوز لأنه هضم لجناب الربوبية.

* **قوله فقال النبي ﷺ: «سبحان الله سبحان الله»** أي: سبح رسول الله ﷺ كثيراً وعظمه، لأن هذا القول لا يليق بل يحرم.

* **قوله: فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه،** أي: عرف الغضب في وجوه أصحاب رسول الله ﷺ لغضب رسول الله ﷺ.

* **قوله: ثم قال: «ويحك أتدري ما الله،** ويح كلمة تقال للزجر أو للرحمة، واستعملتها العرب بمعنى التعجب والتوجع.

* **قوله: إن شأن الله أعظم من ذلك،** أي: أن يستشفع به إلى أحد من خلقه.

* **قوله: إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه،** شأن الله أعظم من ذلك، أي: أجلّ فإنه سبحانه وتعالى رب كل شيء ومليكه، والخير كله بيده، لا مانع لما أعطى، ولامعطي لما منع، ولا راد لما قضى، وأما الجملة الثانية وبك على الله فهذه في حياة النبي ﷺ، والمراد استجلاب دعائه، فإن دعائه ﷺ، في حياته مستجاب، ولذلك لم ينكر عليه طلب الشفاعة، لأن طلب الشفاعة من النبي ﷺ في حياته جائزةً، أما بعد مماته فلا يجوز، لأنه من الشرك، لأنه دعاء للميت، قال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.

* **قوله: وذكر الحديث رواه أبو داود،** قال الذهبي بإسناد حسن.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى: إنكاره على من قال: «نستشفع بالله عليك»** أي: نطلب من الله أن يطلب منك وهذا ينافي عظمة الله عَزَّوَجَلَّ.

* **الثانية: «تغيره تغيرا عرف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة»** أي: إنكارا لهذه الكلمة.

* **الثالثة: «أنه لم ينكر قوله: «نستشفع بك على الله»** أي: نطلب منك أن تسأل الله لنا لكونه يقدر على ذلك.

* **الرابعة: «التنبيه على تفسير سبحان الله»** أي: تنزيها له عن هذا الكلام الذي لا يليق بجلاله وعظمته.

* **الخامسة: «أن المسلمين يسألونه** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **الاستسقاء»** أي: في حياته يطلبون منه أن يستسقي الله لهم وأما بعد موته فلم يفعلوا ذلك بل عدلوا إلى غيره كما فعل عمر مع العباس ومعاوية مع يزيد بن الأسود الجرشي.



٦٦ ـ باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك

عن عبدالله بن الشخير رضي الله عنه، قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي ﷺ فقلنا: أنت سيدنا، فقال: (السيد الله تبارك وتعالى). قلنا: وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طولاً؛ فقال: (قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان) (رواه أبوداود بسند جيد).

وعن أنس رضي الله عنه، أن ناساً قالوا: يا رسول الله: يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، فقال: (يا أيها الناس، قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد، عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل).. (رواه النسائي بسند جيد).

***

(الشرح)

* وحمايته حمى التوحيد صونه عما يشوبه من الأقوال والأعمال التي يضمحل معها التوحيد أو ينقص.

* **قوله: المصطفى** أي: صفوة الخليقة وأشرفها على الإطلاق.

* **قوله: سده طرق الشرك**، أي: النهي عما ينافي التوحيد أو يضعفه.

* **قوله: عن عبدالله بن الشخير** رضي الله عنه، بكسر الشين وتشديد الخاء، هو ابن

عوف بن كعب بن وقدان الحريشي ثم العامري، وهو والد مطرف الفقيه، أسلم يوم الفتح، وله صحبة.

* **قوله: قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ**، وعامر بطون كثيرة، كانوا بعالية نجد، فهم أي: عامر بن صعصعة من عدنان، وكان في الوفد عامر بن الطفيل، وأربد بن قيس، وجبار بن سلمى.

* **قوله: فقلنا: أنت سيدنا. فقال: السيد الله تبارك وتعالى**، أي: أن السؤدد حقيقة لله عَزَّوَجَلَّ وأن الخلق كلهم عبيد له، قال ابن عباس: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ أي: السيد الذي كمل في جميع أنواع السؤدد، وقد ورد عن النبي ﷺ: (قوموا إلى سيدكم)، وكذلك قوله: (أنا سيد ولد آدم) وحديثا الباب يدلان على الأدب مع الله عَزَّوَجَلَّ، ففيه حماية جناب التوحيد وسد طرق الشرك، وأما ما ورد من ذلك فإنه يدل على جواز ذلك اذا كان نادراً.

* **قوله: فقلنا: وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طولاً**، الفضل الخير، والطول العطاء والقدرة والغنى.

* **قوله: فقال: قولوا بقولكم**، أمرهم أن يقولوا بقولهم من قبل هذه المقالة، ولا يتكلفوا هذه الألفاظ التي تؤدي إلى الغلو.

* **قوله: أو بعض قولكم**، أي: أودَعوا بعض قولكم واتركوه، كل ذلك سداً لذريعة الغلو ووسيلته.

* **قوله: ولا يستجرينكم الشيطان، رواه أبو داود بسندٍ جيد**، أي: لا يتخذنكم رسولاً ووكيلاً.

* **قوله: وعن أنس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أن ناسا قالوا: يا رسول الله يا خيرنا، وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا**، وهو كذلك عليه الصلاة والسلام خيرهم وسيدهم، لكنه ﷺ أرشدهم إلى ترك ذلك نصحاً لهم، وحماية لمقام التوحيد على أن يدخله ما يفسده ويضعفه من الشرك ووسائله.

* **قوله: فقال: يا أيها الناس قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان**، أي: يستهيمنكم، أو يذهب بعقولكم، كره ﷺ ذلك لئلا يكون فيه شيء من الوسيلة والإطراء.

* **قوله: أنا محمد عبد الله ورسوله، أي: هاتان الصفتان** هما أعلى مراتب العبد، وقد وصفه الله بهما في مواضع من كتابه، وهما قوله: عبدالله ورسوله.

* **قوله: ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله** عَزَّ وَجَلَّ، رواه النسائي بسند جيد، أنه عبدالله ورسوله أشرف الخلق، وأفضلهم على الإطلاق، لكنه ﷺ لم يحب أن يرفعوه فوق ما أنزله الله عَزَّ وَجَلَّ من المنزلة التي رضيها له، ويبالغ في ذلك فيكون ذلك وسيلة إلى الغلو والإطراء.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى: «تحذير الناس من الغلو»** أي: لقوله: «قولوا بقولكم أو بعض قولكم

ولا يستجرينكم الشيطان».

❊ **الثانية**: «**ما ينبغي أن يقول من قيل له: أنت سيدنا**» أي: يقول: السيد الله.

❊ **الثالثة: قوله**: «**لا يستجرينكم الشيطان**» مع أنهم لم يقولوا إلا الحق» أي: نهاهم عن ذلك حماية لجناب التوحيد لئلا يجرهم إلى ما لا يصلح فكيف بمن قال أعظم من ذلك كصاحب البردة في أبياته التي تضمنت غاية الإطراء.

❊ **الرابعة: قوله**: «**ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي**» أي: منزلة العبودية الخاصة والرسالة العامة.



٦٧ ـ باب قول الله تعالى:

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ الآية

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد! إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه، تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

وفي رواية لمسلم: (والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك، أنا الله).

وفي رواية للبخاري: (يجعل السماوات على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع) (أخرجاه).

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً: (يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون).

وروي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: (ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم).

وقال ابن جرير: حدثني يونس، أنبأنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: حدثني أبي، قال: قال رسول الله ﷺ: (ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في

ترس)، قال: وقال أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض).

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم). (أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمه عن عاصم عن زر عن عبدالله ورواه بنحوه عن المسعودي عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله). قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى، قال: وله طرق.

وعن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (هل تدرون كم بين السماء والأرض؟) قلنا: الله ورسوله أعلم قال: (بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة وكثف كل سماء خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله سبحانه وتعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم). أخرجه أبو داود وغيره.

***

(الشرح)

* أي: ما عظم المشركون الله حق قدره، إذ عبدوا معه غيره وكفروا نعمه، وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم، فمن آمن أن الله على كل شيء قدير فقد قدر الله حق قدره، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره.

* **قوله:** ﴿ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾، كما في الحديث عن أبي هريرة ﵁ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟**» (متفق عليه)، والذي عليه أهل السُنَّة الإيمان بما جاء في ذلك من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، وأن لها معان حقيقة، أثبتوها وفسروها بما يوافق دلالتها، وإنما ينفون الكيفية.

* **قوله: عن ابن مسعود ﵁ قال: «جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السماوات السبع على إصبع،** الإصبع واحد الأصابع، يذكر ويؤنث، وفيه خمس لغات، وقيل عشر، فتح الهمزة وضمها وكسرها مع الحركات الثلاث في الباء، والعاشرة أصبوع، وأفصحهن، كسر الهمزة وفتح الباء. والحبر: بفتح الحاء وكسرها واحد أحبار اليهود، وهو العالم بتحبير الكلام وتحسينه، وقال أبوعبيد: يرويه المحدثون كلهم بالفتح، وفي هذا الحديث إثبات الأصابع للرحمن جل وعلا، على ما يليق بجلاله وعظمته.

* **قوله: والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع،** والشجر ما له ساق صلب كالنخل وغيره والثرى التراب الندي.

* **قوله: وسائر الخلق على إصبع، أي: وباقي المخلوقات على إصبع.**

* **قوله: فيقول: أنا الملك. فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه، تصديقا لقول الحبر، ثم قرأ:** ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾

الآية، وفي رواية لمسلم: «**والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزهن، فيقول: أنا الملك أنا الله**»، وفي رواية للبخاري: «**يجعل السماوات على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع**» أخرجاه، ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً: «**يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون، أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع، ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون أين المتكبرون؟**»، هذه الأحاديث وما في معناها تدل على عظمة الله وعظيم قدرته، وعظيم سلطانه، وقد تعرف إلى عبادة بصفات كماله وعجائب مخلوقاته، وكلها تدل على جلاله وعظمته، وأنه المعبود وحده سبحانه لا شريك له في ربوبيته، ولا في إلهيته، وتدل على إثبات صفاته، كما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ على ما يليق بجلاله وعظمته، وفيها وغيرها إثبات اليمين والشمال، مع قوله ﷺ: «**وكلتا يدي ربي يمين مباركة**».

* **قوله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وروي عن ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **قال: (ما السماوات السبع، والأرضون السبع، في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم)**، هذا الأثر رواه معاذ بن هشام الدستوائي، قال حدثنا أبي عن عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس، ولفظه: (في يد الله)، قال الشارح: وإسناده صحيح، وفي هذا الحديث دليل على عظمة الله عَزَّوَجَلَّ وصغر السماوات والأرض وما فيهما بالنسبة إلى عظمة الله وهذا من التقدير لتصور ذلك، وإلا فإنه لا مقارنة ولا يحيط بعظمة الله إلا هو سبحانه.

وقول ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا هذا مثل حديث كجر السلسلة على صفوان، وحديث الرؤية (**إنكم ترون ربكم كما ترون القمر**)، وهذا تشبيه لرؤيه بالرؤيه، لا المرئي بالمرئي.

* **قوله: وقال ابن جرير: حدثني يونس،** هو ابن عبد الأعلى أبو موسى الصدفي الثقة، روى عن ابن عيينة وابن وهب وغيرهما، وعنه ابن خزيمة وخلق، مات سنة ٢٦٤ هـ، وله ٩٢ سنة.

* **قوله: أنبأنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: حدثني أبي،** أبوه هو زيد بن أسلم العدوي، مولى عمر، أبو عبدالله، أو أبو سالم المدني، عالم ثقة مات سنة ١٣٦هـ، وابنه عبدالرحمن يضعف، روى عن أبيه، وابن المنكدر وغيرهما، وعنه ابن وهب وعكرمة ومسروق وغيرهم، مات سنة ١٨٢هـ، ورواه أيضاً بهذا الطريق واللفظ: أصبغ بن الفرج وهو مرسل.

* **قوله: قال: قال رسول الله ﷺ: «ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس»**، المراد بالترس هنا القاع المستدير المتسع الأطلس، كما قيل:

وواجهت ترسا من متون صحاري

وفي هذا الحديث صغر السماوات بالنسبة إلى الكرسي، الكرسي موضع القدمين.

* **قوله: قال: وقال أبو ذر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد، ألقيت بين فلاة من الأرض»**، أبو ذر هو الغفاري الصحابي المشهور، واسمه جندب بن جنادة، من السابقين إلى الإسلام، توفي بالربذة سنة ٣١هـ، وحديث أبي ذر هذا رواه يحيى بن سعيد العبشمي، وليس عطف على قول زيد بن أسلم، قوله فلاة: الفلاة الصحراء الواسعة، ففي هذا دلالة على عظم العرش بالنسبة للكرسي، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: العرش مقبب،

ولم يثبت أنه مستدير مطلقاً، بل ثبت أنه فوق الأفلاك، وأن له قوائم، فيجب أن يعلم أن العالم العلوي والسفلي بالنسبة إلى الخالق، جل وعلا، في غاية الصغر.

*** قوله: وعن ابن مسعود ﵁ قال: (بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم)، أخرجه ابن مهدي عن حماد ابن سلمة عن عاصم عن زر عن عبدالله**، وابن مهدي هو: عبدالرحمن بن مهدي بن حسان بن عبدالرحمن العنبري مولاهم، أبو سعيد البصري، ثقة حافظ، عارف بالرجال والحديث، قال ابن المديني: ما رأيت أعلم منه. روى عن جرير وعكرمة وخلق، وعنه ابن المبارك وابن وهب وخلق، مات سنة ١٩٨ هـ.

وحماد هو: ابن سلمة بن دينار البصري أبو سلمة، مولى تميم ويقال قريش، ثقة عابد أثبت الناس في ثابت، روى عن ثابت وقتادة وخلق، وعنه ابن جريج والثوري وابن المبارك وخلائق، مات سنة ١٦٠ هـ.

وعاصم هو: ابن بهدلة وهو ابن أبي النجود الأسدي مولاهم، الكوفي أبو بكر المقرئ، صدوق روى عن زر وأبي وائل وأبي صالح وخلق، وعنه الأعمش والحمادان وجماعة، مات سنة ١٢٧ هـ، وزر هو ابن حبيش ابن حباشة بن أوس بن بلال، الأسدي الكوفي، أبو مريم، ثقة جليل، أدرك الجاهلية، وروى عن عمر وعلي وغيرهما، وعنه إبراهيم النخعي وعاصم وخلق، مات سنة ٨٣ هـ، وله ١٣٧ سنة.

وهذا الأثر يدل على ما دل عليه الكتاب والسنة، بأن الله سبحانه فوق المخلوقات مستوي على عرشه بائن من خلقه.

* **قوله: ورواه بنحوه المسعودي، عن عاصم، عن أبي وائل،** أبو وائل هو سعيد ابن سلمة الأسدي الكوفي، أدرك رسول الله ﷺ ولم يره، روى عن أبي بكر وغيره من الصحابة، أدرك سبعا من الجاهلية، ومات سنة ٧٢هـ.

والمسعودي هو عبدالرحمن بن عبدالله بن عتبة بن مسعود الكوفي، ثقة روى عن أبي إسحاق السبيعي، وعلقمة والقاسم وغيرهم، وعنه السفيانان وشعبة وعاصم وخلق، مات سنة ١٦٦ هـ.

* **قوله: قال: وله طرق،** وأخرجه عبدالله بن أحمد في كتاب السنة، وابن المنذر، والطبراني، وأبو الشيخ، وأبو عمرو الطلمنكي، واللالكائي، وابن عبد البر، والبيهقي وغيرهم.

* **قوله: وعن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «هل تدرون كم بين السماء والأرض؟**، أخرج السؤال بصيغة الاستفهام ليكون أبلغ في النفوس.

* **قوله: قلنا: الله ورسوله أعلم،** فيه حسن الأدب مع الله، وإسناد العلم إلى الرسول ﷺ في حال حياته، وأما بعد وفاته ﷺ فيقال: الله أعلم.

* **قوله: قال: «بينهما مسيرة خمسمائة سنة، وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله فوق ذلك، لا يخفى عليه شيء من أعمال**

بني آدم».. (رواه أبو داود وغيره)، الكثف: السُمك والغلظ، هذا الحديث يدل على علو الله وعظمته، وعظم مخلوقاته، وفيه التصريح بأن الله فوق خلقه على عرشه، بائن من خلقه، كما جاء بذلك الكتاب والسُنَّة، وله شواهد في الصحيحين وغيرهما، وأورده المصنف مختصراً، والذي في سنن أبي داود عن العباس بن عبدالمطلب، قال: «كنت في البطحاء، في عصابة فيهم رسول الله ﷺ فمرت بهم سحابة، فنظر إليها فقال: ما تسمون هذه؟ قالوا: السحاب. قال: (والمزن) قالوا: والمزن قال: (والعنان) قالوا: والعنان. قال أبو داود: ولم أتقن العنان جيدا، قال: (هل تدرون ما بعد ما بين السماء والأرض؟ قالوا: لا ندري. قال: إن بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة، ثم السماء فوقها كذلك، حتى عد سبع سماوات، ثم فوق السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهم العرش، بين أسفله وأعلاه كما بين سماء إلى سماء، ثم الله فوق ذلك».. (أخرجه الترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي: حسن غريب).

وقال الذهبي: رواه أبوداود بإسناد حسن، وروى أحمد والترمذي نحوه من حديث أبي هريرة، وفيه: (بعد ما بين سماء إلى سماء خمسمائة عام، وكذلك الأرضون).

ولفظ أحمد في الأرضين سبعمائة عام، حتى عد سبع أرضين، ولا منافاة بينها؛ لأن تقدير ذلك بخمسمائة عام هو بسير القافلة، ونيف وسبعين على سير البريد، وحكى شيخ الإسلام وغيره الإجماع على أنها مستديرة، والمراد كل واحدة فوق الأخرى محيطة بها.

❖ **فيه مسائل وإيضاحها:**

* **الأولى: «تفسير قوله تعالى:** ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾، أي: يقبضها بيده حقيقة كما دل عليه الحديث.

* **الثانية: «أن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه ﷺ لم ينكروها ولم يتأولوها»** أي: قوله: «إنا نجد أن الله يجعل السموات على أصبع والأرض على أصبع».. إلخ مما هو دال على إثبات صفة الأصابع على ما يليق بجلاله وعظمته فهذا مما بقي عندهم ولم ينكروه كما أنكروا صفة النبي ﷺ وغيرها.

* **الثالثة: «أن الحبر لما ذكر للنبي ﷺ، صدّقه ونزل القرآن بتقرير ذلك»** أي: صدقه فيما قال ونزل القرآن موافقاً لما قاله لأنه قال حقا.

* **الرابعة: «وقوع الضحك من رسول الله ﷺ لما ذكر الحبر هذا العلم العظيم»** أي: ضحك لكونه قال حقا لا إنكارا عليه كما يزعمه من تأول هذا الحديث وقال إنه تعجب من تأويل اليهود.

* **الخامسة: «التصريح بذكر اليدين وأن السموات في اليد اليمنى والأرضين في الأخرى»** أي: كما دل عليه حديث ابن عمر الذي في الصحيح وغيره.

* **السادسة: «التصريح بتسميتها الشمال»** أي: كما في الحديث المذكور الذي رواه مسلم، وأما حديث: «وكلتا يديه يمين» فلعله قاله دفعا لتوهم النقصان بتسميتها الشمال.

* **السابعة**: «**ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك**» أي: أن القادر على ذلك هو الجبار المتكبر حقيقة لا المخلوق الضعيف الحقير فإنه لا يليق به ذلك.

* **الثامنة: قوله**: «**كخردلة في يد أحدكم**» أي: أنه دليل على صغر المخلوقات بالنسبة إليه جل وعلا.

* **التاسعة**: «**عظم الكرسي بالنسبة إلى السماء**» أي: لقوله: «ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس».

* **العاشرة**: «عظم العرش بالنسبة إلى الكرسي» أي: لقوله: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض».

* **الحادية عشرة «أن العرش غير الكرسي والماء»** أي: لقوله: «بين الكرسي والماء خمسمائة عام والعرش فوق الماء».

* **الثانية عشرة**: «**كم بين كل سماء إلى سماء**» أي: بينهما خمسمائة عام.

* **الثالثة عشرة**: «**كم بين السماء السابعة والكرسي**» أي: بينهما خمسمائة عام.

* **الرابعة عشرة**: «**كم بين الكرسي والماء**» أي: بينهما خمسمائة عام.

* **الخامسة عشرة «أن العرش فوق الماء»** أي: لقوله في حديث ابن مسعود: «والعرش فوق الماء».

* **السادسة عشرة**: «**أن الله فوق العرش**» أي: لقوله: «والله فوق العرش».

❊ **السابعة عشرة**: «**كم بين السماء والأرض**» أي: بينهما خمسمائة سنة.

❊ **الثامنة عشرة**: «**كثف كل سماء خمسمائة سنة**» أي: كما في حديث العباس ابن عبدالمطلب.

❊ **التاسعة: عشرة «أن البحر الذي فوق السموات بين أسفله وأعلاه خمسمائة سنة»** أي: كما دل عليه حديث العباس بن عبدالمطلب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

والله تعالى أعلم.. وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.





فهرس الموضوعات

***


وآخر دعوانا أن
الحمد لله رب العالمين

لطلب الكتاب

هاتف: ٠٥٥١٣٤٥٤٤٤